منشورات دار البيان

٥

ديوان السيد حيدر الحلي

الجزء الثاني

عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه

علي الخاقاني

صاحب مجلة (البيان) النجفية

مطبعة المعارف - بغداد

١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م

منشورات دار البيان

٥

ديوان السيد حيدر الحلي

الجزء الثاني

عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه

علي الخاقاني

صاحب مجلة (البيان) النجفية

مطبعة المعارف - بغداد

١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م

تقديم

لقد نشر الجزء الأول من هذا الديوان الخالد عام ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م وقد وقف القراء على الجهد الذى عانيته فى نشره وذلك بمقابلة معظم النسخ المخطوطة وفى مقدمتها مخطوطة الأصل ومخطوطة المرحوم الشيخ قاسم الملا الحلى ، واثبتنا نماذج مصورة منهما . ولانشغالى فى اخراج كتاب (شعراء الحلة) فى خمسة أجزاء ، وكتاب (شعراء الغرى) فى اثنى عشر جزءاً ، وجزئين من كتاب (شعراء بغداد) . تأخرت عن مواصلة طبع الجزء الثانى وبه يكمل الديوان . واستجابة لرغبة اخوانى الذين أحسنوا الظن بى اندفعت الى اخراجه على نسق الجزء الأول فى الضبط والتحقيق ، وليس لى إلا أن أحمد الله تعالى وأشكره على ما منحنى من التوفيق والتسديد ، راجياً منه ادامة لطفه وعونه للإستمرار فى إحياء تراثنا العربى والإسلامى ، والله ولىّ التوفيق .؟

على الخاقانى

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
رابط بديل lisanerab.com

الحماسة

قال ـ رحمه الله ـ متحمساً :

ورائكِ اليوم عن لهوى وعن طرَبي ... فان قلبيَ أمسى كعبةَ النوبِ
لا تطمعى فى وصالى إنَّ لى كبداً ... تهوى وصال العلى لا الخُرَّد العرُبِ
أبعدَ حفظى لأسباب العلى زمناً ... أضيعها لكِ بين اللهو واللعب
ما بتُّ مستمطراً من مقلتى جزعاً ... نوء المدامع بين النوى والطنب
قدحُ الأسى البرق والرعد الحنين وأنـ ... ـفاسى الجنوبُ ودمعى ديمةُ السحب
ولا صبا أبداً قلبي لغانيـــةٍ ... إذ ليس فى حُسنها شغلى ولا أربى
فى السُمر لا السُمر(١) معقودٌ هوايَ ولا ... بيض الظُبا ليس للبيض الظِبا طرَبي
وما عشقتُ سوى بكر العلى أبداً ... ولستُ أخطبها إلا بذى شُطَب(٢)
وطالما صرفُ هذا الدَهر قلَّبنى ... فلم يكن لسوى العلياء منقلبي
ما ضرَّنى بين قوم خفضَ منزلتى ... ومنزلى فوق هام السبعة الشُهب
وحسب نفسى وإن أصبحت ذا عُدُم ... من ثروةٍ أننى مُثر من الأدب
ولست آسى(٣) على عُمرٍ أطايبه ... أنفقتها فى ابتغاء المجد فى الكُرَب
يأسى على العمر من باتت تقلّبهُ ... فى مطرح الذل كفُّ الخوف والرهب
لم يسرق الدهرُ لى فضلاً ولا شرفاً ... وما ادَّعائى العلى والمجد بالكذَب
وإنها لمساعٍ لا نظــير لها ... ورثتها عن أبٍ من هاشم فأب
من معشرٍ عقدوا قدماً مآزرهم ... على العفاف وكانوا أنجب العرب
والأرض لم تبقَ منها بقعةٌ أبداً ... إلا سقوها برقراق الدم السرب

---

(١) السمر الاولى : الرماح . والثانية : الغيد الملاح .

(٢) الشطب : جمع شطبة وهي الخط في متن السيف . يقول : لست أخطب بكر العلى الا بالسيف .

(٣) آسي : آسف .

ومنها :

حتفُ الحُماة ومقدام السراة له ... فى الروع سطوة هجّام على النوَب
محضُ الضريبة مغوارُ الكتيبة محـ ... ـمودُ النقيبة يوم السبق والغَلب
فى كفه مرهفٌ ماضى المضارب فى ... يوم القراع تراه ساطع اللهب
يمضى ولم يعتلق فى شفرتيه دمٌ ... من سرعة القطع يوم الروع والرهب
فى موقف بين أنياب الحمام به الآ ... سادُ لم تنجُ بالإقدام والهرب
أعيا المنيـــة حتى أنها سئمتْ ... قبضَ النفوس به من شدّة التعب

وقال مستنهضاً الإمام الحجة المهدى المنتظر عليه السلام (١) :

يا غمرة مَن لنا بمعبَرها ... مواردُ الموت دون مصدرها
يطفحُ موجُ البلا الخطير بها ... فيغرقُ العقل فى تصوّرها
وشدّةً عندها انتهت عظَماً ... شدائد الدهر مَعْ تكثرها
ضاقت ولم يأتها مُفرّجها ... فجاشت النفسُ فى تحيّرها
الآنَ رجسُ الضلالة استغرق ... الأرض فضجّت الى مطهّرها
وملة الله غُيّرت فغدت ... تصرخ لله من مُغيّرها
مَن مخبرى والنفوس عاتبةٌ ... ماذا يؤدّى لسانُ مخبرها ؟
لِمْ صاحب الأمر عن رعيته ... أغضى فقصّت بجور أكفرها ؟
ما عذرُه نصب عينه أُخذتْ ... شيعتهُ وهو بين أظهرها
يا غيرة الله لا قرارَ على ... ركوب فحشائها ومنكرها
سيفك والضرب إن شيعتكم ... قد بلغ السيفُ حزٌ منحرها
مات الهدى سيدى فقم وأمِت ... شمسَ ضحاها بليل عِشيرها

(١) نظمت هذه القصيدة اثر عزم الوالي عمر باشا على تطبيق نظام التجنيد الالزامي في العراق عام ١٢٧٤ هـ ، وقد وقعت حوادث هامة في الفرات وقابلها الوالي بالعنف . راجع كتاب (الشعر السياسي العراقي) ص ١٩٤ — ١٩٧ للوائلي .

واترك منايا العدى بأنفسهم ... تـكثر فى الروع من تعـثّرها
لم يُشف من هذه الصدور سوى ... كسرِكَ صدر القنا بُوغرها
وهذه الصحف محو سيفك للأ ... عمار منهم أمحى لأسطرها
فالنطف اليوم تشتكى وهى فى ... الأرحام منها الى مصوّرها
فالله يا ابن النبىّ فى فئةٍ ... ما ذخرت غيركم لمحشرها
ماذا لأعدائها تقول اذا ... لم تنجها اليوم من مدمّرها
أشُقة البعد دونك اعترضت ... أم حُجبت عنك عينُ مبصرها؟
فهاكَ قلّب قلوبنا ترَها ... تفطّرت فيك من تنظّرها
كم سهرت أعينٌ وليس سوى ... انتظارها غوثكم بُسهرها
أين الحفيظ العليم للفئة الـ ... مضاعة الحق عند أفجرها
تغضى وأنت الأبُ الرحيم لها ... ما هكذا الظن يا ابن أطهرها
إن لم تغثها لجُرم أكبرها ... فارحم لها ضعف جرم أصغرها
كيف رقابٌ من الجحيم بكم ... حرّرها الله فى تبصّرها
ترضى بأن تسترقها عُصبٌ ... لم تلهُ عن نايها ومزمرها
إن ترض يا صاحب الزمان بها ... ودام للقوم فعلُ منكرها
ماتت شعارُ الايمان واندفنت ... ما بين خمر العدى وميسرها
أبعِد بها خطةً تُراد بها ... لا قرّب اللهُ دار مؤثرها
الموت خيرٌ من الحياة بها ... لو تملك النفس من تخيُّرها
ما غرّ أعداءنا بربهم ... وهو ملىٌّ بقصم أظهرها
مهلاً فللهِ فى بريّته ... عوائدٌ جلّ قدرُ أيسرها
فدعوة الناس إن تكن حُجبت ... لأنها ساء فعلُ أكثرها
فرُبَّ حرّى حشىً لواحدها ... شكت الى الله فى تضوّرها
توشك أنفاسها وقد صعدت ... أن تحرقَ القوم فى تسعّرها

وقال متحمساً :

سنامُ علائىَ لم يُقرَعِ ... وهضبة مجدىَ لم تطلَع
فقلْ لرجالٍ سمت جُهدها ... لتدرك فوق السهى موضعى (١)
ولو أنَّ للشمس أحسابها ... حياءً من الخزى لم تطلع
فنى حيث أوقفكِ العجزُ أو ... فطيرى لأمّ السما أو قعى
فلستِ بحائزةٍ سعىَ مَن ... له حوزة الشرف الأرفع
فنحنُ بنو هاشمٍ لا نزال ... لنا الصدرُ فى الجمع والمجمع
ومن عزمىَ البيضُ مطبوعةٌ ... ولولا مضائىَ لم تقطع

وقال أيضا :

ألفتُ قراع الخطب مذ أنا يافعُ ... فكيف تروع اليوم قلبى الروائعُ
لقد عركت منى الليالى ابن حرةٍ ... على العرك منه لا تلينُ الأخادع (٢)
وسيانِ عندى سلمُ دهرى وحربُه ... وما هو مُعطٍ لى وما هو مانع
لعمرى ليصنع أيما شاء إنه ... حقيرٌ بعينى كل ما هو صانع
سأنشد لا عجزاً ولكن تحمساً ... لىَ الله أىُّ الحادثات اصانع
وأىُّ الأعادى أتقى وهمُ الحصى ... عديداً وكلٌّ مجهرٌ ومصانع
فحيث طرحتُ اللحظ أبصرت منهمُ ... أخا حنقٍ شخصى لأحشاه صادع
اذا ما رآنى ازورّ عنىَ طرفهُ ... كأنىَ رمحٌ بين جنبيه شارع
وإنى ولا فخرٌ ، كفانى تغرُّدى ... تحاشدهم أنّى حوتنا المجامع
اريهم بأنى عن دُهاهم مغفلٌ ... وعندى لهم خِبٌّ (٣) من العزم رادع
كذئب الفضا تلقاه رخواً اذا مشى ... ويشتدُّ إن واثبتَه وهو قاطع

---

(١) وفي نسخة : مطلعي .

(٢) الاخادع : جمع أخدع وهو عرق يتفرع من الوريد .

(٣) الخب : الرجل الخداع .

(ينامُ بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الأعادى فهو يقظان هاجع[١]

وقال متحمساً :

إضرب بسيفٍ أو لسانِ واطعن برمحٍ أو بنانِ
يغنى اللسانُ عن المهنَّدِ والبنانُ عن السنان
ورُمِ الفخار بهمةٍ رُجحت على الشُّم الرعان
واسبق لغايات المعالى مالكاً قصبَ الرهان
مُت تحت ظلِّ المرهفاتِ فإنَّ هذا العمر فانى
أو عِش كريماً فى حياتك هاجراً دارَ الهوانِ
واذا رأيت العزَّ أبعدَ والهوانَ اليك دانى
فالحزمُ موتٌ باعتزازٍ لا حياةٌ فى هوان
فالحرُّ إن سيمَ المذلة صاحبَ العضب اليمانى
واذا نبت فيه المعاهدُ حلَّ فى كُور الهجان[٢]

وقال متحمساً :

لا تحنّى اذا أخو الشوق[٣] حنّا أنا يا ورق للشجا منك أدنى
وعلى مائس الأراك تغنّى ودعى النوح للكئيب المعنّى
ليت عهدى بحىّ نعمان يغدو راجعاً والمحالُ ما أتمنّى
نزلوا بالغضا فأضحت عليه أضلعى من ترادف الشوق تحنى
لفتاةٍ فى ذلك الحىّ تغدو وهى من نشوة الصبا تتثنّى

---

(١) البيت لحميد بن ثور الهلالي يصف به الذئب لان العرب تزعم ان الذئب ينام بعين واحدة ويفتح الاخرى للحراسة ، ويروى باخرى المنايا .

(٢) الكور : ما يوضع على البعير كالسرج على الفرس ، والهجان : الأبل البيض .

(٣) وفي نسخة : الوجد

عوّذت خدرَها الفوارس بالبيض وسمر الرماح ضرباً وطعنا
أين منها متيمٌ كلما اشتاق اليها هفا غراماً وأنّـا
طوحته يـدُ الليـالى بهيماءَ فأمسى مستوحش الفكر مضنى
نازحاً عن دياره تترامى فيـه أيدى المطىّ سهلاً وحزنا
قد رثى لى الأنام انسٌ وجنٌ مذ شجيت الأنامَ إنساً وجنا
طرح الدهرُ كفة الغدر يصطاد بها الماجدين فى كل مغنى
يبتغى ذلّهم ونقصَ علاهم ومحـالٌ ما يبتغى الدهرُ منّـا
نحن أبناءُ هاشمٍ أربط العا لم جاشاً وأكثر الناس مَنّـا
قـد قفونا آباءَنا الغرّ بالما ل سخاءً وبالمـكارم ضنّـا

المدائح

قال يمدح الحاج محمد صالح كبه :

فيا نيّر الدنيا الذى بضيائه ... جلا عن محيّاها ظلامَ الغياهبِ
عجبتُ لمن يبغى عُلاك بسعيه ... وما هو من أبناء هذى المطالب
وما هو إلا كالمناسم لو سعتْ ... مدى الدهر لا تسمو سموَّ الغوارب (١)
وأعجب منه من يجاريك (٢) فى الندى ... وعندك يُلفى باسطاً كفَّ طالب
يهابك إذ تبدو وِمرجل ضِغنه ... من الغيظ يغلى (٣) منه خلف الترائب
ويطرق إجلالاً بحيث تظنه ... قد انعقدت أهدابه بالحواجب
فحسبك فخراً أنَّ فرعك ينتمى ... لعرق علىٍّ فى طينة المجد (٤) ضارب
ولو بنداك البحر يُقرنُ لم يكنْ ... بجنب نداك البحر نهلةَ شارب

وقال يمدح السيد سلمان النقيب (٥) ، وقد التمسه بعض الأشراف :

حدرتْ بأطراف البنان نقابَها ... مرحاً فأخجل حسنُها أترابَها (٦)
وجلت غداة تبسّمتْ عن واضحٍ ... تستعذبُ العشاقُ فيه عذابها
قتالةَ اللحظات ، فهى اذا رنت ... وَجد المشوقُ سهامها أهدابها
من حور (عدن) أقبلت لكنَّها ... لم يحك مختومُ الرحيق رضابها
سارقتُها النظرَ المريب بمقلةٍ ... لم تقض من لحاتها آرابها

---

(١) المناسم : مفرده منسم ، طرف خف الابل . الغارب : السنام ، أعلى كل شيء .
(٢) في الديوان المطبوع : يجاديك .
(٣) وفيه : يغلو
(٤) وفي نسخة : العرب
(٥) هو السيد سلمان بن السيد علي بن السيد سلمان النقيب الكيلاني الملقب بالمحض ، تلقى النقابة بعد أبيه ببغداد ، وكان له قدر كبير عند ملوك آل عثمان ورجالات العراق ، وكان مهيباً ذكياً استطاع أن يمد نفوذه الى كثير من بلدان العراق ، توفي ببغداد عام ١٣١٥ هـ وتأريخ وفاته :

وثقت بالفرد وأرختـه ... مضى نقيب الملك سلمان

(٦) جمع ترب : المتساويات في السن .

فرأيتُ في تلك الغلائل(١) طفلةً ... لم تدرِ إلا عطرها وخضابَها
ولقد دعوتُ وما دعوتُ بجيبةً ... ودعَتْ بقلبي للهدى فأجابها
أعقيلةَ الحيَّين شقتُ فنوَّلى ... كبداً هوتك فكابدتْ أوصابها(٢)
ما دميةُ المحراب أنتِ بل التى ... تُنسين نُسّاكَ الورى محرابها
وأسرُّ ما ضمَّ الضجيعُ غريرةً ... لبست شبابك لا نزعتَ شبابها
يا هل سبتْكَ بلحنها ابنةُ نشوةٍ ... إن تشدُ رقَّصت الكؤوس حبابها
بعثتْ حديث عبيرها لكَ فى الصَّبا ... فأرقَّ أنفاس الصَّبا وأطابها
طربتْ لوصلك فاصطفتْ لك دلّها ... وأتتك تغربُ فى الهوى إغرابها
وحبتكَ ما خلفَ النقاب وإنها ... لمراشفٌ حذر(٣) الهلال نقابها
حذّرته عن قمرٍ يودُّ رقيبه ... لو أنها استخشت عليه ثيابها
فارشفْ أغرَّ كأنَّ ناسقَ دُره ... فيه تناول شهدةً فأذابها
وانشق معطَّرة الثرى بمطارفٍ ... خطرتْ تجرُّ على الثرى هُدّابها
نضتْ الحجاب ولو عليها أسبلتْ ... تلك الفروعَ إذاً أعدنَ حجابها
هتكتْ أشعةُ نورها ستر الدجى ... وجلونَ من تلك الفجاج ضبابها
فكأنَّ ليلة وصلها زنجيةٌ ... حنقتْ عليكَ فمزقت جلبابها
وكأنَّ أنجمها الثواقب فى الدجى ... حدقٌ تراقب فى الحجال كِعابها
تحكى ـ وقد قلقت ـ اميمةُ عندما ... وصفتْ لعينكَ قرطها وحقابها
لا بل حكتْ ـ قلقاً ـ قلوب معاشرٍ ... ضمِنَ (النقيبُ) بعزّه إرهابها
وأرى السهى خفيت خفاءَ عِداته ... لحقارةٍ حتى على مَن هابها
خفَّت مراسيلُ الثناء بمُثقِلٍ ... فى شكر أنعمه الثقال رقابها

---

(١) الغلائل : الثياب الرقيقة

(٢) جمع وصب : السقم

(٣) في الديوان المطبوع : حسد

لمقامٍ ظفرَ الخطوب بنجدةٍ   قلقتْ لأفواه النوائب نابَها
ملكٍ إذا استنهضته نهضتْ به   هممٌ تدكُّ على السهول هضابها
وإذا الحميَّـــة ألبسته حفيظةً   نزعتْ لخيفته الضراغمُ غابها
فاذا المطالبُ دون قصدكَ ارُتجتْ   فاقرعْ بهمته ، ـ وحسبك ـ بابها
رضع المكارمَ ناشئاً فى حجرها   وكفى المظالمَ واطئاً أعقابها
فوقاءُ طلعته الكريمة أوجهٌ   جَعلتْ عن الوفد القطوب حجابها
وفداءُ أنمله النديَّـة أنمـلٌ   لم تندَ لو قرض القريض إهابها
ما زال يبتدئُ المكارم غضَّةً   حتى على الدنيـا أعاد شبابها
أبنى الزمان وراءكم عن غايةٍ   ما فيكم مَن يستطيعُ طلابها
كم تجذبون مطـارفَ الفخر التى   نسجتْ لسيد (هاشمٍ) فاجتابها
اللهُ جلببه الرياسة فيكمُ   أفعنه ينزع غـيرُهُ جلبابها ؟
فدعوا له صدر الوسادة واقعدوا   قاصين عنها ، لستمُ أربابها
للفاطمىّ (القادرى) ومَن له   حسبٌ من الأحساب كان لبابها
تنميه من علياء (هاشم) اُسرةٌ   وصل الإله بعرشه أنسابها
أنتَ الذى ورث السيادة عن أبٍ   ورث النبوةَ : وحيَها وكتابها
أقررتَ أعين (غالبٍ) تحت الثرى   وسررت ثَمَّ (قصيها) و (كلابها)
كانت مقلدَةً رقابَ مضاربٍ   منها تعلّمت السيوفُ ضِرابها
واليوم لو شهدتْ لسانك لانتضتْ   منه بكل وقيعةٍ قِرضابها
وأرى النقابة منكَ لابن سمائها   ضرب الإله على النجوم قبابها
وأحلّك الدار التى لجلالها   عنت الملوك وقبّلت أعتابها
دارٌ تمنّى النيراتُ لو أنها   لثمت بأجفان العيون ترابها
هى منتدى شرفٍ من الدار التى   كانت ملائكة السما حجّابها
حزتم بنى النبأ العظيم مآثراً   حتى الملائك لا تطيق حسابها

فيمن تفاخر والورى بأكفكم ... جعل الإله ثوابها وعقابها
كنتم على أولى الزمان رؤوسها ... شرفاً وكان سواكمُ أذنابها
ولهاشمٍ في كل عصرٍ سيدٌ ... يجدونه لصدوعهم رءابها(١)
واليومَ أنت وحسبهم بكَ سيداً ... لهم تروض من الامور صعابها
لحدتْ قوافي الشعر باسمك مذ لها ... راضت خلائقك الحسان صعابها(٢)
ولقد رأيتك في المكارم مسهباً ... فأطلنَ عندك في الثنا إسهابها
فطرحنَ في أفناء مجدك ثقلها ... ونضونَ عن أنضائهن حقابها
وأطفن منك بجنب أكرم من رعى(٣) ... لبني ارومة مجده أنسابها
يطلبن منك عناية نسمو بها ... حتى نطاول في العلى أربابها
فاذا بمن لكَ تصطفيه خلطتنا ... كنا لدائرة العلى أقطابها
ونرى لكَ الدنيا بعزّك أعتبتْ ... من بعدما كنا نملُّ عتابها
يا من له انتهت العلى من (هاشمٍ) ... قد سُدتَ هاشم شيبها وشبابها
فاضرب خيامك في الذرى من مجدها ... واعقد بناصية السهى أطنابها

وقال يمدح بعض اخوانه :

هل الحبُّ إلا ما أذاب حشا الصبِ ... فإن لم تذبْ فيه فلا خير في الحبِ
وخيرُ خليليكَ الصفيين من صفا ... لك الودُّ منه في بعادك والقرب
على النأي يمسي ذا جفونٍ كأنما ... تكلّفُ أن يحصي بها عدد الشهب
ولا خير في ود إمرئٍ تستديمه ... بعتبٍ، وأوشك أن يزول مع العتب
ألم ترني أصفيتُ ودّي لماجدٍ ... كأنّ - على ما نابني - قلبُه قلبي

---

(١) الرءاب : الذي يصلح الصدع .
(٢) الصعب في البيت السابق : ضد السهل . وفي البيت الثاني : الجمل المتروك الذي لم يرض .
(٣) وفي نسخة : دعا .

وقال ، وقد أرسلها فى ضمن كتاب عن لسان الميرزا جعفر القزوينى الى السيد عبد الرحمن النقيب :

بنوركَ لا بالنـيّرات الثواقبِ أضاء حمى (الزوراء) من كل جانبِ
طلعتَ طلوع البدر فيها فلم تدعْ[١] على الأرض فخراً للسما فى الكواكب
خلعت عليها من بهائكَ حُلةً بها اختالت اليوم اختيال الكواعب
وألبستَها عِقداً من الفخر ناظماً لها الدرُّ فيه وهو درُّ المناقب
فما أنت إلا بحرُ علمٍ تتابعتْ عجائبه والبحر جمٌّ العجائب
وما أنت إلا روضُ فضل تحدّثتْ بريّاه أنفاسُ الصبا والجنائب
وما أنت إلا ديمــةٌ مستهلةٌ بعرف من اللطف الإلهيِّ ساكب
أخو هممٍ لو زاحم الدهرُ بعضها ثنته بصغراها حطيمَ المناكب
سما مفرقَ الجوزاء مجدُك عاقداً ذوائبه منها عُلىً فى الذوائب
وجارك[٢] من قلنا له : أين من جرى على الأرض من مجرى النجوم الثواقب
أرحْ غاربَ الآمال عنك فلم ينلْ مكانَ الدرارى فوق هذى الغوارب
وراءك أبرادٌ لعلياء[٣] لم تكنْ تمدُّ الثريا نحوها كفَّ جاذب
فيا بن المزايا (القادرية) أعجزتْ مزاياك فى تعدادها كلَّ حاسب
غلبنا بك الصيدَ الكرام على العلى فحقُّك أن تدعى بسيّد غالب
يروقك ما قد طرّزتْ لك وشيَه صناعُ القوافى لا صناعُ الكواعب
فدمتَ على هـام المجرّة ساحباً مطارف فخرٍ طاهرات المساحب

وقال يمدحه أيضا[٤] :

لقد قلتُ للأرض ادعتْ بنجومها : عليكِ السما فخراً فقالت : اجيبُها
لئن هى بالإشراق منها تزيّنتْ فما الفخرُ إلا حيث حلَّ (نقيبها)

(١) في نسخة : يدع . (٢) وفي نسخة : واجراك .
(٣) في نسخة : وراءك عن ابراد علياء . وفي المطبوع : ودائك عن ابراد .
(٤) لم يثبت البيتان في الديوان المطبوع .

وقال يمدح بعضهم :

يا خير من صنع الجميلَ	لربّــه متقــرّبا
وحنا على أبنــاء فا	طمةٍ فكان لهم أبا
ورعى حقوق المؤمنينَ	ترؤفاً وتحــدّبا
قد جئتَ فى زمن القطيـ	عة واصلاً من أتربا
لحَظَ الإله بك الكرا	مَ فكنت مُنهض من كبا
وحفظتَ ماء وجوههم	عن أن يُراق ويسكبا

وقال يمدح السيد على النقيب (١) ضمن رسالة بعث بها اليه عن لسان بعض سادة آل القزوينى :

الفخرُ شاد بكم قبابَه	والشعرُ زان بكم كعابه
والعلمُ فى الدنيــا بثا	قب فكركم أذكى شهابه
لكم الكلام وأنتم	امراء معركة الخطابه
مَنْ ذا يراجح حلمكم ؟	والحلمُ ما زلتم هضابه
أم مَنْ يطاولكم عُلىً	ومن العلى لكم الذؤابه
لكم النبوة ، والإمــا	مة ، والسيادة ، والنقابه
مَنْ قال : لى فخرٌ كهـ	ذا فليعدْ لنا انتسابه
هذى الرياسة لا كمن	كانت رياسته ثيابه

---

(١) هو السيد علي بن السيد سلمان بن مصطفى بن زين الدين الصغير بن محمد درويش ابن حسام الدين ، من ذرية الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، في طليعة الشخصيات العراقية في عصره كان مهيباً عند سلاطين آل عثمان ، ومحترماً عند ولاتهم الذين يفدون الى بغداد ، وكان نقيب أشراف بغداد ، خلفه في النقابة ولده السيد سلمان في ٢٨ ربيع الاول من عام ١٢٨٩ هـ وقد توفي هو في ٢٤ ربيع الاول يوم السبت من العام نفسه . خلف من الاولاد خمسة وهم : سلمان ، عبد الرحمن ، زين الدين ، عبد الله ، أحمد .

هتف الرجاء فكنتمُ ... بالفضل أول مَن أجابَه
وحميتمُ ثغر العلى ... وكذاك يحمى الليثُ غابه
أنفت يداكم أن تسا ... جل بالندى حتى السحابه
وبجودها حلفت بأن ... تدع الكرامَ ولا صُبابه (١)
يا ابن الذين رواقُ عزّ ... همُ يحجّب بالمهابه
واللابسين رداءَ فخـ ... ـرهمُ تطرزه النجابه
ماذا أقول ومدحكم ... شحنَ الإله به كتابه

وقال يمدح صبحي بك عن لسان العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني :

لتلق(٢) ملوك الأرض طوعاً يد الصلح ... حذار حسام صاغه الله للفتح
وأجرى فرنداً فيه من جوهر العلى ... غدا يخطف الأبصار باللمع واللمح
فكم شقّ فجراً من دجى ليل حادثٍ ... وأضحك للأيام من أوجهٍ طلح
لو الدولة الغراءُ يوماً تفاخرت ... مع الشمس قالت أين صبحك من (صبحي)
فتىً في صريح المجد ينمى لمعشرٍ ... بيوتهم في المجد سامية الصرح
فتىً ولدت منه النجابة حازماً ... بعيدَ مجالٍ يرفد الملكَ بالنصح
أغرُّ لسيماء العلى في جبينه ... سنىً في حشا الحساد يذكي جوى البرح
له طلعةٌ غرّاء دائمة السنا ... هي الشمس لو تمسي هي البدر لو يضحي (٣)
هو البحر، بل لا يشبه(٤) البحرُ جودَه ... وهل يستوي العذب الفرات مع الملح

---

(١) الصبابة : آخر قطرات الماء في الاناء .
(٢) وفي مخطوطة الملا : لتلو
(٣) في الديوان المطبوع : لو تضحي ، كذا اثبت الأصل في النسخ الثلاث ، وفي نسخة (هي البدر لو تمسي ، هي الشمس لو تضحي) .
(٤) في الديوان المطبوع : هي البحر ، ولا بل : جاءت في المخطوطتين .

يزوّج آمال العفـاة بجـوده ويقرنه فى الحـال فى مولد النجح
ويبسط كفاً رطبة من سماحة اذا قبض اليبسُ الأكفُ من الشح
أرى المدح فى الأشراف أفضل زينة ولكنه فى فضله شرف المدح
هو السيفُ، بل لا[1] يفعل السيف فعله بقوم على الأضغان مطويّة الكشح
فقاتلُ أهل الضغن بالبطش لم يكن كقاتل أهل الضغن بالبطش والصفح
هو الرمحُ سلْ عنه فؤادَ حسوده بما بات يلقى من شبا ذلك الرمح
تجدْه كليماً وهو أعدل شاهدٍ فيا شاهداً أضحى يعدّلُ بالجرح[2]
اليكَ ابن امّ المجد[3] عذراء تجتلى كأنّ محيّا وجهها فلق الصبح
بها أرجٌ من طيب ذكرك نشره يعطّر أنفاس الصبا لك بالنفح
تودُّ بناتُ النظم أنْ لو حكينَها ويا بعدَ ما بين الملاحة والقبح
لقد فاز فيها قدحُك اليوم مثلما غدت وهى فيك اليوم فائزة القدح
فليس لها كفءٌ سواكَ ولم يكن يليق سواها فيك من خرّد المدح

وقال مادحاً الحاج محمد صالح كبه :

لا زلتَ يا ربع الشباب حميدا باقٍ وإنْ خلقَ الزمانُ جديدا
ما أنتَ للعشاق إلا جنّةٌ صحبوا بها العيشَ القديمَ رغيدا
أيام كان العيشُ غضاً ناعماً والدهر مقتبل الشباب وليدا
والدار طيّبة الثرى مما بها يسحبنَ ربّات الخدور برودا
يستاف زائرُها ثراها عنبراً فيكذّبن طرفاً يراه صعيدا
يعطو الى عذبات فرع أراكةٍ ظبيٌ تفيأ ظلّها الممدودا
غنجٌ يسلُّ من اللواحظ مرهفاً يغدو عليه قتيله محسودا

---

(١) في المخطوطتين : لا بل .
(٢) اجمل تورية جاء بها الشاعر في هذا البيت .
(٣) في الديوان المخطوط : ابن ام الموت .

هو مُنتضىً فى الجفن إلا أنه ... بين الجوانح يغتـدى مغمودا
أضحت ضرائبه(١) القلوب تعدّ أد ... ماها به ، وهو الشقىُّ ، سعيدا
وشقيقُ خديه النقىُّ من الحيا ... أضحى بعقرب صدغه مرصودا
يمسى سليماً يشتفى بالريق مَن ... باللثم ، بات بقطفه معمودا
كم بتُّ معتنقاً له فى ليـلةٍ ... بات العفاف بها علىَّ شهيدا
وكأنما فى الأفق هالةُ بدرها ... وبها الكواكب قد طلعنَ سعودا
نادٍ (محمدُ) حلَّ فيـه وولده ... بعلاه حفَّت ناشئاً ووليـدا
هو دارةُ الشرف التى قد مهّدت ... أبد(٢) الزمان بعزّهم تمهيدا
فرشوا بساحة أرضه القمرين وا ... تكأوا على زهر النجوم قعودا
متعاقدين على المكارم أحرزوا ... شرفاً تماثل طارفاً وتليـدا(٣)
وعليهمُ قطبـاً فقطبـاً دائرٌ ... فلكُ الفخار ابوّة وجدودا
كانوا قديماً والعلى صدفٌ لهم ... دراً تناسق فى الفخار نضيدا
وأبوهم البحرُ المحيط وقد بدوا ... منه على جيد الزمان عقودا
هو لجّة المعروف ما عرفت بنوال ... دنيا سـواه منهـلاً موروداً
وبقيةُ الأمجاد لم يُرَ(٤) غيره ... خلفاً لهم فوق الثرى موجودا
مستظهراً بعناية من ربه ... وقفت عليـه العزُّ والتأييدا
متمحضٌ لله فى أفعـاله ... بالغيب يخشى الخالق المعبودا
فكأنما الأعضاء منه أعينٌ ... تذكى(٥) جهنّمُ نصبهنّ وقودا

(١) الضرائب : جمع ضريبة : المضروب المقتول .
(٢) في الديوان المطبوع : أيدي .
(٣) الطارف : الحديث ، والتالد : القديم .
(٤) في الديوان المطبوع : لم يك .
(٥) في مخطوطة الملا : تذكو .

لم تجترحْ ذنبا جوارحُ جسمه ... بل كان عن[1] خطط الذنوب بعيدا
فتراه مرتعدَ الفرائص رهبةً ... لا باحتمال خطيئةٍ مجهودا
يمسى بنفسٍ لا تميلُ مع الهوى ... لله يحيي ليـله تهجيـدا
واذا تجلّى الليل أصبح[2] باسطاً ... للوفد كفاً ما تغبُّ الجودا
نسكٌ كما شاء الإلهُ وأنعمٌ ... لم يحصها إلا الإلهُ عديدا
يا من لو اقتسم الأنامُ صلاحه ... ما سنَّ فيهم ذو الجلال حدودا
لله منجبةٌ ولدتَ بحجرها ... كان التقى فى حجرها مولودا
لا تغتذى بغذا الجنين نزاهـةً ... لكن غذيت الشكرَ والتحميدا
وبرزت والدنيا جميعاً جهـلٌ ... علماً جلا منها الغواشى السودا
وغدتْ وكانت عاقراً امُّ الندى ... لمَّا تطرَّقها نـداك ولودا
تنميك من سلف المعالى اسرةٌ ... غلبوا على الشرف الكرام الصيدا
من كل معصوم البصيرة لم يزلْ ... منه الرداءُ على التقى معقودا
لم يرتفعْ لك بيتُ مكرمةٍ لهم ... إلا وكان له (أخوك)[3] عمودا
شهدتْ صفات «أبي الأمين» بأنه ... فضُلَ البريّة سيداً ومسودا
وأحلّه حيثُ استحقَّ من العلى ... حسبٌ على الأحساب نال مزيدا
بذلَ السماحَ بذا[4] الزمان وإنه ... لأعزُّ من «بيض الانوق» وجودا[5]
وعلى حياض سماحه اختلف الورى ... شرقاً وغرباً مصدراً وورودا
يزداد منهلُ عرفه فيضاً اذا ... جفَّتْ ضروعُ الغاديات جمودا
ما إن غدا[6] فى العرف مبدأ غايةٍ ... إلا لها ابنُ أخيه كان معيدا

(١) في الديوان المطبوع : من .
(٢) والأنسب أن يقول : أمسى .
(٣) يقصد به أخاه عبد الكريم . لا تأتي الواو بعد الا ، والأنسب أن يقال : الا أقام له .
(٤) في مخطوطة الملا : من الزمان .
(٥) بيض الانوق : مثل يضرب على شيء لا يمكن الحصول عليه .
(٦) في مخطوطة الملا : بدا

ليس الحيا الوسميُّ من جدوى محمـ ... ـدِ الرضا فى المحل أنضر عودا
قد جاورتْ مغناهُ دجلة فاغتدى ... بنـدى يديه ماؤها ممـدودا
والبحر من يُمسى ويصبح جاره ... لابد أنْ يمتاح منه الجودا
جذلان يشرق للسماحة كلما ... دفع الظلامُ له الركابَ وفودا
يسترشدون بنور أبلجَ إنْ خبا ... ضوءُ النجوم يزد سناه وقودا
بأغرَّ يغلب وجهه شمس الضحى ... بضـيائه حتى تموت خمـودا
ما المجـد منتحلٌ لديـه وإنما ... ولدته امُّ المكـرمات بجيدا
قـد حلـَّقتْ فيه لأرفع رتبةٍ ... هممٌ تناهتْ فى العلوّ صعودا
وحوتْ له النفسُ الكريمة سؤدداً ... أمسى بناصية السهى معقودا
فاذا عقود المجد(١) فُصـِّل نظمُها ... كانت مناقبـه لهنَّ فريدا
هو شمس افق المكرمات وبدرها الـ ... هادى لمن أمسى يجوب البيدا
ورث السماحة من خضمّ سماحةٍ ... فغدا بمجموع الفخار وحيـدا
ذا الشبلُ من ذاك الهزبر وإنما ... تلد الاسودُ الضـاريات اسودا
يا من تعذَّر أن يحيط بوصفهم ... نظمٌ ولو ملأ الزمان قصيدا
والجامعين المكـرمات بوفرهم ... مذ أكثروا فى شمله التبديدا
ولهم بأندية العلاء اذا بدوا ... تهوى الأعاظم ركّعاً وسجودا
أهدتْ لجيد علاكم ابنةُ فكرتى ... درر الثنـاء قلائداً وعقودا
جُليتْ محاسنها عليكم فاجتلوا ... منها لمجدكم كعاباً رودا
هى نثرةٌ تضفوا(٢) على أحسابكم ... زُغفٌ خلفتُ بنسجها داوودا
قد خلَّدت لكم الثناء وسؤلها ... إنَّ الثناء لكم يدوم خلودا
فبقيتمُ فى غبطةٍ من ربّكم ... لكنْ بقاءً لم يكن محدودا

---

(١) في الديوان المطبوع : المدح ، وهي الأنسب .
(٢) في الديوان المطبوع : تصفو .

وقال مادحا العلامة الكبير السيد مهدى القزوينى [١] وقد تلف بعضها فى عهده :

لقد رحلتْ عن ودّنا فيه جفوةٌ ... وبعد الجفا فيه يُراجعُ بالودِ
فنحن على ما كان من عهد حبّه ... أقمنا ولم نعزمْ رحيلاً عن العهد
وكم ليلةٍ ليلاء فيه [٢] سهرتها ... وقد ملّ طرف النجم فيها من السهد
يبيت خلياً قلبهُ من صبابةٍ ... ولم يدرِ من برح الصبابة ما عندى
وكنّا اذا شطّتْ بنا الدار أو دنتْ ... صفيين لم نكدرْ على القرب والبعد
وإنى لتصبينى على النأى والجفا ... اليه سجايا منه أحلى من الشهد
خليلىَّ عندى اليوم لو تعلمانه ... عجيبُ غرامٍ فاسمعا منه ما ابدى
ألم يزعموا أن القلوب لأهلها ... شواهدُ منهم بالقطيعة والودّ
فما بالُ قلبي محكماً عقدة الهوى ... لمن حلَّ من حبل الهوى محكم العقد؟
وهل أنا وحدى يا خليلىَّ هكذا ... وجدت به أم هكذا كل ذى وجد؟
وبالفرد من أعلام نجدٍ سقى الحيا ... عهودَ حمى ذيالك (العلم الفرد)
منازل يستوقفن كلَّ أخى هوىً ... ويحبسن أيدى الواخدات عن الوخد
لنا طلعتْ فى غربها الشمس آيةً ... فقلتَ لنا البشرى بها ظهر (المهدى)
أنى الخلفُ ابن المجتبي الحسن الذى ... غدا قائماً بالحق يهدى الى الرشد
إمامُ هدىً نور النبوة زاهرٌ ... بطلعة بدرٍ وهى [٣] كاملة السعد
ومن عطفه نشرُ الإمامة فائحٌ ... له أرجٌ يغنيك عن أرج النـدّ
به حفظ البارى شريعة جدّه ... وشيّد من أركانها كلَّ منهدّ
فقام بمبيّضٍ من الرشد هادياً ... الى الحق فى داجٍ من الغيّ مسود

(١) مرت ترجمته في الجزء الاول من الديوان ص ٢٣٦ .
(٢) في مخطوطة الملا : فيها .
(٣) في الديوان المطبوع : منه .

بقيـةُ أهل العلم والحلم والحجى | وأهل التقى والبرّ والنسك والزهد
ولولا احترامى باقر العلم قلتُ ما | له من ذوى العلم الأفاضل من نـدّ
فتىً حببتْـه فى النفوس شمـائلٌ | شذاهنَّ أذكى من شذا الشيح والرند
وطبعٌ كطبع الروض رقَّ هواؤه | بأسرار ريّاه تذيع صَبا نجد
وخلقٌ به لو يمزج الماءَ شـاربٌ | لما شكَّ فيه أنه الكوثر الخلدى
معيدٌ لما أبداه فى الجود لا كمن | اذا جاء لا يغدو معيداً لما يبدى

وقال مادحا محمد باشا بابان (١) بالتماس من السيد القزوينى أن يذكر اسمه كما هو مذكور :

من محمد رشيد باشا ببانى | استمدَّتْ أهل النهى كلَّ رشدِ
ملكٌ قد تقلد الأمر والنهىَ | ببـأس على العدوّ أشـدّ
مستضاءٌ برأيه كل آن | مستشارٌ فى كل حل وعقـد
بسط العدل رأفةً وطوى الجو | ر جميعاً من كل غور(٢) ونجد
فالورى لا بتهـالها لعلاه | تستديمُ البقاءَ من غير حـدّ
ماجـدٌ أحرز الوزارة إرثاً | عن أبٍ ماجدٍ وعن خير جـدّ
لا تقسْـه بغيرهِ فى المعالى | ما قـديمُ الفخار كـالمستجدّ
قـد نضته يدُ الإمارة سيفاً | يخطف العينَ فى شعاع الفرند
وبه أورت النجابةُ زنـداً | نخبا من ملوكها كلُّ زند
فـداءً لها الملوكُ جميعاً | وبحقٍ جميعها لك أفدى
إنمـا أنت قطبُ دائرة الفخ | ر وعنوانُ كل شـكرٍ وحمد

(١) هو محمد رشيد بن ابراهيم بابان جد الاسرة المعروفة ، كان حاكماً اداريـاً في الحلة عام ١٢٩٦ هـ وهو الذي شيد سراي الحكومة فيها عام ١٣٠٠ هـ وبقي الى أن هدمته الحكومة العراقية .

(٢) في مخطوطة الملا : عن كل غرب .

بك فيحاؤنا اكتست كل فخرٍ ما اكتست مثله لفخرٍ ببرد
سعدت فيك فهي في كل آنٍ تتباهى بطالعٍ منك سعد
يا عيون الفيحاء قرّى بولىً فيه يقذى طرف الخصيم الألد
وبه فاخري الممالكَ طراً واستطيلي بعزّةٍ واستبدّي

وقال يمدح حسام الدين (١) أفندي بالتماس العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني :

أطلع شمسَ الراح ليلاً أغيدُ كأنه من نورها مجسّدُ
وزفّها تحت الدجى فاشتبهت (٢) مدامهُ وخدّه المورّدُ
فلستُ أدرى أجلا لامعةً بكفه بها المدامُ عسجد
أم يده (٣) البيضاء في رقتها بها شعاعُ خده يتقد
ساقٍ من الجوزاء وهو المشترى نطاقهُ وعقده المنضّد
شمس الضحى تودُّ لو كان ابنها وهي لها بدرُ السماء ولد
اذا أدارت كفه لثامه خلتَ الثريا للهلال تعقد
من لي بقطف زهرةٍ من خده وعقربُ الصدغ عليها رصد
موردُ الوجنة ما استخجلته إلا وماء الورد منها بدد
مطّردٌ في خدّه ماء الحيا ماء الحيا في خدّه مطّرد
علقته نشوانَ من خمر الصبا سبطَ القوام (٤) فرعه مجعّد
أهيفُ كم تعطفت قامته وهو لألحان الغنا يردد

---

(١) ورد ذكر هذا الرجل في ديوان الأخرس وقال فيه : الحسيب النسيب حسام الدين الحلبي قدمي زاده قائمقام البصرة ، وعلى هذا فقد تنقل في وظائف عديدة منها حاكمية الحلة في عهد الشاعر .

(٢) في المخطوطتين : فاشبهت .

(٣) في الديوان المطبوع : أو كفه البيضاء من رقتها .

(٤) سبط القوام : معتدله .

تعطّف البانة يثنيها الصبا · وفوقها قريّة تغرّدُ
بدرٌ ولكن فى الجمال يوسفٌ · لحسنه بدرُ السماء يسجد
وشوقىَ الكامل ليس حرُّه · يطفيه إلا ريقهُ المبرّد
ما الحسن إلا جمرةٌ بخدّه · وجمرة فى القلب منّى تقد
أبردُ هاتيك بلثم هذه · يا مَن رأى ناراً بنارٍ تبرد؟
نارٌ ولكن هى عندى جنّةٌ · من لى لو فيها فمى يخلّد؟
كم ليلةٍ بات بها مُنادمى · الى الصباح والوشاة رقّد
وسنان لم أجذبْ إلىّ خصره · إلا ثنى أعطافه التميّد (١)
حتى يُرى وخصرُه من رقةٍ · علىّ فى انعطافه منعقد
أعدْ علىّ صاحبى ذكر الطِلا · وعدّ عما يزعم المفنّد
راحك يا ابن النشوات فاغتنمْ · حظك منها والعذار أسود
وعصر (٢) اطرابك فى اقتباله · والعيش غضٌ لك فيه رغد
وعاقر الراح يحيّيك بها · شريكها فى اللبّ إذ يغرّد
ما ولدتْ امُّ الجمال مثله · وأقسمتْ بأنها ما تلد
ما لستجمع اللذات إلا مجلسٌ · على معاطاة الكئوس يعقد
ما هو إلا للندامى فلكٌ · به من الكأس يدور فرقد
أو روضةٌ فيها الخدود مجتنى · من السقاة والشفاه مورد
وشادنٍ (٣) وفرته ريحانة · بطيب ريّاها النسيمُ يشهد
يا طالب العدل هلمّ ظافراً · فالعدلُ شخصٌ قد حواه بلد
أما ترى (الفيحاء) كيف أصبحت · والجور من ورائها مشرّد
هذا (حسام الدين) بين أهلها · أصبح والملكُ به مقلّد

(١) التميد : الاهتزاز والحركة .
(٢) في الديوان المطبوع : وعطر .
(٣) الشادن : ولد الظبية . الوفرة : ما ترسل من الشعر على الاذنين .

جرت ملوكُ العصر فى مضماره لغايةٍ إلا عليه تبعدُ
فجاء يجرى سابقاً ما مسحتْ غرّةَ علياه سوى العز يد[1]
فقلْ لمن يطمع فى عليائه قفْ صاغراً ليس اليها مصعد
فالمجد إرثٌ والندى سجيةٌ والحمد كسبٌ والعلاء مولد
تبصرُ فى رواقه محجّباً منه ولا حاجبَ إلا السؤدد
قد خدمت أقلامه بيض الظبا تُصدرها عن أمره وتورد
سيفٌ بكف الملك منه قائمٌ مقامَ خديه الطلا والعضُد
منزلتان ليس فى كليهما ينوب عنه الصارم المجرَّد
وأنتَ حيث باسمه شاركته لا تفتخرْ يا أيها المهنَّد
فهو على هام العداة منتضىً دأباً وأنت تنتضى وتغمد
إن أشعرتك رهبة[2] هيبته فمنه فى صدر الندىّ أسد
أغلبُ لا يطمح[3] فى حضرته طرفٌ ولا ينطق فيها مذود
مصورٌ فى شخصه روحُ النهى عليه أبراد الفخار جُدد
وغيره يغريك حسنُ شكله ومنه ما فى البرد إلا جسد
أبلجُ عنه واليه فى الندى تروى أحاديثُ الندى وتُسند[4]
لهم نداهُ مشركٌ فى وفره ومدحهم حقاً له موحّد
يا خيرَ من زار الثناءُ ربعَه فزار أزكى من نماهُ محتد
اليكها سيارةً مع الصبا تتهم فى نشر الثنا وتنجد
سحّارة الألفاظ (بابليّةً) امُّ الكلام مثلها لا تلد[5]
بل كلُّ معنى جاهليٍ قد غدا يودُّ منها أنه مولّد

(١) في مخطوطة الملا : سوى الفريد .
(٢) في المخطوط : رغبة . (٣) في المخطوطة : لا يطمع .
(٤) في مخطوطة الملا : وتنشد .
(٥) بابلية : نسبة الى بابل الذي يروى عنها السحر . وفي المطبوعة : ما تلد .

لا تحمد العودَ على قافيةٍ ... ما كلُّ عودٍ فى الامور أحمد
أنتَ فدمْ سيِّد أبناء العلى ... ونظمها للشعر فيك سيِّد

وقال يمدح السيد سلمان النقيب عن لسان بعض رؤساء الحلة :

سبقتَ الورى مجداً يدوم بلا حدّ ... فـكان بلا قبلٍ ويبقى بلا بعدِ
خلقتَ كما شاءتْ نقيبتك التى ... أتاها الندى كونى فـكانت بلا ندّ
وجئتَ الى الدنيا كما اشتهت العلى ... تعيد من المعروف أضعاف ماتبدى
وتبسط أندى من أديم غمامة ... بناناً يعلمّن الحيا كيف يستجدى
وفى الناس مَنْ يغدو به مستميحه ... كمستقطرٍ ماءً من الحجر الصلد
فيا لابساً برد السيادة لا شذاً ... من الفخر إلا وهو فى ذلك البرد
فبوركتَ من فردٍ حوى الدهر كله ... ببرد علاً منه طوى الناس فى برد[1]
زعيم النهى ما عطرت جيبها[2] الصبا
بأطيب نشراً من عبيرك والنـدّ
يقولون فى الدنيا بنتْ دارَكَ العلى ... فقلتُ بل الدنيا بها بُنيت عندى[3]
كذبْنا فذا رضوانُ بشركَ مخبرٌ ... يحدّث عنها أنها جنَّـةُ الخـلد
فمنكَ المزايا قد تقسَّمن فردَها ... وأعجبُ شيءٍ قسمة (الجوهر الفرد)
ألستَ من القوم الذين وليدهم ... يرشح طفلاً للعلى وهو فى المهد
فما حضنوا إلا بحجر نقابةٍ ... ولا رضعوا يوماً سوى حلم الرشد
فيا قمم الأعداء للإرض طأطئى ... ويا عينهم عودى من الجفن فى غمد

---

(١) وفي الديوان المطبوع : في فرد . وفيه : حوى الفخر .

(٢) في مخطوطة الملا : جيبه .

(٣) أخذه من قول أبي العيناء عندما خاطب المتوكل العباسي بعد فراغه من بناء قصره المسمى بـ (الجعفري) : الناس يبنون دورهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك .

نضا اللهُ في كف النقابة سيفها ... وقال احتكمْ ما شئت يا فاصل الحد
وهاتيكَ أبصارَ العدى وقلوبها ... فدونك ما تختاره من ذوى الحقد
ومما يعيرُ الأرض فخراً على السما ... ويبهى الحصا فيها على أنجم السعد
بيوتٌ بها قد أودع اللهُ منكم ... أطائب ما استصفاه من عترة المجد
لكم أذنَ اللهُ العظيم برفعها ... وأنتم مصابيحٌ بها الناس تستهدى
لوجهك قد صلى بها المدح والثنا ... لأنك فيها قبلةُ الشكر والحمد

وقال - رحمه الله - وقد سأله العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني ذلك :

نفسى بحبل ولاء (أحمد) أمسكتْ ... مذ أحكمتْ بنياط قلبي عقدَه
أنّي وفرضُ مودتي هي فيهمُ ... أجر الرسالة لستُ أنسى عهده
بل لم تزلْ كبدى تروّح وجدَها ... بنسيم ذكراه فتلقى برده
ماذا أقول على البعاد محرراً ... من نعت شوقٍ فيه أشكو بعده
وجميع أقلامى يكلُّ لسانها ... عن أنْ يحيطَ بوصفه فيحدّه
لكنْ اذا سأل الحبيب فؤاده ... علمَ الذى عندى بما هو عنده
هو ذاك غرةُ جبهة الحسب الذى ... لفخاره السامى أعدّ معدّه
من طينة الشرف التى من محضها ... بارى الأنام برى أباه وجدّه
من معدن الكرم الإلهيّ الذى ... لا خلقَ إلا وهو يشكو رفده
من بيت مختلف الملائكة الذى ... للحق يهدى من تطلّب رشده
من منبع الحكم(١) الذى يرد النهى ... منه ويصدر وهو يحمدُ ورده(٢)
من عترة الوحى الذين سما بهم ... حسبٌ له التنزيلُ يرفع مجده
ممن بعطف علاهمُ متضوّعٌ ... أرجُ الإمامة مهدياً لك ندّه

---

(١) في الديوان المطبوع : الحلم .
(٢) وفيه أيضاً : برده .

ممن على أُولى الزمان نداهم ... غمروا به حرُّ الزمان وعبده
فى كل عصرٍ منهم ابنُ نبوّةٍ ... جمع الإلهُ به المحاسنَ وحده
فردٌ يسدُّ مسدَّ أرباب النهى ... وجميعها ليستْ تسدُّ مسدَّه
واليوم هـذا (أحمدٌ) فى فضله ... فاضربْ بذهنـك أين تلقى ندَّه؟
جاءت رسـالته إلىَّ فقلتُ «ما ... كذب الفؤادُ بما رأى» لى ودَّه
ونظرتُ فى (معراج) رحلته التى ... قد نال «بالإسراء» فيها قصده
إذ سار مقتعداً «براق» عزيمة ... قد قرَّبت من كل افقٍ بعده
وأرتْه من آياته ما لا يَرى ابـ ... نُ مفازةٍ لو كان اعملَ جهده[(١)]
فأتى يقصُّ محاسنَ القصص التى ... قد أبطلتْ هزل الـكلام وجدَّه
أنبـــاءُ فضلٍ هنَّ أوحى آنها ... من غيب[(٢)] أسرار البلاغة عنده
أبغى الخطابَ له بوصفٍ جامعٍ ... لهباتـه فيه اخاطب مجــده
وأعود عما ابتغى متحيراً ... ماذا أقول: ولست أملك وجده[(٣)]
إذ عندى «القاموس» بعض هباته ... فتى سوى القاموس يشملُ رفده[(٤)]
وله لدىَّ صنيعةٌ من معدن الـ ... جود الذى فرض المهيمنُ حمده
بيضاء صافية الحديدة قد حكتْ ... بصفاء جوهرها لعينى ودَّه
وكأنَّ رونق ذلك الحسب الذى ... ينهى اليه بها[(٥)] أشاعَ فرنده
مشحوذةً كلسانه فكأنه ... فيها مكان الحدِّ رُكِّب حده
تروى حديث القطع عن ذى رونقٍ ... فيه النبيُّ أبوه أتحف جدَّه[(٦)]

(١) يصف بالابيات الثلاثة (رحلة) أهداها اليه ممدوحه قام بها في مختلف البلدان .
(٢) في مخطوطة الملا : من عيب .
(٣) في الديوان المخطوط : حده . وفي المخطوطة : مما ابتغي .
(٤) وفيه : وفده .
(٥) وفي المخطوطة : بما .
(٦) في البيت تورية جميلة في كلمة القطع . وفيها يشير الى السيف الذي عبر عنه بذي =

ما قطَّ رأس يراعةٍ فيها فتىً إلا تذكَّر ذا الفقار وقدّه[1]

وقال يمدح العلامة الشيخ محمد حسن آل يس الكاظمي[2] :

صباح الهدى من ضوء وجهك مسفر ومن نوره ليلُ التهجد مقمرُ
خُلقتَ كما شاء التقى غير منطوٍ على ريبةٍ فيما تسرُّ وتجهر
لكَ انتهت اليوم الرياسة للهدى وإنك قبل اليوم فيها لأجدر
ولم أدر حتى زار شخصك ناظري بأن التقى في الأرض شخصٌ مصور
وأعظم شيءٍ أن كفَّك لم يقمْ بها عرضُ الدنيا وكلُّكَ جوهر
يقرُّ بعين الدين أنك نيِّرٌ به حوزةُ الإسلام تزهو وتزهر
وفرّج صدري كون ناديك للتقى وأنك للأحكام فيه المصدّر
تخاصمتُ فيك البدرَ يشرق نوره وإنْ عليه حجتي منه أنور
فقال : كلانا زاهرٌ في سمائه فقلت : نعمْ لكنْ محيّاه أزهر
وقالت نجوم الافق : إني كثيرةٌ فقلت : مزايا شيخنا منكِ أكثر
وقال النسيم الغضُّ : إني لعاطرٌ فقلت : شذا أخلاقه منكَ أعطر
ودعْ راحتيه يا سحابُ فمنهما يصوب الندى طبعاً وأنت مسخّر
لقد نشأت من رحمة الله فيهما سحائبُ عشر بالعوارف تمطر
فيا علماء الأرض شرقاً ومغرباً كذا فليكنْ مَن للهدى يتخيّر
ويا خير مَن يرتاده آمل الورى فمنظره في روضةٍ منه يحبر
اذا قيل فيمن روضةُ الفضل تزهر وأيُّ بحار العلم أروى وأغزر ؟
اليكَ غدت تومي الشريعة لا الى سواك وأثنتْ وانثنت لك تشكر

= رونق ، وهو الذي أهداه الرسول الأعظم (ص) الى ابن عمه الامام علي (ع) وهو المعروف بذي الفقار ، وقد وصفه بالبيت الاخير مشيراً الى الكلمة المأثوره : ان ضرب عرضاً قط ، وان ضرب طولا قد .

(١) وفي المخطوطتين : وحده .

(٢) مرت ترجمته في الجزء الاول ص ١٨٥ .

وإن قيل مَن للمشكلات يحلها ... ذُكرتَ ولم تعقدْ (١) بغيرك خنصر

حليف التقى ما سار ذكرٌ لذى تقىً ... بمنقبةٍ إلا وذكرك أسير

لقد ضمَّ منك البردُ والبرد طاهرٌ ... فتىً هو من ماء الغمامة أطهر

فتىً حببتْه فى النفوس خلائقٌ ... يكاد بها من وجهه البِشرُ يقطرُ

فلو لم أبتْ فيها من الهمّ صاحياً ... لقلتُ هى الصهباء من حيث تسكر

اليكَ عروساً كنتُ أسلفت مهرها ... ولم تجلَ لولا أنها لك تمهر

شكرتكَ ما أسديته من صنيعةٍ ... تقدَّمت فيها والصنيعة تُشكر

عطاياً أتتْ منك ابتداءاً حسابُها ... إلىَّ وما كانت ببالىَ تخطر

وغير عجيبٍ إن بدا من محمدٍ ... بمنزلةٍ تشجى الحواسدَ حيدر

فما عصرُنا - إلا القيامة شدة ... وما فيه إلا حوض جدواك كوثر

رمتْ عنده الدنيا كبارَ همومها ... وهمتُه العلياء منهن أكبر

وطاف رجاها فى حماه محلقاً ... عن الناس حيث الكلُّ منهم مقصِّر

وقال يمدح الحاج محمد صالح كبه :

بنور وجهكَ لا بالشمس والقمر ... أضاء افقُ سماء المجد والخطر

وفى البريّة من معروفك انتشرتْ ... رواية الشاهدين السمع والبصر

تحدثوا عنكَ حتى أن كل فمٍ ... به عبيرُ شذاً من نشرك العطر

فذكرُك المسك بين الناس يسحق با ... للسان والفم لا بالفهر والحجر

وخلقُك الروضة الغنّاء ترهم (٢) فى ... نطاف بشرك لا فى ريّق المطر

وكفُّك البحر ما غاض الرجاء به ... إلا وأبرز منه أنفسَ الدرر

ودارُ عزك تغدو الوفد ناعمةً ... فيها بأرغد عيشٍ ناعمٍ نضر

بها الضيوفُ تحيي منك أكرم مَن ... يعطى الرغائب من بدوٍ ومن حضر

---

(١) في المخطوطة : يعقد .

(٢) الرهمة : المطر الخفيف الدائم .

حيث الجنان على بعدٍ تضيءُ بها للطـارقين ضياءَ الأنجم الزهرِ
لقـد غدا الافقُ العلويُّ يحسدها على مواقـــدها فى سالف العُصر
وودَّ لو أنها كانت به بدلاً من الـكواكب حتى الشمس والقمر
فالشهب والبدر يطفى الصبحُ ضوءَهما والشمسُ فى الليل لم تشرقْ ولم تنر
لـكنَّ دارك لم تبرحْ مواقـدُها مضيئةً تصل الإصباحَ بالسحر
ما زلتَ ترفع فيها للقِرى كرماً ناراً شكا الافقُ منها لافحَ الشرر
يا مقرضَ الأرض فى عصرٍ به وثقت بنو الزمان بكنز البيض والصفر
كأنمـا اللهُ لم يندبْ سواكَ الى قرضٍ يضاعفهُ فى محكم السور
فلم تـكنْ بشراً بل أنتَ روحُ ندىً للعالمـين بدتْ فى صورة البشر
يفدى يديكَ ابنُ حرصٍ لا حياء له يلقى العفاةَ بوجهٍ قُدَّ من حجر
جرى لعلياكَ من جهلٍ فقلتُ له : لقد جريتَ ولـكنْ جريَ منحدر
سما بك الحظُ إلا عن علاء أبى الـ مهدى حطَّك ذلُ العجز والخور
أنتَ المعذَّبُ بالأموال تجمعها خوفَ البغيضين من فقرٍ ومن عسر
وهو المفرِّقُ ما يحويه مدخراً كـنزَ الخطيرين من حمدٍ ومن شـكر
ما ديمـةُ القطر من صغرى أنامله للمحل أقتـلُ فى أعوامه الغُـــبر
يا ناظراً سيرَ الأمجاد دونك خذْ منه العيانَ ودعْ ما جاء فى السيَر
تجـدْ به من أبيه كلَّ مأثرةٍ ما للحيا مثلها فى الجـود من أثر
يريكها هو أو (عبدُ الـكريم) بلا شكٍ وأيُّهما إنْ شئتَ فاختــبر
لا تطلبنَّ بها من ثالثٍ لهما هل ثالثٌ شاركَ العينين بالنظر
تفرَّعا للعلى من دوحةٍ سُقيتْ ماءَ التقى فزكتْ فى أول العصر
وقـد سما فرعها الأعلى فأثمرَ ما بين النجوم بمثـل الأنجم الزهر
بكل صافى المحيّـا بشرُه كـرمٌ وكلُ أخـلاقه صفوٌ بلا كـدر
ما أحـدقوا بالرضا إلا وخلتهمُ كواكبـاً تستمدُ النـورَ من قمر

مهذبٌ يُتبعُ النعمى بثانيـةٍ دأباً وجودٌ سواه بيضةُ العقرِ
له مناقبُ مجـدٍ كلها غررٌ في جبهة الدهر بل أبهى من الغرر
زواهرٌ في سماء الفضل دائرةٌ بمثلها فلكُ الخضراء لم يدر
رأى الثناءَ لباس الفخر تنسجُه يدُ الندى لذوى العلياء والخطر
فجاد حتى دعاه البحرُ حسبك ما أبقى سماحُك لى فضلاً على البشر
وكلٌّ عنه لسانُ البرق ثم دعا بالرعد أكرمتَ إنى عنك ذو قصر
يُنمى الى طيّبى الأعراق مَن عقدوا على العفاف قديماً طاهرَ الازر
أعزّةٌ نورُهم هادٍ ووجهُ مسا عيهم حسينٌ بليل الحادث النكر
الوارثان من المهدىّ كلّ عُلىً لافقها طاهرُ الأوهام لم يطر
والباسطان لدى الجدوى أكفّهما سحائباً تمطرُ العافين بالبدر
والغالبان على الفخر الكرام معاً بحيثُ لم يدعا فخراً لمفتخر
يا طيب فرع سماحٍ مثمرٍ بهما ما كلُّ فرعِ سماحٍ طيبُ الثمر
لم يطلعا غايةً للفخر ليس ترى شأواً بها لمجيد غير منحسر
إلا وللمصطفى أبصرتَ ما لهما يوم الرهان من الإيراد والصدر
أغرُّ ما زهرت للشهب طلعته إلا وغضتْ حياءً وجهُ منستر
خذوا بنى الشرف الوضّاح كاعبةً مولودة الحسن بين البدو والحضر
لم تجل في مجلسٍ إلا بوصفكم تبسّمتْ كابتسام الروض بالزهر
إن يُصدِ نقص اناسٍ فكرَ مادحهم ففضلكم صيقلُ الألباب والفكر
لا زال بيتُ علاكم للورى حرماً يحجه الوفدُ مأموناً من الغِير

وقال يمدح السيد عبد الرحمن النقيب فى ضمن كتاب عن لسان بعض الأشراف :

يا هماماً لفضله يشهدُ السمع والبصر
كلُّ معنىً مهذّبٌ من معانيك مبتكر

أنتَ للفضل روحُه وجميعُ الورى صور
وكذا أنتَ للزما ن مقيلٌ اذا عثر
فاقبلنْ عذرَ من أسا ما مسيءٌ من اعتذر

وقال يمدح الصدر الأعظم(١) عن لسان العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني :

أحق بالعزّ من لا يرهب الخطرا ولا يعاقدُ إلا البيضَ والسمرا
والسيفُ أجدر أن يستلّه لوغىً مَن ليس يغمدُه أو يدرك الظفرا
وأبيضُ العرض من في كفه صدرتْ بيضُ القواضب من ورد الدما حمرا
لم تقض من وصله بكرُ العلى وطراً حتى من الهام يقضي سيفُه وطرا
وحوزة الملك أولى في حياطتها مَن بات في حفظها يستعذبُ السهرا
وذي الرعيّة أحرى في سياستها مَن بالتجارب غورَ الدهر قد سبرا
وليس يملكُ يوماً رقّ مملكةٍ مَن ليس يملأُ منها السمعَ والبصرا
ولا تُراض أقاليمُ البلاد بمن لم تسقِ من خُلقَيه الصفو والكدرا
والحلُ والعقد لم يوردْ صوابهما إلا الذى ثقةً عن رأيه صدرا
ولا تناط امورُ الملك أجمعها إلا بمن قارع الأيام مقتدرا
أما نظرتَ لسلطان البرية مَن على الرعية ظلّ العدل قد نشرا
مَن ودّت الشهبُ لو في ربعه هبطتْ فقبّلته وشمّتْ تربه العطرا
كيف اغتدى مودعاً أسرارَ حضرته صدراً أحاط بأسرار النهى خبرا
وكيف أنزله منه بمنزلةٍ لو ينزل البدرُ فيها تاه وافتخرا
لم يبلِ أخبارَه إلا رأى ثقةً للملك صدّق منه المخبرَ الخبرا
فقال خذْ منصباً امُّ العلى نصبتْ أسرةً لكَ فيه الأنجم الزهرا
هذى الوزارةُ فاحللْ في ذوائبها فالحزم للشمس أن تستوزرَ القمرا

---

(١) يرى الاستاذ ابراهيم الوائلي في كتابه (الشعر السياسي العراقي) انها قد تكون قيلت في مدحت باشا راجع ص ٢٢٠ ح ٤٨ .

فقال فى رأيه والسيف يُجمعُ من ... أطراف مملكة الإسلام ما انتشرا
مؤيداً بجنودٍ من مهابته ... قد انتضى معه آراءه زبرا
وبات والدولة الغراء يكلؤها ... بعين مستيقظٍ لا يركبُ الغررا
إن يجرِ فى حلبات الرأى مبتدراً ... خلَّتْ له الوزراءُ الوردَ والصدرا
رأته أوسعها صدراً وأجمعها ... فكراً وأصدقها إن شوورت نظرا
فسلَّمتْ لعلاه الأمرَ مذعنةً ... لما يقولُ نهى إن شاء أو أمرا
فهل تضيقُ بخطبٍ جاء من بشرٍ ... ذرعاً وإن جلَّ ذاك الخطب أو كبرا
وصدرُها الأعظم السامى الذى تسعُ ... الدنيا بهمته أعظمْ به بشرا
ذو عزمةٍ مثلَ صدر السيف باترةٍ ... لو لاقت الدهرَ قرناً عمرُه انبترا
رعى المحبّين فيها البدوَ والحضرا ... وروّع المبغضين الرومَ والخزرا
قد قلَّد الملكَ منه سيف ملحمةٍ ... لو يقرعُ الصخرَ يوماً بالدم انفجرا
اذا الجباهُ بذل العجز قد وُسمتْ ... فى جبهة الموت أبقى حدُّه أثرا
يستصغرُ الحربَ حتى ما يباشرها ... بنفسه ولها إن باشرَ السفرا
لجاءَ والهمة العلياءُ فيه أتتْ ... كالسيل من قلل الأجبال منحدرا
فى جحفل إن سرى ضاقتْ بأوله ... الدنيا وآخره لم يدرِ أين سرى
وخاض بحرَ الوغى بالحزم محتزماً ... بالنقع ملتثما بالصبر متزرا
حتى تضج ملوكُ الأرض قائلةً ... كذا بنى الملك فلينصره من نصرا
هيهات هذى فعالٌ لا يقوم لها ... مَن قد قضى منهمُ قدما ومَن غبرا
لو مدَّ قيصرُ باعاً نحوها قصرا ... أو رامها قبلُ كسرى الفرس لانكسرا
فعالُ منتصرٍ لله قام بها ... فى الله منتهيا لله مؤتمرا
إنْ ينتقمْ لحقوق الله يأخذها ... وليس يلغى حقوقَ الله إنْ غفرا
حلوُ السجايا رقيقٌ طبعه عذبٌ ... له خلائقُ ينفى صفوُها الكدرا
خلائقٌ كالحميّا لو ترشّفها ... مَن كان يبغضه فى حبّه سكرا
آنستِ يا وحشة الدنيا بذى كرم ... أحيا بجدواه ميتَ الجود فانتشرا

ليس السحائبُ تحكيه وقد علمتْ ... من كفه ماؤها قد كان معتصرا
ولا البحارُ تضاهيه وقد طمحتْ ... أمواجها فهي بخلاً تحرزُ الدررا
لم يجرِ حاتمُ طي أو أبو دلفٍ (١) ... إلا وعن شأوه بالجود قد حسرا
وإنَّ (معنا) (٢) على ما فيه من كرمٍ ... لو كان عاصرَه في الجود ما ذكرا
يا من نرى الناسَ أنّى غابَ غائبةً ... جميعها وحضوراً أينما حضرا
أمجلسا لك هذى الأرض قد جُمعتْ ... أم أنتَ قد ضمنتْ أبرادُك البشرا
إنّ الصدارة لم يصلحْ سواك لها ... كأنها أبداً عينٌ وأنتَ كرى
لا زال سعدُك بالإقبال مقترنا ... يستخدم المبهجين النصرَ والظفرا

وقال مادحا مدحت باشا (٣) بالتماس من الحاج مصطفى كبه :

رواقك ذا لا بل وليجةُ خادرٍ ... بل الليثُ يخطو دونه خطوَ قاصر

(١) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل ، من بني عجل بن لجيم ، أمير الكرخ ، وسيد قومه . قلده الرشيد أعمال (الجبل) ثم صار أحد قادة جيش المأمون . توفي ببغداد عام ٢٢٦ هـ — ٨٤٠ م له كتب منها « سياسة الملوك » و « البزاة والصيد » وقد قال الشعر ولحنه . ترجمت له في كتابي « شعراء بغداد » ج ٩ .

(٢) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني ، من مشاهير أجواد العرب ، وأحد الشجعان الفصحاء ، أدرك العصرين الاموي والعباسي ، ولاه المنصور على اليمن ، ثم ولاه سجستان ، قتل غيلة عام ١٥١ هـ — ٧٦٨ م ورثاه شعراء عصره بأخلد الشعر .

(٣) مدحت باشا ، أشهر والي جاء بغداد وعرف باصلاحاته وتفكيره واتصاله بمختلف أعلام العراق وادبائه . ولد في اسطنبول ١٢٣٨ هـ ، وتقلب في عدة مناصب فكان قبل مجيئه والياً على الدانوب ثم رئيسا لمجلس شورى الدولة ، ثم جاء بغداد فاصلح كثيراً من الامور ووسع الادارة وأحسن التصرف في تعديل الطرق والمواصلات وقام بفتح بلاد نجد واخماد فتنة عبد الكريم الجربا وعودة عشيرة شمر الى الاستقرار ، ثم عين صدراً أعظم وأخيراً نقم عليه السلطان عبد الحميد فسجنه مدة واتهمه باتهامات كان يبغي من ورائها القضاء عليه فكان ما أراد في عام ١٣٠١ هـ . كتب عنه كتاباً خاصاً الاستاذ صديق الدملوجي .

ولقد تحدث الدكتور يوسف عز الدين في كتابة « الشعر العراقي » خصائصه وأهدافه ، =

لكَ العسكرُ الجرار والهيبة التي ... مخافتُها تكفيك جرَّ العساكر
خطبتَ الوغى بالرمح والسيف شاغلاً ... لسانيهما بين الكلى والمغافر
فسيفُكَ فيها ناثرٌ غير ناظمٍ ... ورمحُك فيها ناظمٌ غير ناثر
وكم من عدوٍّ قد خلقتَ لقلبه ... جناحين من ذعرٍ ورعبٍ مخامر
فهابكَ حتى ساعة السلم لم يكن ... ليلقاك إلا في حشاً منكَ طائر
وخافكَ حتى ليس يخلو بسرِّه ... كأنَّ رقيباً منك خلف السرائر
طلعتَ ثنيّات التجارب كلها ... فصرتَ ترى في الورد ما في المصادر
رويدَ الأعادي إنَّ حزمك عودُه ... على الغمز يوما لا يلينُ لهاصر
وإنْ جهلتْ يوماً حسامكَ فلتسلْ ... بها هامَها عن عهدها بالمغافر
لك القلمُ النفّاث في عقد النهى ... بديعَ بيانٍ من معانٍ سواحر
فوالله ما أدري أهلْ نثرُ ساحرٍ ... على الطرس يبدو منه أو سحر ناثر؟
وفكرُكَ يوحي أيَّ نظمٍ وإنها ... لقولُ كريمٍ جلَّ لا قولُ شاعر

وقال يمدح نسب الحاج محمد حسن كبه :

نسبٌ أناف على الأنام به ... شرفاً فطالَ به على قِصره
هو عقدُ فضلٍ لم يزل أبداً ... تتزيّن العلياء في درره

وقال مراسلاً بعض اخوانه :

الى مَن مناقبه الزاهراتُ ... بدتْ أنجما في سما الفضل زُهرا
فتىً ورث المجدَ من هاشمٍ ... فكان به أرفع الناس قدرا
فأخلاقه (عينُ ماء الحياة) ... بها صرتُ ـ والحمد لله ـ (خضرا)
جرى قلمُ الحب في مهجتي ... فاثبت فيها له الودُّ سطرا

= في القرن التاسع عشر عن مناسبة نظم الشاعر لهذه القصيدة في ص ٦١ — ٦٢ كما تحدث في مواضع اخرى من الكتاب عن خواطر الشاعر وميزاته .

يمثله الشوقُ فى ناظرى ... فأنظرُ منه المحيّا الأغرا
أراه قريباً بعين الهوى ... على بُعده فاحيّيه بدرا
همامٌ تضوّع من عطفه ... عبيرُ نهىً طبّق الكون عطرا
لذكرك فرّغتُ شطرَ الفؤاد ... ومنه الشواغل يملأن شطرا

وقال يمدح النقيب حين سار الى الحج بالتماس بعض الأكابر :

يا مليكاً به الملوك أطافوا ... بِتْ معافاً تحفّك الألطافُ
للمنى أين ما أقمتَ مقامٌ ... وله أين ما انصرفتَ انصراف
غير بدعٍ بأن تُخافَ وتُرجى ... سيدُ القوم يُرتجى ويُخاف
أىُّ أرضٍ حللتها فهى روضٌ ... لأنوف الملوك فيه استياف
يا نقيب الأشراف وهو نداءٌ ... لك تعلو بذكره الأشراف
نفحتْ منهم بنشرٍ ولكن ... من غوالى نجارك الأعطاف
بك طابوا ويكسب الماءُ طيباً ... حين يغدو للورد وهو مضاف
افرش الله أخمصيكَ خدوداً ... من عدًا عنك قد زواها انحراف (١)
ضلَّ مَن فيك قاسها حيث منها ... لم تنلْ كعب رجلكَ الأكتاف
فطأ اليوم أينما شئتَ فخراً ... رغمتْ تحت نعلكَ الآناف
لك وجهٌ لو باهلَ الشمس يوماً ... لعرا وجهها المنيرَ انكساف
شفَّ توديعك الورى حين قالوا: ... مزمعٌ جوهر العلى الشفاف
ودَّعتْ منك منصفاً فهى تدعو ... سرْ على اليُمن أنت والإنصاف
لا تسلْ عن قلوبنا فلعمرى ... كلّها فى غدٍ اليك لهاف
كلما جدَّ فى ركابك سيرٌ ... جدَّ للإشتياق فيها اعتساف
بوركتْ نيةٌ دعتكَ لبيتٍ ... لعلاه آباك قدماً أنافوا (٢)

---

(١) كذا جاء في المخطوطة . وفي المطبوع : قد رواها .
(٢) في المطبوع : بعلاه .

ستؤدى فرضَ الطواف وتأتى لحمىً فيه للسرور مطافُ
ثم اهدى اليكَ تحفةَ بشرٍ ما حوتْ مثلَ درّها الأصداف
فى تهانٍ لها اليك اختلافٌ وسعودٍ لها عليكَ ائتلاف
كرياض الربيع تونق زهراً راق للناظرين منها اقتطاف

وقال مادحا بعضهم :

اهدى اليكَ أخا الفخار تحيةً رقّتْ كرقة طبعكَ الشفافِ
وافتكَ تحسب أنها داريّـــةٌ حملتْ شذاك لأنفك المستاف
وفد السرورُ بها لتهنئة العلى فيما حبيتَ به من الألطاف
أنت الذى عكفَ الثناءُ بربعه وأطاف فيه الحمدُ أىّ مطاف
شهدتْ لك (الفيحاء) أنك زدتها شرفاً لأنك صفوةُ الأشراف
وبها لك انتهت الرياسة كلّها فرفلتَ فى حبراتها الأفواف
وبها قدمتَ فكان أيمنُ مقدمٍ طرقَ العداة برغم الآناف
كانت أمانى أنفسٍ مكذوبةٍ دعت الحسود لقلة الأنصاف

وقال يمدح السيد سلمان النقيب وقد التمسه الحاج مصطفى كبه وذلك ببغداد سنة ١٢٩٥ هـ :

بنى العشق ما أحلى الى كل عاشق طلاً لمشوق زفها كفُّ شائق
ولم أرَ فى الأحشاء ألطفَ موقعاً وأرشقَ من نبل العيون الرواشق
وأغرقَ أهلُ الحب فى الحب مهجةً بكل غريرٍ فى المحاسن فائق
أظنّهم حتى على لحظ عينه بما احمرَّ من وردٍ بخديه رائق
وما العمرُ عندى كلّه غير ليلةٍ يبيت رهيفُ الخصر فيها معانقى
ترفُّ على صدرى خوافقُ فرعه رفيفَ حشاً منى على الشوق خافق

كأنَّ الثريّا طوقته هلالها ومن حسد مدّت له كفَّ سارق
من الريم لم يألف سوى الرمل ملعبا ولم يرتبع إلا باحناء بارق
ونشوانَ من مشمولة الدلّ قدُّه أرقُّ من الغصن انعطافاً لوامق
مورّدُ ما بين العذارين زارني فنزّه أحداقي بلون الحدائق
وقلتُ وقد أرخى على الخد صدغه لقد سلسلَ الريحان فوق الشقائق
اقبلُ طوراً وردَ خديه ناشقاً عبيرَ شذىً ما شقَ عرنين ناشق
وألثمُ طوراً ثغره العذبَ راشفاً سلافة خمرٍ لم تدنس بذائق
خلوتُ وما بي ريبةٌ غير نظرةٍ تزوّدتها منه بعيني مُسارق
وراودته لكن من الثغر قبلةً ألذّ وأشهى من غبوقٍ لغابق
وأعرضتُ عما دون عقد أزاره عفافاً وقد زالت جميع العوائق
وحسبُكَ منّي شيمةً قد ورثتُها من الغالبيين الكرام المعارق
خليليَّ ما للكأس كفّي ولا فمي ولا كبدي للناهدات العواتق
نسيتُ وما بي يعلم الله صبوةٌ ولا اجتذبت أحشاي بعض العلائق
عشقتُ ولكن غيرَ جارية المها وما العيشُ إلا للمعالي بلائق
خذا من لساني ما يروقُ ذوي النهى ويترك أهلَ النظم خرس الشقاشق
مديحاً له تجلو مفارقُها العلى وسلمانُ منها غرةٌ في المفارق
وقورٌ على الأحداث لا تستخفه اذا طرقت في الدهر احدى السوابق
ومَن كعليّ القدر كان أباً له يزنّ بحجاهُ راسيات الشواهق
نقيبُ بني الأشراف أعلى كرامهم عماداً وأسناهم فناءً لطارق
فما قلّبت أمُّ النقابة قبله ولا بعده في مثله طرفَ رامق
فتىً إن سرى يوما لإحراز مفخرٍ فليس له غيرُ العلى من مرافق
لقد غدت الدنيا عليه جميعُها مغاربها تثنى ثناءَ المشارق
تطرّق امُّ المجد في بيت سؤددٍ يظلّلُ عزاً بالبنود الخوافق

فانجبَ من سلمان وهو ذكا العلى — بيدر نهىً يجلو ظلام الغواسق
همامٌ نمته دوحـــةٌ نبويّة — الى مثمرٍ فى المجد منها ووارق
له النسبُ الوضّاح فى جبهة العلى — مع الحسب السامى جميع الخلائق
يعدُّ رسول الله فخراً لجـــده — وحسبك مجداً فى الذرى والشواهق
تضوعُ بعطفيـه السيادة مثلما — تضوّع عرف المسك طيباً لناشق
به اقتدحتْ زند النجابة هاشمٌ — فنى وجهه من نورها لمعُ بارق
سما فى المعالى طالباً قدرَ نفسه — الى شرفٍ فوق الكواكب باسق
وفاتَ جميعَ السابقين الى العلى — فقصّر عن إدراكه كلُّ سابق
وقالوا: رويداً حكَّ عاتقكَ السهى — فقال: وما قدرُ السهى حكُّ عاتق
تمنطقَ طفلاً بالرياسة واحتذى — بأخمصها تيجانَ أهل المناطق
اليكم ملوكَ الأرض عن ذى سرادقٍ — تجمّعت الدنيا به فى السرادق
تقبّل أهلُ الفخر أعتابَ داره — فيأرج منها طيبُها فى المفارق
فداه مفاتيح الندى من بنانه — أكفٌّ على أموالها كالمغالق
تعللُ راجيها اذا اسودَّ ليـــله — بكاذب وعدٍ فجرُه غير صادق
ندىً بنان الكف فى كل شتوةٍ — يجفُّ بها ضرع الغيوم الدوافق
فحين تشيمُ المجدبون بوارقا — تمنّوا نداه غيث تلك البوارق
وضىءُ المجالى والمعالى كليهما — وعذبُ السجايا والندى والخلائق
أخفُّ على الأرواح طبعاً من الهوى — ولكنّه فى الحلم هضبة شاهق
فما طلعةُ البدر المنـــير مضيئةٌ — كطلعته الغراء فى كل غاسق
مهيبٌ فلولا ما به من تكرّمٍ — لمـــا لحته هيبةً عينُ رامق
فما هيبةُ الضرغام دون عرينـه — كهيبته القعساء دون السرادق
لقد كتب اللهُ الفخارَ له على — لواء علىٍّ فى الغرب والشرق خافق
تضايقت الدنيا ببعض فخـاره — على أنه فرّاجُ كل المضايق

يضيع فضاءُ الأرض فى رحب صدره ... اذا هى غصت فى الخطوب الطوارق
من الفاطميين الذين تراضعت ... قناهم طلى الأعداء فى كل مازق
همُ توجوا هامَ الملوك ببيضهم ... وداسوا على انماطهم بالسوابق
اذا نزلوا كانوا ربيعَ بنى المنى ... وإن ركبوا كانوا حماةَ الحقائق
تعانق فوق الخيل عاليةُ القنا ... عناقَ سواها الغيد فوق النمارق
هم القومُ ما للشيخ منهم لكهلهم ... وما منهم فى كهلهم للمراهق
وهذا ابنهم سلمانُ والفرع طيبه ... يجيء على مقدار طيب المعارق
اذا مسحت منه العلى وجهَ سابق ... جلت من أبى محمود غرّة لاحق
فتىً علمه يحكى غزارة جوده ... وما علمُ قومٍ غير محض التشادق
وقد قوّمت منه الإصابة رأيه ... فكان لفتق الدهر أحزم راتق
ومنطيقُ فصل لو يشاء لسانه ... لفلّ حدودَ الفاصلات البوارق
يحاكى بقطع الخصم أسياف قومه ... فيمضى مضاها فى الطلى والمرافق
ويطعنه فى قلبه بنوافذٍ ... نفوذَ قناهم فى قلوب الفيالق
أبا المصطفى أرغمت أنتَ وذو النهى ... شقيقك فى العلياء شمّ المناشق
لقد زنتما جيد العلى من بنيكما ... بسمطى فريدٍ فى العلى متناسق
فيا قمراً سارت بذكر علائه ... نجومُ القوافى فى سماء المهارق
اليكَ تعدت فكرتى كلَّ فكرةٍ ... لما لم يكن فيه مجالُ محاذق
فجاءت من القول الذى انفردت به ... بآيات نظمٍ أفحمت كل ناطق
سلمتَ على الدنيا ونحرُك مشرقٌ ... يضىءُ ضياءَ الشمس فى كل شارق
لك الدهر عبدٌ لا يرى المجدُ عتقه ... ولا هو يلوى عنكمُ جيدَ آبق

وقال فى مدح بعض الأشراف :

بقيّتى هى بين الشوق والأرقِ ... حشاً تذوب وجفنٌ غير منطبق
قد لوّن الدهرُ دمعى فى تلونه ... فانهلّ من أحمر قانٍ ومن يقق

وقيدتني عن شأو حوادثه ... وقلنَ دونك والغايات فاستبق
فكيف يسبقُ مَن كان الزمان له ... قيداً يجاذبه عن رسنه الغلق
وهل يؤدّى لخلٍّ حقَّ خلّته ... . (١)
يا مَن تعوّذُه فى كل شارقةٍ ... امُّ السماح برب الناس والفلق
عذراً فداؤك فى طرق الندى فئةٌ ... أرى المكارمَ فيهم وحشة الطرق
ما أبطأتْ عنك لا صدّاً ولا مللاً ... آيات شوقٍ ولا الإعراض من خلق
وكيف أغفلُ حقاً أنت صاحبه ... وكان ذلك فرضاً لازماً عنقى

وقال يمدح بيت الحاج محمد صالح كبه :

بيتُ مجدٍ إن حوى شكرَ الورى ... فعلى معروفه كانوا عيالا
لم يكنْ للجود إلا مطلعاً ... يملأ العينَ هلالاً فهلالا

وقال يمدح مدحت باشا وقد سأله ذلك الحاج مصطفى كبه :

أثنتْ عليك بأسرها الدولُ ... وتشوقتكَ الأعصرُ الاولُ
وأعدتَ للأيام جدّتها ... فاليوم عمر الدهر مقتبل
وأرى الممالك يا ابن بجدتها ... لكَ شكرُها كنداك متصل
أوسعتها وفضلتها كرماً ... عنه يضيق السهلُ والجبل
وسبرتَ غور زمانها فغدا ... لا جرحَ إلا وهو مندمل
ما فى الحياة لخالعٍ أملٌ ... أنتَ الحمامُ وسيفك الأجل
مَن ذا يردُّ لعزمتيكَ شباً ... وشباكَ يقطع قبلَ ما يصل
إن تنتعلْ قممَ الملوك فقد ... توجتهم بالفخر لو عقلوا
وطأتْ لك الدنيا بأخمصها ... هممٌ بساطُ نعالها القلل
ولئن أقمتَ بحيث أنت وقد ... أمنت بك الأقطار والسبل

---

(١) بياض : في المخطوطتين والمطبوعتين .

فالأرض حيث تجوسها بلدٌ ... والناس حيث تسوسها رجل
واذا الصواهل أرعدت وعلى ... برق الصوارم أمطر الأسلُ
وعلت رياح الموت خافقةً ... بأجش قسطله لها زجل
خضتَ السيوفَ وكلُّها لججٌ ... تحت الرماح وكلُّها ظلل
وجنيتَ عزَّ الملك محتكماً ... من حيث تنبت فى الكلى الذُبل
ولديكَ آراءٌ مثقفةٌ ... ما مسها كمثقفٍ خطل
فاذا طعنتَ بها العدى وصلت ... منهم لحيث السمرُ لا تصل
وعزائمٌ كالشهب ثاقبةٌ ... فى كل ناحيةٍ لها شعل
قل للقبائل لا نعدُّكم ... جمعَ القبائل كلها رجل
أسدٌ قلوبُ عداه من فرقٍ ... ذهلٌ ونابلُ فكره ثعل
فاطرح أحاديثَ الكرام له ... فيه لكلٍ منهم مثل
واترك تفاصيلَ الملوك فقد ... أغنتكَ عنها هذه الجمل
يا ابن الوزارة أنت أوحدُها ... لا راعها بفراقك الثكل
ومَن ادّعى للعين ليس سوى ... انسانها ابنٌ تشهدُ المقل
فأقم وبدرُك كاملٌ أبداً ... والبدر منتقصٌ ومكتمل
فى دولةٍ صلحت وزارتها ... لكَ فهى تحسدُها بك الدول

وقال يمدح الحاج محمد رضا كبه فى ضمن عتاب :

يا أمجد الناس فرعاً ... يُنمى لأمجد أصلِ
وقاتلَ المحل جوداً ... فى كل أزمة محل
وابن القِرى ولعمرى ... أبوك زادُ المقلّ
لا يستشار سواه ... فى كل عقدٍ وحلّ
والموقدُ النار ليلاً ... للطارق المستدلّ

مرفوعـةٌ وعليها ... مراجلٌ(١) الزاد تغلي
يمتدُّ منها لسانٌ ... الى السما متجلي
حتى يضيءَ سناه ... في كل حَزنٍ وسهل
يدعو الضيوف هلمُّوا ... الى القِرى ، لمحلّي
فيهتدي بسناه ... اليه كلُّ مضلّ
أكرم به من كريمٍ ... له انتهى كلُّ فضل
والخلقُ منك ومنه ... مثلان في غير مثل
هذا مجاجةُ(٢) مسكٍ ... وذاك شهدةُ نحل
يفدي عُلاك ابنُ خفضٍ ... سارٍ برجل ابن ذل
يبغي العلى وهو شيخٌ ... همٌّ بهمة طفل
وهل تنال الثريّا ... عفواً بباع أشل
وما له في طريق الـ ... ـعلياء موطىءُ رجل
ولا له حوضُ جودٍ ... يرجى لعلٍ ونهل
إلا حقيقةُ بخلٍ ... تبدو بصورة بذل

وقال يمدح العلامة الشيخ محمد حسن الكاظمي :

قدّمتك العلى وكنتَ زعيما ... وقصارى رجائها أن يدوما
واستنابتك عن أكارمَ تقفو ... هديَهم والكريمُ يقفو الكريما
لم يزدْكَ التعظيمُ منا جلالاً ... إذ لدى ذي الجلال كنت عظيما
لك فوق الأنام طودُ جلالٍ ... طائرُ الوهم حوله لن يحوما
ما تجلى به لك الحقُّ إلا ... وغدا يصفقُ الحسودَ وجوما
فالعجيب العجاب أنك موسى ... ونرى مَن سواك كان الكليما

---

(١) المراجل : القدور . (٢) المجاجة : العصارة .

باسطاً بالندى بنانَ يدٍ بيضا ءَ لم يغدُ طرفه مضموما
هى شكلٌ للجودِ ينتجُ دأباً وسواها قد جاء شكلاً عقيما
أيها المسقمُ الحواسدَ غيظاً بالنُهى كم شفيتَ فكراً سقيما
أنت لطفٌ لكنْ تجسمت شخصاً فغدا منكَ الجسيم جسيما
كم لعامٍ مسحتَ وجهاً بأندى من وجوه الغر الغوادى أديما
تلكَ راحٌ كم روحتْنا وكفٌ كم بها اللهُ كفَّ عنا الهموما
علمتْنا هى الثنـــا فانتقينا من مزايا علاكَ دراً يتيما
فلك الفضلُ إنْ نظمنا لأنا منك نهدى اليك عقداً نظيما
عصم اللهُ دينه بك يا مَنْ كان من كل مأثم معصوما
لا أرى يملك الحسودُ سوى ما إنْ عددناه كان فيه ذميما
بصراً خاسئاً وكفاً أشلاً وحشاً ذاعراً وأنفاً رغيما
قـــد تقلدتها إمامةَ عصرٍ سدتَ فيها الإمامَ والمأموما
قدمتْ منك واحدَ العصر يا مَن عاد نهجُ الرشاد فيه قويما
قدّمتْ فيكَ ثانى الغيثِ كفاً ثالثَ النيّرين وجهاً وسيما
قدّمتْ منك يا أدلَّ على اللهِ علياً ناهيك فيـــه عليما
قدّمتْ يا أجسَّ للحكم نبضاً منك طباً بالمعضلات حكيما
قد نظرنا بك الأئمةَ حلماً وحجىً راسخاً وفضلاً عميما
وروينا فى الدين عنك حديثاً ما روينا فى الدين عنك قديما
بكَ منهم بدت مناقب غرٌّ فى سماء الهدى طلعنَ نجوما
هى طوراً تكونُ رشداً لقومٍ ولقومٍ تكون طوراً رجوما
فأقمْ فى عُلىً ترى كلَّ آنٍ مقعداً للعدوّ منها مقيما
لم يكنْ ودُّنا مقالاً علكناهُ كما يعلك الجوادُ الشكيما
بل وجدناكَ حجة الله فينا فنهجْنا صراطكَ المستقيما

ولنا اليوم أنتَ فى الأرض ظلٌ   وغداً نستظلُ فيك النعيما

وقال يمدحه أيضاً ويعزيه بوفاة ولديه الشيخ على والشيخ باقر : -

اليكَ وقد كانَتْ علينا العزائمُ   سرتْ بتحيات المشوقِ النسائمُ
تحاكمنَ فى دعوى التفوُّق بالشذا   اليك وكلٌ طيباتٌ نواعم
ولا مدّعٍ عنّى سوى خالص الهوى   ولا شاهدٌ إلا العلى والمكارم
وأغلبُ ظنّى أن خلقكَ للتى   حكتْ طيبه وهى التحيات حاكم
أما وأيادٍ أوجب المجدُ شكرَها   بها لم تنبْ عن راحتيكَ الغمائم
لأنتَ الذى منه تردُّ امورنا   الى عالمٍ ما فوقه اليوم عالم
الى قائمٍ بالحق داعٍ الى الهدى   له اللهُ عما يكره الله عاصم
الى خير أهل الأرض براً ونائلاً   وأكرم مَن تثنى عليه الأكارم
منارُ هدىً لولاه لاغتدت الورى   بمجهل غىٍ ضمّها وهو قاتم
وسيف هدىً يمحو الضلالة حدُّه   ويثبت منه فى يد الدين قائم
وعارٍ من الآثام عفٌ ضميره   وكأسٌ من التقوى من الذكر طاعم
وجدناه ما يأتى الزمان بمثله   وهل تلد الأيامُ وهى عقائم
فتىً أظهر اللهُ العظيم جلاله   وليس لما قد أظهر اللهُ كاتم
وشادَ برغم الحاسدين علاءه   وليس لما قد شاده اللهُ هادم
وذو هيبةٍ لو اُشعِر الليثُ خوفها   لما ثبتتْ فى الأرض منه القوائم
وأردفها اخرى فكانت عظيمةً   تهون لديها فى الزمان العظائم
فصابرتها فى الله وهى عظيمةٌ   اقيمت لها فوق السماء المآتم
وحزتَ ثواباً لو يقسّم فى الورى   لحطتْ به فى الحشر منها الجرائم
فأنت لعمرى أصلبُ الناس كلها   قناةَ عُلى لم تستلنها العواجم
وأوسع أهل الأرض حلماً متى تضقْ   لدى الخطب من أهل الحلوم الحيازم

عنت لك أهلُ الكبرياء وقبلت ثرى نعلك الحساد والأنف راغمُ
نرى علماء الدين حتفاً تتابعوا وحسب الهدى عنهم بأنك سالم
فأنت بهذا العصر للخير فاتحٌ وأنت به للعلم والحلم خاتم
وأنت لعمرى البحرُ جوداً ونائلاً وأنملك العشرُ الغيوث السواجم
فيا منفقاً بالصالحات زمانه فداً لك من تفنى سنيه المآثم
بقيت بقاءً لا يحدُّ بغايةٍ وأنت على حفظ الشريعة قائم
ولو قلتُ عمر الدهر عمِّرت خلتنى أسأتُ مقالى ذلك الدهر خادم
تنبّهَ لى طرفُ التفاتك ناظراً إلىّ وطرف الدهر عنّى نائم
فأدعو لنفسى إن أقل دمْ لأننى تدوم لى النعما بأنك دائم
فما أنا لولا روض خلقِك رائدٌ ولا أنا لولا برقُ بشرِك شائم
ودونكها غراء تبسم لؤلؤاً من القول لم يلفظه بالفكر ناظم
فرائدُ من لفظٍ عجبتُ بأننى أبا عذرها أُدعى وهن يتائم
ومدره قولٍ يغتدى ولسانه لوجه الخصوم اللد بالخزى واسم
ينال بأطراف اليراع بنانه من الخصم ما ليست تنال اللهاذم
فأقلامه حقاً قنا الخط لا القنا وآراؤه لا المرهفات الصوارم
حمى الله فيه حوزة الدين واغتدت تصانُ لأهل الحق فيه المحارم
فيا منسياً بالجود معناً وحاتماً ألا إن معنىً من معانيك حاتم
محياكَ صاحٍ يمطر البشرَ دائماً وكفُّك بالجدوى لراجيك غائم
وتخفض جنحاً قد سما بك فارتقى الى حيث لا با لنسر تسمو القوادم
تدارك فيه اللهُ أحكامَ ملةٍ قد اندرستْ لولاكَ منها المعالم
ألا إن عينَ الدين أنت ضياؤها وأنت لها من عاثر الشرك عاصم
شهدتُ لأهل الفضل أنك خيرُهم شهادةَ مَن لم تتبعه اللوائم
وأنك ظلُ الله والحجة التى تدين لها أعرابها والأعاجم

وعنـدك جودٌ يشهد الغيثُ أنه ... هو الغيثَ لا ماجدنَ فيه الغمائمُ
يطبُّ به الأعداء والداء معضلٌ ... وترقى به الأيام وهى أراقم
سبقتَ لتفريج العظائم فى الورى ... فحزتَ ثنـاها واقتفتك الأعاظم
وصادمت الجُلى حشاك فلم يكن ... ليأخذَ منها خطبُها المتفاقم
فلو لم يكن من رقةٍ قلتُ مقسماً ... لقـد قرع الصلدَ الملزُّ المصادم
وبالأمس لما أحدث الدهرُ نـكبةً ... الى الآن منها مدمعُ الفضل ساجم
تلقيتَها بالحلم لا الصدرُ ضائقٌ ... وإن كبرتْ فيه ولا القلب واجم

وقال يمدح السيد عبد الرحمن النقيب(١) ضمن كتاب :

لى العذرُ كلٌّ لسانُ القـلمْ ... وجفٌّ بما فوق طرسى رُسمْ
وعنـدى ولا عربيٌّ سـواه ... لسانٌ بهذا المقام انعجم
اكلفُه نعتَ سعد السعود ... ومَن للثريّا به وهو فم
وغاية وصفى له أن أقول : ... يا علماً ويقـلُّ العلم
تركتُ لنـاديه عدَّ البقاع ... وعدّيتُ عن قول هذا الحرم
كتركى له عدَّ أفرادها ... وكيف بتعداد خير النسم
وقلتُ أرى الأرض فى مجلسٍ ... لمن تحت طيِّ رداه الامم
هو البدر لـكنه للكمال ... وبدرُ السما بين نقصٍ وتم
من المائلين بصدر الندىّ ... رزان الحلوم رزان القمم
فيا من اذا غاب قال الحضور : ... وان حضر القولُ كلٌّ أرم
منيتَ ابتـداءاً بدرّ المقال ... ويا بحرُ بالطبع منك الـكرم

---

(١) السيد عبد الرحمن بن السيد علي بن السيد سلمان النقيب الكيلاني ، تقلد النقابة بعد أخيه عام ١٩١٥ ، وكان من سراة القوم ومشاهيرهم ، له احاطة بكثير من العلوم والفنون ، وكانت لديه مكتبة واسعة ضمت النوادر من الكتب ، وقد ألف أول وزارة عراقية . توفي عام ١٩٤٠م ، وخلف أولاداً .

نعم حقَ لى فيك شكرُ الزمان فحسنُ اعتنائك أعلى النعم
ولكن عجزت فمالى يدٌ بما يستقلُ بهدى الحكم

وقال يمدح بعض الأجلاء :

قد أصبح الدهرُ يجلو منظراً حسنا من ليلةٍ طوّقت جيدَ العُلى مننا
الى كريمك قد زفّت كريمتُه فزفّت الدهرَ والإقبالَ واليمنا
لقد غدت بهم (الزوراء) لابسةً ثوباً من الزهو فيه فاخرت (عدنا)
يا بن الذين يبارون الصبا كرماً والروضَ خلقا وأطراف القنا لسنا

وقال يمدح العلامة الكبير السيد مهدى القزوينى وأنجاله :

حييّتكَ بكرُ النظم غدوه تجلو الثنا شغفاً وصبوه
بنواصع من لفظها مثل الشموس بزغنَ ضحوه
طربت لمدحكَ هيفُها فثنت معاطفَ ذات نشوه
جاءتكَ تشكرُ أنعما سبقت اليها منك حلوه
أوقرتها مننا أتت منك ابتداءاً لا بدعوه
عن حملها ضعفت وفي ها أُعطيت للسعى قوّه
فأتت تقاصرُ عن خُطاها خطوةً ثقلت بخطوه
ودعتك يا من ليس يحنو والدّ أبداً حنوه
ماذا أقولُ بمدح من فيه كتابُ الله نوّه
علمُ الهدى السامى الذى لا تلحق العلماءُ شأوه
ورثَ الأئمة كلما قد ورّثوا من غير صفوه
يحوى جميعَ خصالهم إلا الإمامة والنبوّه
أمنازعيه رياسةً كلٌ بها يبغى علوّه
من أين أنتم إنّما إرثُ الأبوة للبنوّه

بل مالكم فى الاشتراكِ ... مع ابن وحي اللهِ حظوه
حيث الإمامُ بكل عصرٍ ... واحدٌ هو فيه قدوه
وإمامُنا مهدىٌّ هذا الـ ... عصرِ نلجأ فيه نحوه
هذا بقيّـــةُ جدّهِ ... هل فيكمُ تجدون كفوه
ورعٌ جميـــعُ فعاله ... للهِ لا لهوىً وشهوه
لا مضمراً غشاً عليه ... بزبرج التقوى مموّه
لكن تمحّض للإلهِ ... تقىً بكل ملاً وخلوه
جارٍ على حالٍ بها ... أضحى لأهل الدين اسوه
فاشددْ يديك به فما ... للدين أوثق منه عروه
كم فكَّ من عانٍ وكم ... قد راشَ محصوصاً بثروه
وصعابِ أمرٍ أسلستْ ... مذ راضَها من بعد نخوه
فهو ابنُ قومٍ لا تحلّ ... لهم يدُ اللأواء حبوه
وأبو أطايبَ لم تقمْ ... عن مثلهم فى الدهر نسوه
قمـــرُ السماء أبوهمُ ... شرفا وهم والشهبُ اخوه
ولِدوا ببيتٍ من بيو ... ت الوحى أعلاهنّ ذروه
وتراضعوا لبنَ الإما ... مة فيه من ثدىِ النبوّه
بيتٌ لأبكار المكا ... رم كل يوم فيه جلوه
هو كعبةٌ والجودُ مشـ ... عرُه ومروته المروّه
نعمَ المناخُ بيوم ضيـ ... قةِ فاقةٍ وبليل شتوه
فازرعْ رجاكَ به تجدْ ... ه كحبّـةٍ نبتتْ بربوه
للجود فيـــه جعفرٌ ... كرماً يعدُّ البحرَ حسوه
ويريكَ لينُ يديه رقـ ... ـة غاديات السحب قسوه
فى كل يومٍ فى حمـــاه ... لغارة الآمال غزوه

تسبي مواهبُه بها　　　ويُسرُ إذ يؤخذنَ عنوه
كم فاحَ من أعطافه　　　أرجُ الفخار بدار ندوه
ولكم الى شرفٍ جرى　　　وجرتْ بنو العلياء تلوه
فهوَوا وحلّقَ يركبُ الـ　　　شعرى العبورَ اليه صهوه
بشراكِ سائمة الرجاءِ　　　فلم ترىْ ما عشتِ جفوه
قد جاء أكرمُ مَن به　　　أملُ العفاة أناخَ نضوه
لقيتْ أخاها المكرماتُ　　　فلم تخفْ للبخل سطوه
هو ذاك نعْمَ فتى السما　　　حةِ والسجاحة والفتوّه
ماءُ الحياة لذى الهوى　　　والقلبِ ذى الشحناء جذوه
ما إن سما لعلىً تودُّ　　　النيّراتُ بها علوّه
إلا التقى معه أخوه　　　(صالحٌ) منها بذروه
هذا المنوّهُ فى المعالى　　　باسمه هذا المنوّه
غيظُ الحسود اذا بدا　　　شرقُ الخصيم اذا تفوّه
فيه سماتُ الفضل تشهدُ　　　أنه فى الفضل قدوه
تحكى شمائله شما　　　ئلَ مَن غدا فى المجد صنوه
روحُ الكمال (محمدٌ)　　　أكرمْ به للمجد صفوه
هو و (الحسين) من العلا　　　ءِ كلاهما عنقٌ وصهوه
ريحانتا شرفٍ تضوّ　　　عَ منهما أرجُ النبوّه
يا اخوةَ الشرف الرفيع　　　وبوركتْ تلك الاخوّه
حيتكمُ بدويّةٌ　　　هى عن سواكمْ ذاتُ نبوه
مخضتْ ثميلتها لكم　　　حلبَ الثناء صريحَ رغوه
وسقتكمُ منها مكا　　　فئةً على الإحسان صفوه
واذا اكتستْ حللُ القبو　　　ل فحقَّ أنْ تختالَ زهوه

المراثي

قال - رحمه الله - يرثى الحاج مهدى كبه[١] ويعزّى أباه الحاج محمد صالح :

غمضت بغتةً جفونُ الفناءِ   فوق إنسانِ مقلة العلياءِ
وله نقبّت بغاشية الحزن   محيّا الدنيا يدُ النكباء[٢]
حمّلت وقر عبئها كاهلَ الدهـ   ـر فأمسى يرغو[٣] من الإعياء
نكبةٌ لم تدعْ جليداً على الوجـ   ـد[٤] ولا صابراً على اللأواء
ليت امَّ الخطوب تعقمُ ماذا   أنتجت بغتةً من الأرزاء؟!
ولدت حين عنّست[٥] هرماما   لم تلدْ مثله بوقت الصباء
فأصابت يداه فى حرم المجدِ   فؤادَ العليا[٦] بسهم القضاء
فقضت نحبها ، وغيرُ عجيبٍ   قد اُصيبت بأرأس الأعضاء
يا صريعَ الحمام صلى عليك   اللهُ من نازلٍ بربع الفناء
وسقى منه تربةً ضمنت جسمَـ   ـك غيث الغفران والنعماء
لحقيرٌ نوءُ الجفونِ وما قد   رُ جفون السحاب والأنواء
أين عيس المنون فيك[٧] استقلت   بالحصيف المضفرّ[٨] الآراء
ذهبت فى معرس السفرِ جوداً   وروى حومَ الأمانى الظماء
نعم ربُّ الندىّ حلماً اذا النكـ   ـباءُ طارت بحوبة الحلماء
نعم ربُّ الحجى اذا أكل الطيـ   ـشُ حجى الحازمين فى اللأواء

(١) أكبر أولاد أبيه ، وممن ذكره الشاعر في العقد المفصل فقال : كان مذ ترعرع فريد زمانه ، في كرمه واحسانه ، وواحد عصره ، في شرف نفسه وفخره ، قد برع في البلاغة والفصاحة ، واشتهر من كرم أخلاقه بالسجاحة والسماحة ، جامعاً بين نباهة الفكر ، وجلالة القدر ، ولد عام ١٢١٩ هـ وتوفي في ايران عام ١٢٧١ هـ وحمل جثمانه الى النجف ، وقد أثبتنا تأريخ وفاته في باب التاريخيات .

(٢) في الديوان المطبوع الغماء . (٣) وفيه : يزغو .

(٤) وفي العقد المفصل : على الخطب .

(٥) وفي المطبوع : غلست . (٦) وفي نسخة : العلى . (٧) وفي نسخة : منك .

(٨) كذا في الاصل ، ولعله يريد المحكم الرأي من ضفر بمعنى شد واحكم .

نعم ربُّ الندى اذا كسع(١) الشولُ ... بأغبـارها عيـالَ الشتاء
نعم ربُّ القِرى اذا هبَّت الريـ ... ـح شمـالاً فى الشتوة الغبراء
نعم ربُّ الجفان ليلةَ يُمسى ... بضياهنَّ مقمرُ الظلماء
يا عفاء الأنام شرقاً وغرباً ... دونـكم فاحتبوا بثوب العفاء
واقصروا أعينَ الرجاء قنوطاً ... مَن اليه تمتدُّ فى البأساء ؟؟
وانحبوا عن حريق وجدٍ لمن كا ... ن عليكم أحنى من الآباء
« يستقلُ الحبا لـكم إن وفدتم ... ولو المشرقان بعضُ الحباء » (٢)
لو بكته عيونـكم وأفضن الأ ... بحرُ السبع والحيا فى البكاء
لم تفوّه معشارَ ما قد أفاضت ... لـكم راحُ كفه البيضاء
رحّلوا العيسَ قاصدين ضريحاً ... فيه ما فيه من علىً وسخاء
واعقِروا عنده وجلٌّ عن العقر ... قـلوباً مطـلولة السوداء
جدثٌ ماء عيشكم غاض فيه ... فانضحوا فوقه دمَ الأحشاء
حلَّ فيه من قد كفى (آدماً) فى ... غيث جدواه عيلة الأبنـاء
« ليت شعرى أنّى دنا الموت منه ... وهو فى ربع عزّةٍ قعساء » (٣)
« هل أتاه مسترفداً حين أعطى ... ما حـوته يداهُ للفقراء » (٤)
ودَّت المـكرماتُ أن تفتـديه ... ببنيها الأماجد الكرماء
هم مكانُ الجفون منها ولـكن ... هو فى (٥) عينها مكان الضياء
وهم فى الحيـاة موتى ولـكن ... هو ميتٌ يعدُّ فى الأحيـاء
لحبا نفسَه الردى إذ (٦) أتاه ... مستميحاً يمشى على استحياء
بعدما عاشت العفاة زماناً ... من نداه فى أسبغ النعماء

(١) كسع الناقة بغبرها ، ترك فى ضرعها بقية من اللبن ، والشول : جمع شائلة وهى من الأبل التي خف لبنها بعد مرور مده على حملها ووضعها .
(٢) ، (٣) ، (٤) هذه الابيات من زيادات العقد المفصل .
(٥) وفى نسخة : من (٦) وفى نسخة : مذ .

علمت فقرَها اليه ولم تعلم | اليه الردى من الفقراء
يا عقيدى على الجوى كبر[1] الخط | بُ فاهون بالدمعة البيضاء
أجرِ من ذوب قلبك الدمعة الحمـ | ـراء حزناً فى الوجنة الصفراء
عودُ صبرى من اللحا قد تعرّى | فانبذ الصبرَ لوعةً فى العراء[2]
إن تسلنى عن ظلمة الكون لمّا | حلن أنوارَ أرضه والسماء
فهو أثوابُ ليل حزن دجاه | طبّق الخافقين بالظلماء
قد خفقن النجوم منه بجنحٍ | سامَ أنوارَهن بالإطفاء
ولبدر الغبراء حال أخوه | بدرُ أهل الغبراء والخضراء
والى الشمس قد نعوه فماتت | جزعاً من سماع صوت النعاء
وله غصّ بالمصاب ولمّا | يتنفس حتى قضى ابن ذُكاء
وقف المجد ناشداً يومَ أودى | شاحبَ الوجه كاسف الأضواء
هل ترى (صالحا) على الأرض لما | غاب فيها (المهدىُّ) بدر العلاء
قلت خفّض عليك من عظم الأمـ | ـر ونهنه من لوعة البرحاء
ليس إلا (محمدٌ صالحٌ) يوجد | فى الأرض من بنى حواء
فى التقى[3] والصلاح والزهد والخشـ | ـية والنسك بل وحسن الرجاء
هى فى العالمين أجزاء لكن | هو كلٌّ لهذه الأجزاء
وبيوم المعاد لو لقىَ الخلـ | ـقَ بأعماله إلهُ السماء
كان حقاً أن يعدم النار إذ ليس | نصيبٌ للنار فى الأتقياء
ليس ينفكّ للجميل قريباً | وبعيداً عن خطة الفحشاء
ومهاباً له على أعين الدهر | قضى الكبرياءَ بالإغضاء
وبليغا قد انتظمن معانيـ | ـه[4] بسلك الإعجاز للبلغاء

---

(١) وفي نسخة : عظم الخطب
(٢) وفي نسخة : بالعراء
(٣) وفي نسخة : فالتقى
(٤) وفي نسخة : معاليه

وفصيحاً بنطقه يخرس(١) الدهـ … ـرَ فما قدرُ سائر الفصحاء
فارسُ المشكلات إن ندبوه … لبيـان المقالة العوصاء
فهو من غرّ(٢) لفظه يطعن الثغ … رةَ منه بالحجة البيضـاء
واحدُ الفضل ما له فيه ثان … غير (عبدالكريم) غيث العطاء
بعقود الثنـــاء فخراً تحلىّ … وتحلّت بـه عقودُ الثنـاء
الذكيُّ الذى اذا قستَ أهلَ الـ … ـفضل(٣) فيه كانوا من الأغبياء
والمصلّى للمجد خلف(٤) أخيه … فى سباق الأشبـاه والنظراء
ضربا فى العُلى بعرقٍ كريمٍ … واحدٍ دون سائر الأكفاء
ينتمى كلٌّ واحدٍ منهما عنـ … ـد انتساب الأبنـاء للآباء
للكرام الأكفّ تحسب فيهنَّ … يذوب الغمامُ يوم السخاء(٥)
معشرُ المجد ، شيعة الشرفِ البا … ذخ ، بيضُ الوجوه خضر الفِناء
قـد حباهم (محمدٌ) بجميل الـ … ـذكر إذ كان (صالح) الأبناء(٦)
يقظُ القلب فى حياطة دين اللّـ … ـه حتى فى حالة الإغفـاء
ذو يمينٍ بيضاء لم تتغـيّرْ … بأثام (البيضاء) و (الصفراء)
يا عليماً يصيب شاكلةَ الغيـ … ـب بتسديد(٧) أسهم الآراء
وكـظيماً للحزن يطوى حشاه … جلداً فوق زفرةٍ خرساء
لك ذاتٌ عرامة(٨) الدهر حتى … لك أمسى يُعدُّ فى الوصفاء(٩)
ملكت رقّه يمينك فالعا … لم من رقّه من العتقاء

(١) في العقد المفصل : أخرس (٢) وفي نسخة : عز
(٣) وفي الديوان المطبوع : أهل الارض (٤) وفيه أيضاً : بعد
(٥) يقصد قبيلة ربيعة التي ينتسب لها آل كبة .
(٦) وفي مخطوطة الملا : الآباء .
(٧) في الديوان المطبوع : بتشديد ، وهو غلط .
(٨) عرامة : وهي الشدة ، وفي المطبوع غرامة .
(٩) الوصفاء : الخدم

ولئن قد أساء فالعبدُ للمو … لى مسيءٌ جهلاً بغير اهتداء
أنتَ أطلقت أسر أعوامه الغبـ … ـر من الجدب بالندى والسخاء
فجنى ما جنى ، وغير عجيبٍ … إنما السوء عادةُ الطلقاءِ
ولئن كان مسخطاً لك بالأمـ … ـس بهذى المصيبة الصمّاء
فلك اليوم فى (محمدٍ) الندب … (الرضا) عنه فهو أعلى الرضاء
ذو محيّاً كالبدر يقطر منه … مثل طلّ(١) الأنداء ماءُ الحياء
وعلاءٍ هى السماءُ ، مساعيـ … ـه نجومٌ لألاؤها بالضياء
ومزاياً لم أرض نظمىَ فيها … ولو انّى نظمتُ شهبَ السماء
أو فمُ الدهر كنتُ فيه لساناً … ناطقاً ما بلغتُ بعض الثناء
دون احصائها الكلامُ تناهى … فغدت مستحيلة الأحصاء
تيّمت(٢) قلبه حسانُ المعالى … بهواهنّ ، لا حسانُ الظباء
وعلى الخلق خلقُه فاض بالبشـ … ـر فأزرى بالروضة الغنّاء
خُلقٌ شفٌ ، فالهواء كثيفٌ … عنده إن قرنته بالهواء
أرضعته العلاءُ ثدياً وثدياً … رضع (المصطفى) ابنُ امّ العلاء
فهما فى الزمان يقتسمان الـ … فخرَ دون الورى بحظٍ سواء
ألفت نفسُه السماحَ فتيّاً … بوركا من فتوةٍ وفتاء
وحوى الفضلَ يافعَ السنّ لمّا … فات شوطَ المشايخ العظماء
يا رحابَ الصدور فى كل خطبٍ … وثقالَ الحلوم عند البلاء
لن تضلوا السبيلَ والبدرُ (هادٍ) … لكم فى دجنّة الغمّاء(٣)
وأخوه (محمدٌ) حلمكُم فيه … حسينَ رأسٍ لدى النكباء(٤)

(١) في المطبوع : ظل
(٢) تيمت : استعبدت . شغفت .
(٣) وفي المطبوع : الظلماء .
(٤) يشير الى عبد الهادي ومحمد حسين آبناء الحاج محمد رضا .

ولكم أوجهٌ بكل مهمٍّ (١) ليس منها يحول حسنُ الثناء
ونفوسٌ اذا التقت بالرزايا غير مضعوفة القوى باللقاء
وكملس الصفا قلوبٌ لدى الخطب بها رنٌّ (٢) مقطعُ الأرزاء
إن أسمكم حسنَ الأسى ولأضعاف أساكم تضمَّنت أحشائى
فلكم بعضكم ببعضٍ عزاءٌ ولنا فيكم جميل العزاء

وقال يرثى طفلاً له صغيراً (٣) :

هل يطربنَّك يا زمانُ نعائى ؟ أم أنكَ استعذبت ماءَ بكائى ؟
فى كل يومٍ منك ألقى شدةً ولأنت يوما شدةٍ ورخاء
لا زلت ملحمَ غارة الأرزاء أو حاشداً جيشاً من النكباء
حتى أصبتَ صميمَ قلبى بغتةً وطرقتنى بفجيعةٍ صمّاء
لم تُبقِ لى جلداً ، وكنتُ أخالنى جلداً بكل ملمَّةٍ دهياء
ومعنفٍ طربِ المسامع ما رمى عينيه صرفُ الدهر بالأقذاء
قد لامنى ـ وحشاه بين ضلوعه ـ والأرضُ مطبقة على أحشائى
أمعيبَ حزنى لو ملكتُ تجلدى ما بتُّ أمزجُ أدمعى ببكائى
أبنىَّ لو خُلِع البقاءُ على امرىءٍ لخلعتُ من شغفٍ عليك بقائى
مُغفٍ قد امتلأت ردىً بدل الكرى عيناك فاقدَ لذة الإغفاء
داءٌ ترحَّل فيك عنّى معقبٌ فى مهجتى للوجد أقتل داء
لهفى عليكَ بكل حين أبتغى فيه لقاكَ ولاتَ حين لقاء
ولئن حُجبتَ بحيث أنت من الثرى عن ناظرىَّ فأنت فى أحشائى

(١) في المطبوع : ملم .
(٢) وفيه أيضاً : يهادن .
(٣) لم تثبت هذه المقطوعة في الديوان المطبوع ، وقد ذكر وفاة هذا الطفل الصغير في (العقد المفصل) انها في سنة ١٢٦٦ هـ .

قرُبتْ بك الذكرى وفيك نأى الردى
نفسي فداؤك من قريبٍ ناء

لو متُّ من أسفي عليك فلم يكن عجباً ، ولكن العجيب بقائي
لا زال قبرٌ ضمَّ جسمك تربُه متنسّماً بلطائم الأنداء
ولئن أبت حيث استقلّ بك الردى ان تستهلّ حوافلُ الأنواء
فحدت اليك على البعاد مدامعي غيثاً جنوبُ تنفّس الصعداء

وقال يرثي كريمة العلامة الكبير السيد مهدي القزويني ويعزّيه وأولاده بوفاتها :ـ

كفأ الإلهُ إناءَها دنياً أطلتُ هجاءَها
سلني بها فلقد قتلتُ بخبرتي أنباءها
وحلبتُ أشطرها معاً ومعاً مخضت سقاءها
ولها مواضعُ نقبها ثقةً وضعتُ هناءها
فالآن أنطق ان سبرن تجاربي آناءها (١)
هي مَن خبرتُ طباعها لما خطيتُ وراءها
فوجدت فاركةً وقلتُ أرى الطلاق دواءها
عنها اليك فانها تدع القلوبَ وراءها
لا تعزمنَّ بها البنا ء ودع لها أبناءها
ذاتُ التلوّن ما أقلّ على الصفاء وفاءها
قلبُ الخدائع كلها غمست بهنَّ دِلاءها
كم أنفسٍ ملكت بزبر ج حسنها أهواءها

---

(١) وفي نسخة : أبناءها .

دهياءُ إلا أنها جهل الأنامُ دهاءَها
أبداً تدبُّ بها الهمومُ الى النفوس ضُراءَها
خبأتْ خشونة غدرِها لمن استلان وطاءها
كالصلّ: لكن لا يصيبُ لديغها رقاءها
خرقاء تُدعى بالصناع يداً، فدع خرقاءها
لا ترجُ نائلها، فكم قطعت يداً ورجاءها
وبهدم عمركِ قد سعت فلمن تريد(١) بناءها؟
اليوم ترشفُ زهوها وغداً تعالجُ داءها
ما إن حمدتَ صباحها إلا ذممتَ مساءها
دارُ الفجايع، والروا يع ما أشق عناءها!!
يا ناعماً حتى كأنك لم تخفْ بأساءها
لا تطلبنَّ بها البقاءَ فقد عرفتَ فناءها
ولقد سمعتَ وكان أفـ ضعُ ما سمعت نداءها
أبنى التى أكلت بأضـ ـراس البلا أبناءها؟
أوما كفاكم أنها سقت الردى أكفاءها؟
طوت المقاولَ كلها وتحيَّفت أذواءها(٢)
ولكم سمت ببشارةٍ لبس الزمانُ بهاءها
فغدت على إثر البشير بها تطيل نعاءها
ولكم دعت (بكريمةٍ) والموتُ كان دعاءها
فاستُودعت جدثاً أرى منه أضمَّ خباءها

(١) وفي المطبوع: تريد.

(٢) المقاول: جمع مقول وهو القيل بلغة أهل اليمن، والأذواء: ملوك اليمن لتقدم «ذو» على أسمائهم مثل ذو يزن وذو نواس.

وأرى الخفارة(١) خدرها ... وعفافها ، وحياءها
وأراكَ في دار المكارم ... ما أجلَّ عزاءها
مرضت له اليوم السماءُ ... بكاسفٍ أضواءها
وبكت لغلّة مَن بهم ... سقت البسيطة ماءها
والأرض أضحت تقشعرُّ ... برجفٍ غبراءها
رجّت(٢) لوجد المسكين ... بحلمهم أرجاءها
وعرا القذا عينَ الزمان ... لمن جلوا أقذاءها
يا خجلة الدنيا لما ... لقيت به عظماءها
وغلطتُ فيما قلتُ ، بل ... يا ما أقلَّ حياءها
أوما على دار النبوة ... تابعت أرزاءها ؟
صدعت بهن حشا الهدى ... صدعَ الردى أحشاءها
كم مرَّ من يومٍ نوا ... يحه تمطُّ(٣) ملاءها
فأتى بقارعةٍ تزلـ ... زل أرضها وسماءها
طرقت حمى الدار التى ... لبس الورى نعماءها
دارٌ بها فتح الرشا ... د بخاتمٍ علماءها
السيدُ (المهديُّ) أكـ ... رم من وطا حصباءها
منه بواحدها الشريـ ... عة كاثرت أعداءها
هذا الذى ببقائه ... حفظ الإلهُ بقاءها
للفضل ما ارتفعت سماً ... إلا وكان ذكاءها
هو آيـة الله التى ... كست الهدى لألاءها
وأبو كواكبَ لا تضيـ ... ىء النيّراتُ ضياءها

(١) الخفارة : شدة الحياء .
(٢) في الديوان المطبوع : رحبت .
(٣) عط : شق ، الملاء : الثياب .

أنوار وحيٍ لا رأت … عينُ الهدى إطفاءها
ونفوسُ قدسٍ قلْ أن … تغدو النفوس فداءها
هم اسرةُ الدين التى … فرضَ الإلهُ ولاءها
ولها بواجب ودّها … صفت القلوب صفاءها
بسطت على الدنيا أكفاً … ما تغبُ سخاءها
وسرت بفضلهم الروا … ة ففصّلت أنباءها
وزوت (بجعفرهم) لحا … ئمة الرجاء رواءها
ذاك الذى نشرت علي … ـه المكرماتُ لواءها
ومشى على قدمٍ غدا … وجهُ الحسود حذاءها
ناهيك(١) من قمرٍ على الـ … ـدنيا أعاد بهاءها
من بعد ما لبست لفقـ … ـدِ كرامها ظلماءها
هو للزعامة (صالحٌ) … شرفاً رقى علياءها
ما حيلتى؟ فله منا … قبُ أفحمت شعراءها
لو استطيع إذاً نظمـ … ـتُ من النجوم ثناءها
فهو الذى فى ظلـه … رأت الورى استذراءها (٢)
واستدفعت فيه - على … أن لا مُغيثَ - بلاءها
واستكشفت عنها بوجـ … ـه (محمدٍ) غماءها
وعيونها (بحسينها) … رمقت وكان ضياءها
بيضُ الوجوه غطارفٌ … نسجَ الفخارُ رداءها
فى الشتوة الغبراء لا … تغنى الكرامُ غناءها
من دوحة وجدت بما … ءِ المكرمات رواءها (٣)

(١) ناهيك : كلمة تعجب تستعمل في المدح العالي .
(٢) الاستذراء : الاستظلال ، الالتجاء .
(٣) في الديوان المطبوع : نماءها .

نشأت تظللُ في الورى أفنانُها أفياءها [1]
أبني الزمان دعوا كوا كبَ هاشمٍ وسماءها
فيئوا اليكم عن عُلاً لهم الإلهُ أفاءها
يا اسرةً خدمتْ ملا ئكة السما آباءها
فطر الإلهُ من الجبا لِ حلومَها وعلاءها
لو تفرشون بقدركم لفرشتم خضراءها
أو لستم المتجاوزيـ ـن بمجدكم جوزاءها
امناءَ دين الله سا دةَ خلقه امناءها [2]
بين الإلهِ وبينها وجدتكمُ سفراءها
ركبت سحابة رحمةٍ من ذي الرياح رُخاءها [3]
وسرت على الدنيا من الـ فردوس تحمل ماءها
فسقت ضريحاً عنكم ختمت به أرزاءها

وقال يرثي السيد علي النقيب ضمن كتاب كتبه عن لسان العلامة السيد مهدي القزويني :-

قد علمنا فقرَ العفاة اليه أفكان الردى من الفقراء؟
فحباه بنفسه مذ أتاه مستميحاً يمشي على استحياء
غسلوه والمكرمات تنادي بينهم لا تغسّلوه بماء
واليكم عنه [4] فإنّي أولى منكمُ بالكريم من أبنائي
ليس لي حاجة اليكم جميعاً إنما عنكم بعيني غنائي

---

(١) في الديوان المطبوع : امناءها .
(٢) في نسخة : امراءها .
(٣) الرخاء : ريح لينة الهبوب .
(٤) في الديوان المخطوط : عني .

هدبها السدرُ والبياض حنوطٌ ... والزلالُ القراح ماءُ بكائى
وكفانى بجفنها كفناً يضـ ... ـفو على جسمه المسجّى أزائى
ودعوا قبرَه فمقلتى القبـ ... ـر لإنسانِ عينى البيضاء

وقال راثياً العلامة السيد ميرزا صالح القزويني ومعزياً أخويه العلامة السيد محمد والعلامة السيد حسين : -

وبجدِكَ ما خلتُ(١) الردى منك يقربُ ... لأنكَ فى صدر الردى منه أهيب(٢)
أصابكَ ، لا من حيث تخشى سهامه ... عليك ، ولا من حيث يقوى فيشغب(٣)
ولكن رمى من غرّةٍ ما أصابها ... بمثلك رامٍ منه يرمى فيعطب
وما خلتُ منك الداءَ يبلغ ما أرى ... لأنك للدهر الدواءُ المجرّب
ولا فى فراش السقم قدّرتُ أننى ... أرى منك طوداً بالأكفّ يقلّب
أمنتُ عليك النائبات ، وانها ... لعن كلّ من آمنته تتنكّب
وقلت شغلن الدهرَ فى كل لحظةٍ ... مواهبُ كفّيك التى ليس توهب
ولم أدر أن الخطب يجمع وثبة ... وان عشار الموت بالشكل مقرب(٤)
الى حين أردتنى بفقدك ليلةٌ ... تولّد منها يومُ حزنٍ عصبصب(٥)
فقام بك الناعى وقال وللأسى ... بكل حشاً يدميه ظفرٌ ومخلب

---

(١) في الديوان المطبوع : خفت .

(٢) حدثني الشيخ قاسم الملا الحلي ان هذه القصيدة مطلعها :

رواق العلى أبن المليك المحجب ... لمن بعده تلك الأسرة تنصب

غير أن الشاعر أعرض عنه بالنظر الى أن المعزى أخوه العلامة السيد محمد القزويني وهو علم حينئذ ولأنه خاف من أن يكون ذلك كتعريض به .

(٣) يشغب : يهيج « للشر » . وفي نسخة : يشعب .

(٤) العشار المقرب : الابل الحوامل قريبة الوضع .

(٥) العصبصب : اليوم الشديد الحر أو الشديد مطلقاً .

هلمّ بنى الدنيا جميعاً الى التى ... تزلزل منها اليوم شرقٌ ومغرب
شكاةٌ ، ولـكن فى حشا المجد داؤها ... وندبٌ ولـكن (هاشمٌ) فيه تندب
صهٍ أيها النـاعى فنعيك يعطب ... عضضت الصفا لا بل حشا فاك إثلب[1]
لسانك يا جفّت لهاتُك أو غدت ... بريقِ الأفاعى لا بريقِك ترطب
رويدك رفقاً عن حشاشة أنفسٍ ... هفت جزعاً[2] عما تعمّى وتعرب
فدع (صالحاً) لى وانع من شئت إنها ... ستذهب أحشاء الهدى حين يذهب
فليتك لى فى نعيك الناس كلها ... صدقت وفى فردٍ (هو الناس) تكذب
وداعٍ دعا والرشدُ يقبر والهدى ... يسوف ثرى واراه والوحىُ ينحب
ألا تلـكم الأملاكُ شعثاً تزاحموا ... على من ؟ فهل منهم توارى مقرّب ؟
أمستعظمَ الأملاك لا بل هو الذى ... الى الله فيه كلهم يتقرّب
لقد رفعوا منه مناكبَ لم يكن[3] ... لينهضَ ، لولا اللهُ ، فيهن منكب
مناكبَ من جسم (النبوّة) حمّلت ... (إمامة) حقٍ فضلها ليس يحسب
لقد دفنوا فى دفنها العلمَ ميّتاً ... وحسبُك نارٌ[4] فى الجوانح تلهب
ويا رافدىٌ اليوم قوما على ثرىً ... توارى به ذاك الأغرُّ المهذّب
قفا عزيا (المهدىٌ) بابنٍ هو الأبُ ... لذى[5] الدين ، فالدين اليتيم المترّب
سلا كشبَ ذاك القبر يندى صعيدُه ... برىّ بنى الآمال هل راح ينضب ؟
وهل روّضت خصباً بكفٍ عهدتُها ... تنوب منابَ الغيث والعامُ مجدب ؟
وهل زال من ذاك المحيّـا وضاؤه ... فقد راح وجه الدهر للحشر[6] يشحب ؟
ضحى هاشمٌ سرجَ العلى ، وترجّلى ... فما لكِ فى ظهرٍ من العزّ مركب
ودونك تقليب الأكفّ تعللاً ... فقد فات[7] منك المشرفىُّ المذرّب

(١) اثلب : فتات الحجارة والتراب جمع أثالب .
(٢) في المطبوع : فزعاً مما .
(٣) في المطبوع : تمكن
(٤) وفيه أيضاً : وحسبك ناراً
(٥) وفيه أيضاً : لذا
(٦) وفيه أيضاً : للبعث يسحب
(٧) في مخطوطة الملا : مات .

وياناهي دمعي اعذراني على البكا — فما الناسُ إلا عاذلٌ ومؤنب[1]
قفا واندبا أو خليّاني ووقفةً — يدكّ الرواسي شجوُها حين أندب
أجامعَ شمل الدين شعّب صدعُه — ليومك صدعٌ فى الهدى ليس يشعب
وأعجب شيء أن نعشك فى السما — ومنك توارى فى ثرى الأرض كوكب
رمتك بها أيدى المقادير علّةً — عييتَ بها ما طبُّها متطبّب
رجوناوقد أكدى « الرجاء المخيب » — نهنّيك منها بالشفاء ونطرب[2]
ونجلسُ زهواً مستعدّين للهنا — بناد به الأمثالُ فى الفخر تضرب[3]
بحيث قلوبُ الناس ، هذا منعمٌ — سروراً بإنشادى ، وهذا معذّب
بلى قد جلسنا مجلساً ودّت السما — أسرّتها[4] من شهبها فيه تنصب
كأنا تأهبنا لأوبة مقبلٍ — وكان ليأسٍ منك هذا التأهب
وهل أملٌ فى عود مَن ذهبتْ به — بقاطعة الآمال عنقاءُ مغربِ ؟[5]
وأقتل ما لاقيتُه فيك أننى — حضرت ومنك الشخص ناءٍ مغيّب
وعندى مما أسار[6] البين لوعةٌ — تجدُّ بأحناء الضلوع وتلعب
اقلّب طرفى لا أرى لك طلعةً — يضيء بها هذا النديُّ المطيّب
وأنصبُ سمعى لامتداحك لا أعى — به خاطباً بين السماطين[7] يخطب
ومما شجانى أن بدا المجدُ ماثلاً — يصعدُ مثلى طرفه ويصوّب[8]
وقال : وأرخاها جفوناً كليلةً — برغمى خلا منك الرواقُ المحجب
رزيتُ أخاً إن أحدث الدهر جفوة — عتبت بها[9] فارتدَّ لى وهو معتِب

(١) فى المطبوع : عاذل أو مؤنب (٢) فى المطبوع : فتطرب
(٣) وفيه : بالفخر تضرب (٤) وفيه أيضا : اسرته
(٥) العنقاء : اسم طائر مجهول المسمى ، ومغرب صفة لها : أي أغربت ونأت في البلاد .
(٦) يقال اسأر الحاسب في حسابه أي لم يستقص ، واسأر : أبقى .
(٧) السماطين : الصفين . (٨) التصويب : ضد التصعيد
(٩) في المطبوع : عتبت به .

وددّتُ بأن تبقى ، وأن لك الردى فـداءاً بمن فوق البسيطة يذهب
حُجبتَ عن الدنيا ، ولو تملك المنى إذن لتمنَّت فى ضريحك تُحجب
فلا نفضت عن رأسها تربَ مأتمٍ وخدُّك من تحت الصعيد مترّبُ
ثكلتُكَ بسّامَ المحيّا طليقه فبعدك وجهُ الدهر جهمٌ مقطّب
أوجهُك حيا أم بنانك أرطبٌ ؟ وذكرُك ميتاً أم حنوطك أطيب؟
وما نزعوه عنك أم ما لبستَه لدار البلى أنقى جيوباً وأقشب؟
سأبكيك دهراً بالقوافى ولم أقلْ من اليأس وجداً ما يقول المؤنّب
لسان القوافى باسم مَن بعد تخطبُ فلا سمعَ بعد اليوم للمدح يطرب؟
مضى من له كنٌّ القرائحُ برهةً اذا استولدتها قالةُ الشعر تنجب
أجل فلها فى المجد خيرُ بقيّةٍ لها الفضلُ يعزى والمكارمُ تنسب
لئن عزبت تلك الخواطر نبوةً فلا عن ثناهم ، والخواطر تعزب[1]
وإن رغبت عن نظمها الشعر فى الورى فليس لها عن أهل ذا البيت مرغب
مضى من له كانت تهذّب مدحها وأبقى الذى فى مدحه تتهذّب
لئن أغرب المطرى بذكر (محمدٍ)[2] فما انفكَّ فى كسب المحامد يغرب
فتىً تقف الأكفاء دون سماطه وقوفَ بنى الآمال ترجو وترهب
أقلُّ علاه أنَّ أذيال فخره لهنَّ على هام المجرّة مسحب
زعيم قريشٍ ، والزعامةَ فيهم من الله فى الدنيا وفى الدين منصب
حمولاً[3] لأعباء الرياسة ناهضاً بأثقالها فى الحق يُرضى ويغضب
يقلّبُ فى النادى أناملَ سؤددٍ مقبّلها زهواً يتيه ويعجب
اذا احتُلِبت يوماً أرت أضرع الحيا على بُعد عهد بالحيا كيف تحلب

(١) تعزب : تذهب .
(٢) يقصد السيد محمد بن السيد مهدي القزويني الكبير ، ترجمت له في كتابي « شعراء الحلة » ج ٥ ص ٢٣٨ — ٢٧٩ .
(٣) وفي المطبوع : حمول لأعباء الرسالة ناهض .

أخفُّ(١) من الأرواح طبعاً وإنه ... لذو همـةٍ من ثقلها الدهر متعبُ
له شيمٌ ، لو كان للدهر بعضها ... لأضحى الينا الدهرُ وهو محبَّب
وخلْقٌ ، فلولا إنَّ في الخمر سورةً(٢) ... لقلتُ الحميّا منه في الكأس تسكب
لنعم زعيمُ القوم إن يثر لم يكن ... ليلبسَ إلا ما الندى منه يسلب
لنعم شريكُ السحب يبسط مثلها ... بناناً(٣) به روض المكارم معشب
تهذّبُ أخلاقَ السحاب ، وإنما ... متى يجنِ هذا الدهرُ نعم المؤدّب
ترى وفدَه منه تطيف بمورق ... على جود كفيه الرجاء المشذّب
فقد عرّست حيث الندى ، لا سحابه ... جُهامٌ ولا برق المكارم خلَّب
(أباالقاسم) إسمع لا وعى لك مسمعٌ ... سوى مدحٍ ليست لغيرك تخطب
تجلببتَ ثوب الدهر ، فابقَ ومثله ... بودّي اذا أخلقتَـه تتجلبب
لئن ضاق رحب الأرض في عظم رزئكم ... فصدرُك منه أي وعلياك أرحب
وحلمُك أرسى من هضاب (يلملمٍ) ... وعودُك من ناب العواجم أصلب
وما حلَّ رزءٌ عزم(٤) من شدَّ أزره ... أخٌ (كحسين) والأخ الضرب يطلب
فتى الحزم أما في النهى فهو واحدٌ ... ولكنه في موكب الحزم(٥) موكب
اذا القوم جدّوا في احتيالٍ لحُوّلٌ ... وإن قلبوا ظهرَ المجنّ فقُلَّب(٦)
وإن غالبَ الخطبُ الورى فقريعه ... أخو نجدةٍ ما بين برديه أغلب(٧)
فلو شحذت (فهرٌ) بحدّ لسانه ... صوارمَها ما كلٌّ منهنَّ مِضرب

(١) في الديوان المطبوع : على

(٢) السورة : الحدة ، أي حدة الخمر

(٣) وفي الديوان المطبوع : بياناً

(٤) وفي مخطوطة الملا : حزم

(٥) وفي المطبوع : الفخر

(٦) الحول القلب : كثير التصرف في الامور ، وقلب له ظهر المجن : اذا تحول عن الصداقة للعداوة .

(٧) القريع : الذي يغلب في المقارعة ، أخو النجدة : البطل الشهم .

ولو تنتضي منه اللسانَ لصممَّت ... بأقطع من أسيافها حين تضرب
يُصافي بأخــلاقٍ يروقك أنها ... هي الراحُ إلا أنها ليس تقطب
تواضع حتى صار يمشي على الثرى ... وبيتُ عــلاه في السماء مطنَّب
قرى ضيفه قبل القِرى بشرُ وجهه ... وقبل نزول النُزل[1] أهلٌ ومرحب
اذا احتلب السحب النسيمُ فكفُّه ... على الوفـد طبعاً جودُها يتحلَّب
ألا مبلغٌ عنّي الغداةَ رسـالةً ... للحد أبي (الهادى) يقول فيطنب
(أباحسنٍ) إن تمسِ دارُك والسما ... سمـائين في افقيهما الشهب تثقب
فتلك السما سعدٌ ونحسٌ نجومها ... على أنها بعضٌ عن البعض أجنب
وهذى السما للسعد كلٌ نجومها ... ويخلف فيها كوكباً منه كوكب
فلو عاد للدنيـا بشخصك عائدٌ ... لأبصرتَ فيها ما يُسرُّ ويعجب
فمن وجهك (الهادى) تروق بمنظرٍ ... لها (حسنٌ) والحمد بالحسن يكسب[2]
و (أحمدُ) فيها من بهائك لامعاً ... لوفدك فيه عازبُ الانس يجلب[3]
بكلّ ابن مجدٍ ما نضا بردةَ الصبا ... على أنــه فيها لأضيافه اب
أخو الحزم إما قسته في لداته ... فطفلٌ ، وإن مارسته فهو أشيب
بنوكَ بنو العليـاء أنجبت فيهم ... لك الله هل تدرى بمن أنت منجب؟
غطـارفةٌ لا تعقب الشمسُ مثلهم ... ولو أنها في افقها منك تعقب
ذوو غررٍ يجلو الغياهبَ ضوؤها ... وغيرهم في عــين رائيه غيهب
أأهلَ النفوس الغاليـات مولداً ... لأنتم على كسب المـكارم أغلب
رقاق حواشي الطبع ، طبتم شمائلاً ... بها أرج من نفحة المسك أطيب
لـكم خلقا مجـدٍ ، فذلك للعدى ... بمر ، وهــذا للمحبين يعذب

---

(١) في الديوان المطبوع : النزل النزل .

(٢) الهادي والحسن ، علمان ملء السمع والبصر ، وهما ولدا المرثي السيد صالح .

(٣) أحمد : هو ثالث أنجال المرثي . كان شاعراً فاضلا ، ولد في الحلة عام ١٢٨٧ هـ وتوفي في النجف عام ١٣٢٤هـ ترجمت له في شعراء الحلة ج ١ ص ٧٢ ط ١ و ١٠٤ ط ٢ .

طُبعتم سيوفاً لم يلقَ لنجادها ... سوى منكب المجد المؤثل منكب
وطنَّبتم أبياتَ فخرٍ أبي العلى ... لكم عوضاً عنها النجومُ تطنّب
فما تلك إلا زينة لسمائها ... وهذى بفرق المجد للوحى تضرب
فدونكموها ثاكلاً قد تسلبت ... ووشيُ بهاءٍ زانها ليس يسلب
أتت لكم عذراء فى ريّق الصبا ... بعصرٍ سواها فيه شمطاءُ ثيّب
فِداكم من الأرزاء حاسدُ مجدكم ... وإلا ففيكم عاش وهو معذّب
طِلعتم طلوع الشمس فى مشرق العلى ... فلا تغربوا ما الشمس تبدو وتغرب

وقال راثيا كريمة الحاج محمد صالح كبه :-

لحى اللهُ دهراً لو يميل الى العُتبي[1] ... لأوسعتُ بعد اليوم مسمعه عَتبا
ولكنه والشرُ حشو إهابه ... على شغبه إن قلتُ مهلاً يزدْ شغبا
له السوءُ لم يُلبس أخا الفضل نعمةً ... يسرُّ بها إلا أعدَّ لها السلبا
على الحرّ ملآنٌ من الضغن قلبه ... فبالهمّ منه لم يزلْ ينحت القلبا
يطلُّ عليه كل يوم وليلةٍ ... بقارعةٍ من صرفه تقلع[2] الهضبا
كأنَّ كرامَ الناس فى حلقه شجاً ... وإلا قذىً يُدمى لناظره غربا[3]
فيلفظهم كيما يسيغَ شرابه ... وتطبقُ عيناه على هدبه الهدبا
وحاربهم من غير ذنبٍ لنقصه ... فلست أرى غيرَ الكمال له ذنبا
كأنَّ له يا أعدم اللهُ ظلّه ... لديهم تراثاً فهو لا يبرح الحربا
وأصعبُ حربٍ منه يومَ صروفُه ... من الشرف السامى ارتقت مرتقىً صعبا
تخطّت حمى العلياء حتى انتهت به ... الى حرمٍ للخطب يشعره رُعبا

---

(١) العتبي : الرضا
(٢) في المطبوع : تصدع .
(٣) الغرب : شدة دمع العين .

فما نهنهت دون الوقوف على خباً ضربن المعالى فوق رتبته [١] حجبا
ولا صدرت إلا بنفسٍ نجيبةٍ
عليها مدى [٢] الدهر العلى صرخت غضبى
أسرَّ لها الناعى المفجّعُ نعيَها فقامت عليها [٣] تعلن النوح والندبا
وهوّن فقدانَ النساء مؤنّب يعيب الأسى لو شئت أوسعته ثلبا
وهوّن فقدان الرجال وعنده [٤] على زعمه فيما يرى هوّن الخطبا
وما كلُّ فقدانِ النساء بهيّن ولا كلُّ فقدان الرجال يُرى صعبا
فكم ذات خدرٍ كان أولى بها البقا وكم رجلٍ أولى بأن يسكن التربا
وغير ملومٍ من يبيتُ لفقده كريمته يستشعر الحزنَ والندبا
فكم من أبٍ زانته عفةُ بنته وكم ولدٍ قد شانَ والدَه الندبا
فساقت بمأثور الحديث له [٥] الثنا وساق بمأثور الملام له السبّا
بل الخطب فقدُ الأنجبين ، ومن له بذلك ؟ لولا أنها تلد النجبا
وربّةُ نسكٍ بضعةٌ من (محمدٍ) مضت مازهت يوماً ولا اتخذت تربا
غداة قضى عن أهلها الدهر بعدها وأوحشها من لا ترى من ذوى القربى
وأخرجها من عالم الكون مثلما له دَخلتْ ، لم تقترفْ أبداً ذنبا
أحبَّ إلـهُ العالمين جوارها له فقضى بالموت منه لها قربا
حليفةُ زهدٍ ما تصدّت لزينةٍ ولا عرفتْ فى الدهر لهواً ولا لعبا
وخبأها فرطُ الحياء فلم تكن تصافحُ وجهَ الأرض أذيالها سحبا
فلو أنّ عين الشمس تقسمُ أنها لها ما رأت شخصاً لما حلفت كذبا

---

(١) في مخطوطة الملا : رتبه ، ولا وجه له .
(٢) في المطبوع : على
(٣) في مخطوطة الملا : عليه .
(٤) في المطبوع : يرى الخطب فقدان الرجال وعنده .
(٥) في مخطوطة الملا : لها في الصدر والعجز وتكرار الحديث أيضاً .

وغيرَ حجاب الخدر والقبر ما رأتْ ... ولا شاهدت شرقاً لدنيا ولا غربا
فلم تُـدر إلا بالسماع حياتُها ... وجاء سماعاً أنها قضت النحبا
وأما هى العنقاء قلتَ فصادقٌ ... ولكن مقام الإحترام لها يأبى
وما هى إلا بضعةٌ من (محمدٍ) ... أجلُّ بنى الدنيا وأعلاهم كعبا
وأرحبهم بيتاً ، وأوسعهم قِرىً ... وأطولهم باعاً وأرجحهم لبّا
رطيب[1] ثرىً منه تحيّ وفودُه ... محيّاً بأنداء الحيا لم يزل رطبا
وتلمسُ منه أنملاً هنّ للندى ... سحائب فيها علّم المطرُ السحبا[2]
ولو نُسبتْ شهبُ السماء بأنها ... بنوه إذن تاهتْ بنسبتها عجبا
غدا مركزاً للفضل ما لفضيلةٍ[3] ... جرى فلكٌ إلا وكان له قطبا
له حبَّبتْ كسبَ الثناء سجيّةٌ ... بها وهو طفلٌ نفسه شغفت حبّا
وأحرزها (عبدُ الكريم) شقيقه ... فأصبح فى كسب الثنا مغرماً صبّا
على أنه البحرُ المحيط وولده ... جداول جودٍ كان موردُها عذبا
(رضا) الفخر (هادى) المكرمات و (مصطفى) ... جميع بنى العلياء ندبٌ[4] حكى ندبا
غطارفةٌ زهرُ الوجوه لو انهم ... بها قابلوا شهب السما[5] أطفأوا الشهبا
بنى المصطفى أنتم معادن للتقى ... وأرجح أرباب النهى والحجى لبا
رقى صبركم[6] أفى الخطوب فلم تكن ... لتضجركم يوماً ولو أوجعت لسبا[7]
فلا طرقتكم نكبةٌ بعد هذه ... ولا ساور التبريحُ يوماً لكم قلبا

---

(١) في مخطوطة الملا : تطيب
(٢) وفي رواية : السكبا
(٣) في المطبوع : لا افضيلة
(٤) في المطبوع : ندباً حكى ندبا
(٥) وفيه : الدجا
(٦) وفيه : صبرم
(٧) اللسب : اللدغ ، اللسع .

وقال راثياً العلامة الكبير الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر صاحب جواهر الكلام (١) : -

أظلم شرقُ الدنيا ومغربها … لما توارى فى الترب كوكُبها
وكادت السبعة الطباق معاً … تطوى وكاد الفناء يعقبها
والأرض فى أهلها قد اضطربت … وأوشك الإضطرابُ يقلبها
والناس فى حيرةٍ بأجمعها … لم تدرِ فى الأرض أين مذهبها
أوهت صفاة الإسلام حادثة … حقٌ لكل الأنام تندبها
قد قصمت عروة التقى وعلى … افق سما الدين مُدَّ غيهبها
فغودرت جاهليةٌ ومن الـ … ـرشاد لا مرشدٌ يقرّبها
قد عاد أهل الإلحاد ينتهز الفر … صة منهم من كان يرقبها
وراح راعى الضلال ممترياً … ضرعَ لبون الفساد يحلبها
اليوم قضبُ الحمام طبّق فى … مفاصل المكرمات مقضبها
جذٌ بها (٢) كفُّها وجبٌ به … سنامُها بل وفلٌ مضربها
اليوم اودى (محمدٌ حسنُ) الـ … أفعال أزكى الأنام أطيبها
إن ناح حزناً عليه مشرقها … جاد به بالنياح مغربها
أرفعُ كل الورى مقامَ عُلىً … معظمٌ للثناء أكسبها
أسمحُها راحةً وأحسنها … خَلقاً وخُلقاً للمدح أجلبها
أبلغُها فى المقال ، أعلمها … أطيبُ منها فرعاً وأنجبها

(١) أشهر مشاهير زعماء الدين في عصره ، وجد الاسرة الجواهرية في النجف ، وقد صار مرجعاً دينياً . ألف كتابه الكبير جواهر « الكلام في شرح شرايع الاسلام » بدأ بتأليفه عام ١٢٣٠ هـ وانتهى منه عام ١٢٥٧ هـ وله غيره من الكتب الجليلة . توفي عام ١٢٦٦ هـ ودفن بمقبرته الخاصة في محلة العمارة في النجف . وكان يوم وفاته مشهوداً ، رثاه فريق من مشاهير شعراء عصره بقصائد عامرة .

(٢) في المطبوع : جذ به . جذ وجب : بمعنى قطع ، والسنام أعلى ظهر البعير .

أربطُ منها جاشاً وأوقرُها حوْلها فى الخطوب قلّبها
قد ضل إلا اليه وافدُها وضاق إلا عليه مطلبها
إن شمل العالم العقوقُ معاً أو كاد جهل الأنام يغلبها
فذاك فى حلمه يدبّرُه وذى بأخلاقه يؤدّبها
لنفسه ما يزال فى طلب الرا حة يومَ المعاد يتعبها
فى طاعة الله كان يجهدُها وفى رضاء الإلـه يغضبها
من مرديات الهوى ينزهُها وعن دنايا الامور يحجبها
مرتبةٌ زاحم النجومَ على الـ أُفق لفرط العلوِ منكبها
فهمٌ على المشكلات يطلعُه ليس عليه يخفى مغيّبها
لو قارعته الخطوبُ مجهدةً لهان منها عليه أصعبها
وإن عرا الخلقَ حادثٌ جللٌ فالناس طراً اليه مهربها
فيا لها من رزيّة عظمت أهونها قاتلٌ وأصعبها
صبراً جميلاً على غروب ذكاً كان بخير الجنان مغربها
وانَّ قبراً قد حلّه (حسنٌ) أزكى أراضى الدنيا وأطيبها
لقبره استقى سحاب حياً والسحب من راحتيه صيّبها

وقال راثياً ولداً له اسمه سليمان :-

لبستُ من الدهرُ ثوباً قشيبا ورحتُ بكفيه منه سليبا
وأصبح كلى له مقتلاً فحيث رمى كان سهماً (١) مصيبا
رمانى بصمّاء توهى القوى وقال اليك توقَّ الخطوبا
فشأنك ما بعد امّ الخطوب بقلبي تحدثُ وسماً غريبا
وقائلةٍ قد أصاب الحمام سواك ، وذلك قلبي اصيبا

(١) في مخطوطة الملا : كان سهمي .

فنهنه من الوجد ما قد يعيبُ وكفكفْ من العين دمعا سكوبا
فقلتُ ، وقلبي أنفـــاسه من الوجد تورى بصدرى لهيبا
ألا ثمنى ان اصيب المزاد(١) بما فيه لابد من أن يصوبا
أطيلي العويلَ معى والنحيبا وإلا دعيني اقاسى الكروبا
خذى اليوم عنى جميل العزاء فقد ملأ الوجدُ قلبي وجيبا
أتأمـــلُ نفسى إذن ليتها اصيبت بسهم الردى أن تطيبا
وبالأمس قد وسّدت خدَّهُ ترابُ القبور فأمسى تريبا
ويا صاحبيَّ قفا بى عليـه نعطّ القلوب أسىً لا الجيوبا
واعقر قلبي لدىْ قــبره بسيف الشجا لا جياداً ونيبا
وأنضح من دم قلبي عليه جفونى دماً ليس دمعاً مشوبا
وأدعوه وهو وراء الصعيد وإن كنت أعلم أن لن يجيبا
أغصناً ولم أجنِ منه الثمارَ جنته يدُ الموت غصناً رطيبا(٢)
ونجماً له اشرقت مقلتـاى بغربهما يوم أبدى غروبا
عجبت ، وما زال هذا الزمانُ يريني فى كل يومٍ عجيبا
تموتُ فتحرم شمَّ النسيم وأحيا أشم الصبا والجنوبا
وتنزل فى موحش مجدب وأنزل ربعاً أنيسا خصيبا
وتسكن أنت بضيق اللحود وأسكن هذا الفضاءَ الرحيبا
كفانى بهذا(٣) جوىً ما بقيتُ يجدد فى القلب جرحاً رغيبا

وقال راثيا ولده وأخاه ويشير الى المكان الذى دفنا فيه :

يا ثاويين الى جنب الفرات معا لدى (مقام نبيّ الله أيوب)

---

(١) المزاد : وعاء يوضع فيه الماء أو غيره .
(٢) في المطبوع : غضاً رطيباً .
(٣) فيه أيضاً : كفاني بها .

أورثتماني وجداً يوم بينكما ... ما عشت في الدهر يحكي وجد يعقوب

وقال يرثي السيد علي النقيب ضمن كتاب التمسه عليه بعض الأشراف عن لسانه : -

نعى الناعون للشرف المعلّى ... فتى الأشراف سيدها النقيبا
(عليّ) القدر أعبق من نمته ... أرومةُ هاشم في المجد طيبا
به لبس الزمانُ قشيبَ بردٍ ... بجوذب ذلك البرد القشيبا
مضى محضَ الضريبة في المعالي ... وخلّد من مآثره ضروبا
وأبقى حيث أغربَ في المزايا ... على كبد الورى وسماً غريبا
اذا اعترض السلوُّ وكاد يخبو ... تعيد لناره الذكرى لهيبا
نعم رحل الهمام بمن نداه ... أقام بكلّ ناحيةٍ خطيبا

وقال رحمه الله في رثاء ولده وأخيه : -

نضارةُ عيشٍ أزهرت واضمحلت ... وأيامُ انسٍ أقبلت ثم ولّت
ومنفقــةٍ باللهو أيامَ عمرِها ... سروراً رأت ردني بدمعي بلّت
فظنت عزائي بالملام فأكثرت ... فلما رأت أن لا عزاءَ أقلّت
فقد عزيت باللوم والقلب بالجوى ... فما ملّ قلبي والعواذلُ ملّت
سقى الله(١) قبراً أهلت أمس ترابه ... على روح جسمي ، ليت كفّي شلّت
غدا سائراً والطرفُ يتبع نعشه ... غداة به عيسُ المنايا استقلّت
ولما تصدّى حائلٌ(٢) الترب دونه ... وعينيَ منه لا فؤادي تخلّت
تلفّتُ والأحشاء عن مستقرّها ... «لشدّة ما تنزو من الوجد» زلّت

---

(١) في الديوان المطبوع : سقى الغيث .
(٢) وفيه أيضاً : حامل الترب .

فما خاذلٌ (١) جاءت بخشفين عنهما ... وعنها بقفر البيد ضلا وضلّت
بأكثر منّى يومَ غاب تلفتاً ... ولا أدمعاً فيها الجفونُ استهلّت

وقال يرثى كريمة الحاج محمد صالح كبه ويمدحه :ـ

يا نعش ما يصنع الفصيحُ ؟ ... لم أدرِ ماذا به يبوح
وأىُّ معنىً اليه يغدو ... فى وصف معناكِ أو يروح ؟
هل فلكٌ أنتِ من علاه ... اليه طرف السهى (٢) طموح ؟
وقد جرت زهرةُ المعالى ... فيه (٣) لغربٍ هو الضريح
أو أنتِ نعش به مسجىً ... جسمٌ لجسم العفاف روح
مناسب الفخر شيعته ... والحسبُ الخالص الصريح
سرى على الأرض حاملوه ... وهو بافق السما يلوح
وخلفه والهٌ ثكولٌ ... امُّ العلى دمعها سفوح
تطارح الورقَ وهى تدعو ... على م ورقُ الحمى تنوح ؟
ما هى والوجد تدّعيه ؟ ... قلبى لا قلبها الجريح
تضمُّ أضلاعُها حشاها ... ولى حشاً ضمّها الضريح
فى طلاحها إلفُها ، وإلفى ... عن وطنى شخصها طليح
أصمُّ فيها النعىُّ سمعى ... مذ جاء من فارسٍ يصيح
تلك المفداةُ ساورتها ... شكيّةٌ ما لها نزوح (٤)
فلم تمرض (٥) بذات قربى ... لها بشكوى الضنى تبوح

---

(١) الخاذل : الظبية تخلفت عن القطيع . الخشف : فرخ الظبي .
(٢) السهى : نجم
(٣) في الديوان المطبوع : فيك
(٤) شكية ما لها نزوح : مرض ملازم
(٥) في المطبوع : ولم تمرض

حتى قضت ، حيث ما عليها … فى غربة البين من ينوحُ
نعم بكت بقعةٌ تصلّى … فيها وشهبُ السما جنوح
وانتحب « الكاتبان » إذ قد[1] … فاتهما وردُها الصحيح
فليغتد اليوم كلُّ خدرٍ … أعمادُ أسجافه تطيح
فربّةُ الاحتجاب أضحت … حجابُها اللحد والضريح
قد غاض ماءُ الحياء يندى … به ثرىً نشرُه يفوح
توسدت والعفاف فيه … يضمُّه جيبُها النصيح
شلّت أكفُّ الزمان ماذا … من حرم المجد يستبيح
اليه دبُّ الضراء لمّا … أبدى بأن جاء يستميح
واغتال محجوبة بخدرٍ … يحوطها السؤددُ الصريح
والعزُّ عنه يذبُّ ما لا … يذبّه الفارس المشيح
ومن أبى المصطفى حماه … فى منعة ما لها مبيح
ذاك الذى راحتاه كلٌّ … على الورى ديمةٌ دلوح[2]
بالطبع مستحلبٌ نداه[3] … إن حلب الغاديات ريح
كأنّ منها البنانَ ضثرٌ[4] … يرتضع الدهرُ ما تميح
مستعذَبٌ جودُه المرجّى … مباركٌ وجهه الصبيح
تقرأ فى الوجه منه هذا … خاتم[5] أهل الندى المنوح
لا يشترى الحمدَ بالعطايا … إذ كان من حقه المديح
لكنه مذ نشا إلى أن … من شيبه استكمل الوضوح
يتاجر اللهَ كلَّ يومٍ … بما حوت كفُّه السموح
حتى لقال الورى جميعاً … هذا هو المتجرُ الربيح

(١) في مخطوطة الملا : لما .
(٢) الدلوح : كثيرة الماء .
(٣) في المخطوطة : نداها .
(٤) الضثر : المرضعة .
(٥) كذا في الاصل ، ولعله : حاتم .

كم ريض للناس فيه أمرٌ صعبٌ على غيره جموحُ
ينشق[1] طيبُ الفخار محضاً من عطف عليائه يفوح
اغرُّ يلقى الوفودَ طلقاً والعامُ في وجهه كلوح[2]
إن ناضل الخصمَ ردّ فاه مع أنه الناطقُ الفصيح
لسانــه ميّتٌ مسجىً والفم منه له ضريح
ما هو إلا خضمُّ علمٍ منه ذوو العلم تستميح
بل هو عنوانُ كل فضلٍ وهم جميعاً له شروح
ونيّرٌ في سماء مجــدٍ بنوه شهبٌ به[3] تلوح
يا من غدا ربعهم وفيه امُّ الردى منتجٌ لقوح
ومن صفات الوقار تمّت فيهم ومنها الحجى الرجيح[4]
تلك التي عنكم استقلّت عيسُ المنـايا بها تسيح
طوبى[5] لها جاورت ضريحاً عن جاره ربُّــه صفوح
واضطجعت في حمى ضجيعٍ حميّــه «آدمٌ» و «نوح»

وقال يرثي ولد الحاج محمد رضا كبه وقد سقط من أعلى السطح الى صحن الدار :-

أجل من عُليَّ ما خلتُ يرقاه فادحُ هلالُ المعالي طوحتّــه الطوائحُ
ومن حيث لا تعلو يدُ الدهر أهبطت الى اللحد نجمَ الفخر فالدهر كالحٍ
تناوله من افق مجـدٍ لعزّةٍ قـد انحسرت عنها العيونُ الطوامحِ
فمطلعه في مشرق المجــد مظلمٌ ومغربه في موضع اللحد واضحِ

---

(١) في المطبوع : تنشق . (٢) الكلوح : التقطيب .
(٣) في المطبوع : بها . (٤) في مخطوطة الملا : رجيح .
(٥) طوبى : جاءت في معاني مختلفة ، وكلها تنطبق هنا منها : الخير ، الغبطة ، السعادة ، وشجرة في الجنة ، والجنة نفسها .

لحى الله يوماً قد أرانى صباحه ... تبـاريحَ وجدٍ للحشا لا تبارحُ
به صاح ناعيه فأشغلت مسمعى ... وقد مضَّ فى قعر الحشا منه صائحُ
وهمَّتْ جفونى بالبكا فلكتُها ... على الدمع أرجو الكذب والصدق لائح
وقلتُ لمن ينعاه إذ جدَّ باسمه ... بنوح تبيَّن باسم من أنت نائح
بفيك الثرى لا تُسم فى النعى جعفراً ... فيوشك أن تجتاحَ نفسى الجوائح(١)
فلما أبى إلا التى تشعبُ الحشا ... وإلا التى تبيضُّ منها المسائح(٢)
جمعتُ فؤادى وانطويتُ على الجوى(٣) ... على حرقٍ ضاقت بهنَّ الجوانح
أعاذلتى(٤) عنّى خذى اللومَ جانباً ... فلا أدمعى ترقى(٥) ولا الوجدُ بارح
فلم ينفسحْ من عينى(٦) الدمعُ وحده ... ولكنَّ كلّى مدمعٌ منه سافح
أصبراً وذا إنسانُ عينيَ أطبقت ... على شخصه أجفانهنَّ الضرائح
قد استلَّه من عينى الدهر بعدما ... تخيلتُ أن الدهر لى عنه صافح
بكفٍ له مدَّت إلىَّ بهيئةٍ ... بدت وهى فيها كفُّ خلٍّ يصافح(٧)
ومرَّت على وجهى فقدَّرتُ أنه ... يلاطفنى فى مَرِّها ويمازح
وما خلتُه يا شلَّها اللهُ أنه ... بها لسواد العين منّى ماسح
فأطبقتُ عينى وهى بيضاءُ من عمىً ... وإنسانها حيث اشتهى الدهرُ طائح
بمن عن ضياء العين يعتاض طرفها ... فيغدو عليه وهو للجفن فاتح
لتجرِ الليالى حيث(٨) شاءت بنحسها ... فما عندها فوق الذى أنا نائح
وماذا ترينى بعدَها فى مُدى الأسى ... يداً لفؤادى سعدُها وهو ذابح(٩)

---

(١) الجوايح : المهلكات .
(٢) المسائح جمع مسيحة : الذؤابة ، وشعر جانبي الرأس .
(٣) في المطبوع : من .
(٤) في المطبوع : أعاذلتا .
(٥) رقأ الدمع : اذا نشف وجف .
(٦) في المطبوع : في جفني .
(٧) وفيه : تصافح .
(٨) في الاصل : كيف شاءت .
(٩) في سعد وذابح تورية . فال سعد الذابح هو أحد سعود الكواكب العشرة وهو من منازل القمر ، ويريد : اذا كانت ليالي السعد تذبحني فما ظنك بليالي النحس .

أقول لركبٍ أجمعوا السيرَ موهناً ... وقد نشطت للكرخ فيهم طلائح
أقيموا فواقَ ناقةٍ (١) من صدورها ... لاودعكم ما استحفظته الجوانح
خذوا مهجتي ثم انضحوها عقيرةً (٢) ... على جدثٍ دمعُ البلى فيه ناضح
وقولوا لأيدٍ أحدرت (٣) فيه جعفراً ... ولم تدرِ ماذا قد طوته الصفائح
لأحدرت من قلب المكارم فلذةً ... قد انتزعتها من حشاها الفوادح
فغير جميلٍ بعده الصبرُ للورى ... ولا عيشهم لولا (محمدُ) صالح (٤)
فتى الحلم لا مستثقلاً لعظيمةٍ ... تخفُّ لها الأحلامُ وهي رواجح
تدرّع من نسج البصيرة قلبه ... اضاة أسىً (٥) لم تدّرعها الجحاجح
وصابرها دهياء فى فقد جعفرٍ ... يكافح منها قلبُـه ما يكافح
ونهنه فيه زفرة عدنٍ فوقها ... حوانيَ من (عبد الكريم) الجوانح
تعرّض فيها حادثُ الدهر منهما ... لصلَّين من نابيهما السمُّ راشح
ونصلين لا تمضى بيوم كريهةٍ ... مضاءهما يومَ الخصام الصفائح
ورمحين سل قلبَ الكواشح عنهما ... بما منهما فى القلب تلقى الكواشح
تجده كليماً وهو أعدلُ شاهدٍ ... على جرحه والجرحُ لا شك فادح (٦)
تسربلتها يا دهرُ شنعاءَ وسمها ... لوجهك ما عمّرت بالخزى فاضح
عمىً لك هل عينٌ تبيتُ وطرفها ... لإنسانها (٧) بالشر أزرقُ لامح؟
أفق أيَّ وقتٍ فيه منك لجعفرٍ ... تفرغُ كفٌّ ليته منك طائح

---

(١) الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ، ثم تحلب .

(٢) العقيرة : ما يعقر على القبر اعظاماً .

(٣) في العقد المفصل : اهبطت .

(٤) في العقد المفصل : جاء البيت هكذا :

فغير جميل بعده الصبر والعزا ... ولا العيش لي لولا محمد صالح

(٥) الاضاءة : الدرع . (٦) وفي المطبوع : قادح .

(٧) في المطبوع : وانسانها .

وقد شغلت فى كلّ لمحة ناظرٍ يديك جميعاً من أبيه المنائح(١)
فتىً يجد السارى على نوره هدىً ولو ضمّه فجٌ من الأرض نازح
كأنّ المحيّا منه والليل جانحٌ « سهيلٌ » لأبصار المهبّين لائح
تجاوز « هادى » بجده كاهل السهى الى حيث ما لحظ الكواكب طائح
وأمسى(٢) حسيناً وجه جدواه للورى على حين وجه الدهر فى الخلق كالح
وأصبح معنى فخره مصطفى العلى وكلٌ لأن يقفو محمدَ صالح
فتى فى صريح المجد يُنمى لمعشرٍ أكفُّهم أنواءُ عرف دوالح(٣)
مضيئون ضوء الأنجم الشهب للورى فأوجههم والشهب كلٌ مصابح
على أول الدهر استهل نداهم فسالت به قبل الغيوث الأباطح
ومدّ (أبو المهدىّ) فيه أناملاً رواضعها صيد الملوك الجحاجح
جرت بالنمير العذب عشر بحارها وكل بحار الأرض عذب ومالح
فما للندى فى آخر الدهر خاتم سواه ولا فى أول الدهر فاتح

وقال فى رثاء عمه الشاعر المعروف السيد مهدى بن السيد داود :

أظُبي الردى أنصلتي وهاك وريدى ذهب الزمان بعُدّتى وعديدى
نشبت سهام النائبات بمقتلى فلحفظ ماذا أتقى عن جيدى
ماذا الذى يا دهرُ توعدنى به أوبعدُ عندكَ موضعٌ لمزيد
طرقتنى الدنيا بأى ملمةٍ ذهبت علىّ بطارفى وتليدى
ماخلت رحب الصبر- حتى فاجأت - عنّى يضيقُ وفيه رحب البيد
الآن أصبح للنوائب جانبى غرضاً وشملُ قوايَ للتبديد

---

(١) في المخطوط : لمائح . (٢) وفي المخطوطة : وأسى .

(٣) في مخطوطة الملا : عرف وفائح . وفي العقد المفصل جاء صدر هذا البيت هكذا :
نمته الى المجد الصريح معاشر .

طلعت عليّ الحادثات ثنيّة | لا يهتدى لرتاجها المسدود
وإليّ قد طلعت(١) ذرىً من شاهقٍ | لا ترتقى هضباته بصعود
فنزعن من كفيّ قائمَ أبيضٍ | أعددته للقا الخطوب السود
قد ملتُ نحو الصبر حين فقدته | فاذا المصابُ بصبرىَ المفقود
أفهل أذودُ الحادثات بكفيّ الـجذاء(٢) أم بحسامىَ المغمود؟
عجباً أمنتُ الدهرَ وهو مخاتلى | ورقدتُ والأيامُ غير رقود
وأنا الفداء لمن نشأتُ بظلّه | والدهرُ يرمقنى بعين حسود
لم أدرِ ما لفحُ الخطوب بحرّها | وهواجرُ الأيام ذات وقود(٣)
ما زالتُ وهو عليّ أحنى من أبي | بألذّ عيشٍ فى حماه رغيد
حتى رمانى فى صبيحة نعيه | أرسى بداهيةٍ عليّ كئود(٤)
ففقدتُه فقدَ النواظر ضوءها | وعججتُ(٥) عجّة مثقل مجهود
ما لى وللأيام قوّض صرفُها | عنّى عمادَ رواقى الممدود
عثرتْ فجاوزت الإقالة عثرةً | وطئت بها أنفى وأنفَ الجود
ومضتْ بنخوة هاشمٍ وإبائها | فطوتهما والصبرَ فى ملحود
حملت بكاهلها الأجبّ(٦) لفقده | ثقلَ المصاب وركنها المهدود
وشككت مذ تحت الضلوع قلوبها | رجفت صبيحةَ يومها المشهود
أبه نعى الناعى لها (عمرو العُلى) | أم (شيبة) الحمد انطوى بصعيد
فكأنما أضلاعُ هاشم لم يكن | أبداً لها عهدٌ بقلب جليد
ما زال يوعدها الزمان بنكبةٍ | صمّاءَ تأخذ من قوى الجلمود
حتى أطلّ بوثبةٍ فتبيّنت | ذاك الوعيدَ بيومها(٧) الموعود

(١) وفي الديوان المطبوع : صعدت .
(٢) في المخطوط : الجذوذ .
(٣) في مخطوطة الملا : غير رقود .
(٤) كئود : صعبة ، شاقة .
(٥) في المطبوع : عجبت .
(٦) الأجب : المقطوع .
(٧) في المطبوع : بيومه .

لم تقضِ شكل عميدها بمحرمٍ ... إلا وأردفها بشكل عميدِ
يبكى عليه الدينُ بالعين التى ... بكت الحسينَ أباه خيرَ شهيد
إن يختلط رزءاهما فكلاهما ... قصما قَرا الإيمان (١) والتوحيد
وأرى القريض وإن ملكتُ زمامه ... وجريتُ فى أمدٍ اليه بعيد
لم ترضَ عنه غيرَ ما قدَّرته (٢) ... فى مدح جدّك طاهراً (٣) فى الجيد
أمنت حشاشتُك الروائعَ لا تخف ... جورَ الزمان علىَّ بالتنكيد

وقال يرثى الحاج مهدى كبه وقد توفى فى طريق فارس ، ويعزى والده الحاج محمد صالح :-

أغائرٌ دمعك أم منجدُ ... قد رحل الصبرُ ولا منجدُ (٤)
يا رابط الأحشاء فى راحةٍ ... قد نضجت بالجمر ما تقصد
لا تلتمسْ قلبك فى جذوةٍ ... ما بقيتْ منكَ عليها يد
أخلت يبقى لك قلبٌ على ... فاغرة الوجد ولا يفقد
وانٍ قلباً بين أنيابها ... طاح شظاياً كيف لا يزرد (٥)
حسبكَ منها زفرةً لو غدتْ ... فى جلمدٍ منها نزا الجلمد
كم هزّ أضلاعَك من فوقها ... حتى تلاقين جوىً مكمد
فساقطت منك الحشا أدمعاً ... حمراً على ذوب الحشا تشهد
لو تعلم الأيامُ ماذا جنت ... إذاً لودّت أنها تنفد
لقد أجلّت رزءَ خطبٍ لها ... فى كل قلبٍ مأتماً يُعقد

---

(١) فى المطبوع : الاسلام . وقرا : بفتح القاف . الظهر .

(٢) وفيه : قلدته .

(٣) وفيه : طائراً .

(٤) منجد : الاولى بلاد نجد ، والثانية المساعد .

(٥) يزرد : يبلع .

إذ كوّرت شمساً ، بنو المصطفى ... فيها ترجّوا افقَهم يسعدُ
اللهَ يا دهرُ أيينــاهمُ ... فى زهو بشرٍ للعدى تـكمد؟
وبينما فى فرط إبهاجهم ... فيها لأثواب الهنا جدّدوا؟
وكلّهم قـد مد عينَ الرجا ... لفرقـد الفخر بها يرصد؟
إذ يردُ الناعى اليهم بأن ... جاء « ابن نعشٍ » ذلك الفرقد (١)
فيغتدي ذاك الهنا حنّـةً ... فرائصُ الدنيـا لها ترعد (٢)
نعشٌ أتى يُحمل فيه النهى ... ميتاً عليـه ينـدب السؤدد
وخلفه العليـاءُ فى صرخةٍ ... تدعو الى أين به يقصد؟
يا حاملى إنسانَ عينى قفوا ... نشدتُكم بالله لا تبعدوا
دعوه لى حسبي لتجهيزه ... عينٌ عليـه طرفُها أرمد
دموعها الغسلُ وأكفانه (٣) ال ... بياضُ ، والجفنُ له ملحد
غدرتَ يا دهرُ ومنك الوفا ... لا الغدرُ بالأمجاد مستبعد
فاذهب ذميماً إنها غـدرةٌ ... وجهك ما عشتَ بها أسود
ما لك بالسوء لأهل الحجى ... وردتَ لا طاب لك المورد
يا ناهداً بالشرّ من جهله ... تعلمُ بالشر لمن تنهـد (٤)
وطارقاً بيتَ ندىً يلتقى ... بيــابه المتهمُ والمنجـد
حسبك من بيتٍ عتيد القِرى ... أن له افق السما يحسد
تخمد شهبُ الافق لـكن به ... مواقدُ النيران لا تخمد
سواه ما للمجد (٥) من مهبطٍ ... وما لذمٍّ نحـوه مصعد
فمقعداه للتـقى والنـدى ... وحاجبـاه العزُّ والسؤدد
ألم تجـده حرما آمناً ... يحجُّه الأبيضُ والأسود؟

(١) في ابن نعش تورية غير خفية .
(٢) في المطبوع : له ترعد .
(٣) في مخطوطة الملا : وأكفانها .
(٤) نهد : اسرع اليه .
(٥) في المطبوع : في الحد .

فكيف تسمى فيه لا محرماً ؟ … كأنما أنتَ به ملحد
ما هو إلا بيتُ فخرٍ له … قبيلةُ المعروف قد شيدوا
بيتٌ أبو الندب الرضا ربه … أكرمُ مَن تحت السما يُقصد
مولىً درت أهلُ العُلى أنه … دون الأنام العلمُ المفرد
وأنه لولا هداه الورى … ضلّت فلا رشدٌ ولا مرشد
وأنه لولا ندى كفه … لم يُرَ لا رفدٌ ولا مرفد
تلقاه طلقَ الوجه من هيبةٍ … يفرق(١) منها الأسد الملبد
محببٌ من حسن أخلاقه … حتى الى مَن مجدُه يحسد
ما سهدت(٢) من خائفٍ مقلةٌ … إلا وبالأمن لها يرقد
من ذا سواه قام يدعو الورى : … دونكم من بحر جودى ردوا
ومدّ كفاً بغريب الندى … آلاؤها(٣) بين الورى تحمد
بخّلت المزن ففى بخلها … حلائبُ(٤) المزن لها تشهد
تبصر فى راحته أبحراً … طافحةً أمواهها(٥) العسجد
أسرّة تُسمى ولكنها … بحارُ جود بالندى تزبد
فهو لعمرى حجةٌ فى الندى … وآيةٌ فى الفضل لا تجحد(٦)
قد قام لله بما بعضه … لكلّ أمجاد الورى معقد(٧)
مكارمٌ ما لكريمٍ سوى … (عبدِ الكريم) الندب فيها يد
ذاك أبو الكاظم غيثُ الندى … تربُ المعالى نجمها الأسعد
أين بنو العلياءِ من مجده ؟ … ومجدُه ما ناله الفرقد
فقل لهم : لا تطلبوا نهجَ مَن … لطُرقه فى المجد لن تهتدوا(٨)

(١) يفرق : يفزع ، يخاف .
(٢) في المطبوع : ما سهرت .
(٣) الآلاء : النعم .
(٤) الحلايب : جمع حلوب : كثيرة المطر .
(٥) في مخطوطة الملا : أمواجها .
(٦) فيها أيضاً : يجحد .
(٧) في المطبوع : مقعد .
(٨) في مخطوطة الملا : يهتدوا .

قفوا جميعاً حيثُ أنتم فما ... لكم الى عليائه مصعدُ
هيهات أن يعلق فى شأوه ... إلا «الرضا» فرع العلى الأمجد
مبـاركُ الطلعة فى يمنها ... جميعُ مَن صبَّحه يسعد
يرى سمات الخير فى ماله[1] ... بأنه خيرُ الورى تشهد
مهـذّبٌ رشحه للعُلى ... زعيمها الأكبرُ والسيّد
لجـاء فرداً فى النهى كاملاً ... يُثنى عليه الفضلُ والحمد
شمسُ عُلىً «هادٍ» لآفاقها ... بدرٌ له بدرُ السما يسجد
وشهبُها الزهر «حسين» الندى ... من طاب منه فى العُلى المولد
وفخر أرباب النهى «المصطفى» ... مَن هو أزكى من نما محتد
وكوكب الرشد «أمينُ» التقى ... و «كاظمُ» الغيظ الفتى الأمجد
و «باقرُ» الفضل وروحُ العلى ... «عيسى» فهل فخرٌ كذا يوجد؟
قومٌ هم شهبُ الفخار التى ... منها بكلٍ ترجم[2] الحسَّد
أنجمُ فضلٍ زهرتْ فاهتدى ... بنورها الأقربُ والأبعد
حتى لقد قال جميع الورى: ... هذا لعمرى الشرف المتلد
يا اسرةَ المعروف لا نابكم ... من بعد هذا الرزء ما يكمد
وهذه النكبة معْ إنها ... فيها ثوابُ الصبر لا ينفد
لا يحمد الصبر على مثلها ... لكنَّه من مثلكم يُحمد
وانٌ من عنكم طواه الردى ... فى جنَّة الخلد له مقعد
قرٌ بها الطرفُ وطرف العلى ... شوقاً الى مرآه لا يرقد
ودمعُ عين المجد مذ أرخوا ... (المهدى فيها غاب لا يجمد)
فعيشه فى ظلّ فردوسها ... تالله أرخ (لهوَ الأرغد)

---

(١) في المطبوع: فيها له.
(٢) ترجم: ترمي، تلعن.

وقال يرثى كريمة الحاج محمد صالح كبه ويعزيه بها ، وقد توفيت فى طريق فارس :-

قد تبلغ الأنفسُ فى ارتيادها حصولَ ما تهواه من مرادها
وقد تديم السعىَ فى تتمةٍ انتقاصها أو طلب ازديادها
ففاتها ما اعتقدت حصوله وجاءها ما ليس فى اعتقادها
وكلما قـدّره اللهُ لها فى قربها يجرى وفى بعادها
هذا ابنُ امِّ المكرمات من غدا يرفل(١) فى الفاخر من أبرادها
جوادُها وهل بمضمار العلى أسبقُ من « محمدٍ جوادها » (٢)؟
أنكرمسَّ الدهر من خشونةٍ لا يرقد الحرُّ على قتادها
فانساب مثل الأيم(٣) عن بلاده ينتجعُ العزَّة فى بلادها
يطلبها بعين يقظانَ رأت سهادَها أعذبَ من رقادها
مقتعداً من الإباء صعبةً (٤) لا يقدر الدهر على اقتعادها
حتى اصطفى من عزةٍ دارَ عُلى ترفع كفُّ المجد من عمادها
فاحتلَّ منها فى رباع شرفٍ عادت نجوم الأُفق من حسادها
قد عقد الندىَّ فيها للنهى واصطنع العرفَ الى قصّادها
واستحلت (الفرسُ) له خلائقاً (٥) أخلاقها المرةُ من أضدادها
فكان فيها كهلال فطرها وكلُّ يومٍ مرَّ من أعيادها
أمّل أن يعودَ وهو رافهٌ بناعم العيش الى بغدادها
فعاد فى نعشٍ حوى « صفيّةً » أعزَّ فى عينيه من سوادها

(١) يرفل : يتبختر ، يتمايل .
(٢) محمد جواد : زوج المتوفاة وهو الذي حمل جثمانها الى النجف .
(٣) الأيم : ذكر الأفعى .
(٤) الصعبة : التي لم يسبق لها أن تركب .
(٥) في المطبوع : الفرس .

خلتْ اهنّيـه على قدومه ... لا أن اعزّيه على افتقادها
وفيه فى النادى لآل المصطفى ... أقول قرّت مقلتا أمجـادها
لا أننى(١) أقول فى مآتمهـا ... صبراً وأين الصبرُ من فؤادها
يا خجلة الأيام من «محمدٍ» ... «صالحها» الزاجر عن فسادها
قد صبغ العارُ لها وجوهها ... فلتستتر بفاضح اسودادها
يا قصرتْ يدُ الليالى ما جنت ... على أبى «المهدىّ» فى امتدادها
أليس دأباً كفُّها مملوءةً ... من كفّه البيضاء فى إرفادها(٢)
مولىً على الأرض تراه رحمة ... عمّت جميعَ الأرض بانفرادها
أحيا ثراها وأمات جدبها ... بجوده ، وكان من أوتادها
مقتصدٌ يسرف فى بذل الندى(٣) ... حيث الورى تسرف باقتصادها
كأنــّ من وقاره حبوتـُــه ... تضمنُ منه الطودَ فى انعقادها
سدّت لأهل الأرض(٤) فيه ثلمة ... ما ظفرتْ لولاه بانسدادها
خافتْ ولما التجأتْ لعزّه ... أقرّها والأرض فى مهادها
يُنمى الى قبيـلة المجـد التى ... طريفها يعربُ عن تلادها
إن عدّدت لمفخرٍ ودّت بأن ... تدخلُ زهر الشهب فى عدادها
تواترت عنها رواياتُ الندى ... من ولدها تنقـل فى آحادها
فى كل ذى نفسٍ تزكّت بالتقى ... لا تعلق الآثامُ فى أبرادها
تديم ذكرَ الله ، بل كاد لها ... يقوم ما عاشت مقامَ زادها
هذا أبو «المهدى» فانظر فى الورى ... هل كأبى «المهدىّ» فى عبادها؟
كأنّ فى جنبيه نفسَ ملك ... تستنفد(٥) الأوقات فى أورادها
أتعبها فى طـاعة الله لكى ... تفوزَ بالراحة فى معادها

(١) المطبوع : لا لاني .
(٢) في المطبوع : ارقادها .
(٣) في المخطوط : اللهى . و : حق .
(٤) في المطبوع : لأهل الدين .
(٥) في مخطوطة الملا : تستنفذ .

حسبُك ما ترويه عن آبائها : أن التقى والبرّ فى زهّادها
بل كيف لا تثبت دعوى شرفٍ « أبو الأمين » كان من أشهادها
ندبٌ حياض الجود منه نعمةٌ تروى بها الوفدَ على احتشادها
يزداد ورياً زندُ مكرماته إن زادت الجدوب فى أصلادها(١)
صلّى الى العلياء خلفَ سابقٍ كان هو النخبة من أمجادها
ذاك أخوه وأبو النجب التى قد أخذ الفخارَ فى أعضادها
منها الرضى للوفد حيث سخطت من بخل أهل الأرض فى ارتيادها
محببُ الأخلاق محسود العُلى دامت له العلياء مع حسّادها
قد خلط البشرى لذى ودادها بهائل السخط لذى أحقادها
مثلَ البحار الفعم يروى عذبُها ويغرق الجائشُ فى إزبادها(٢)
أو كالقطار السجم يُرجى برقُها ويُرهب القاصفُ من إرعادها
له الندى الموردُ عبّاً وندى سواه مثلُ المصّ من ثمادها(٣)
أزهرُ بسّام العشىّ إن دجت أوجهُ أقوام على قصّادها
يلتمع السرورُ فى جبينه عند قِرى الأضياف وازديادها
قد طاول الأنجمَ « هادى » مجده حتى سما الكاهل من أفرادها
وانقدت من فوقها أنوارها حتى شكت اليه من إخمادها
قد خلّف « المهدىُّ » خير من مشى فى هذه الأرض على مهادها
وقام فى دار علاهُ حافظاً له ذمامَ الجود فى وقّادها
وبعضهم كالنار لا يخلفها منها سوى ما كان من رمادها
أبلج لا يشبهه البدرُ لأن تشينه الكلفةُ فى سوادها(٤)

---

(١) الاصلاد : السنوات الشديدة في قحطها .
(٢) الازباد : ما يطفح على وجه البحر اذا اضطربت مياهه .
(٣) الثماد : المياه القليلة ، والحفر التي تتجمع فيها المياه .
(١) في المطبوع : في اسودادها .

من فئة فيها الوقارُ والنهى ... ساعة تستهلُّ فى ميلادها
«كمصطفى» الفخر وناهيك به ... فى شرف النفس وفى إرفادها
جلَّ فلولا صغرُ النفس إذن ... لقيل هذا مصطفى أجدادها
مَن مثله وأين تلقى مثله؟ ... يا رائد المعروف فى أجوادها
هذا الذى قد وجدت عفاتُه ... برد الندى منه على أكبادها
وعن حسينٍ جودُه تحدَّثت ... تحدّثَ الروضة عن عهادها
كالغيث فى دنوه، والبدر فى ... علوّه، والشمس فى اتقادها
بل فى «أمين» الحلم نفسُ «كاظمٍ» ... للغيظ مما ساء من حسّادها
«جعفرُ» «فضلٍ» و«الجواد» جعفرُ ال
فضل وذا حسبُك من تعدادها
قد ولدت امُّ المعالى غيرَها ... لكن هى الصفوةُ من أولادها
تهوى السما أن تغتدى فراشها ... والشهبُ أن تكون من وسادها
حيث أبو «المهدىّ» قد رشّحها ... للفخر والسؤدد من ميلادها
يا فتيةَ أحلامها ما زحزحت(١) ... راجفة الخطوب من أطوادها
اليكموها غرراً وإن تكن ... بدت من الأحزان فى سوادها
وسمتها بمدحكم فأقبلت ... سماتها تسيرُ فى أجيادها
بلطفها من القوافى نزلت ... منزلة الأرواح من أجسادها
جاءتك ثكلى غير مستأجرةٍ ... تستقصر «الخنساء»(٢) فى إنشادها
لورددت نوحاً «لصخرٍ» لأرت ... كيف انفطارُ الصخر فى تردادها
ناحت فأبكت شجناً عينَ العُلى ... بأدمعٍ تذوب من فؤادها
ثم دعت لا طرقت ربعَكمُ ... إلا المسرّات مدى آبادها

(١) في المخطوط : قد زحزحت .
(٢) هي الشاعرة الشهيرة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، وقد عرفت ، بمراثيها لأخيها صخر ، أسلمت مع قومها ، توفيت عام ٥٠ للهجرة وعمرت طويلا .

ولا وعى[١] غيرَ التهانى سمعُكم | أو مدحاً تطرب فى انشادها
ومنكم لا برحت آهـلةً | عرينةُ العزّة فى آسادها

وقال راثياً العلامة الشيخ جعفر[٢] بن الشيخ على كاشف الغطاء ومعزياً به العلامة السيد مهدى القزوينى وقد تلف قسم منها :

ما للعيون حاربت رقادَها ؟ | وسالمت على القـذى سهادها[٣]
وماالذى أوجست[٤] الناس ضحى | فألزمت أكـفّها أكبادها ؟
نعم هوت دعامةُ الفضل التى | لدينـه ربُّ السماء شادها
واليومَ عزّى «جعفراً» «بجعفر»[٥] | ناعٍ نعى الى الورى رشـادها
قد جمع الدهرَ قواه كلها | بليـلة قـد ضاعف اسودادها
حتى على رزء الهـدى بقلبه | أرزاءُ كل آله أعادها
اللهَ يا دهرُ لقـد خلّدتها | سبّة عارٍ لا ترى نفـادها
للمجد كانت مقلةٌ واحـدةٌ | مسحت فى كفّ الردى سوادها

وقال راثيا العلامة الشيخ مهدى[٦] بن الشيخ على كاشف الغطاء ومعزّياً أولاده وأخاه الشيخ جعفراً والعلامة السيد مهدى القزوينى : -

---

(١) في المطبوع : دعى .
(٢) هو الشيخ جعفر بن علي بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء ، من مشاهير أعلام عصره ، كان ذكياً لسناً ، وعالماً حافظاً ، وشاعراً رقيقاً ، توفي عام ١٢٩٠ هـ ترجمت له في كتابي « شعراء الغري » ج ٢ ص ٤٠ — ٤٩ .
(٣) في المطبوع : قتادها .
(٤) في مخطوطة الملا : أوحشت .
(٥) جعفر الثانية : يقصد بها ابن اخته الميرزا جعفر القزويني .
(٦) هو الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء ، من أشهر مشاهير علماء عصره ، ومن الادباء الشعراء البلغاء ، انتهت اليه رياسة التقليد ورجع =

أعلمتِ طارقة الخطوب السودِ … بحمى الوصيّ صرعتِ أيّ عميدِ
ونزعتِ يا نزعتْ يداك بنانَها … من قبّـة الإسلام أيّ عمود
ونعم فهبكِ قرعتِـه بمرّنـةٍ … صمّاء تأخذ من قوى الجلمود
أفطرتِ إلا قلبَ حامية الهدى … وصدعتِ إلا بيضة التوحيد؟
وبللتِ إلا في مدامـــع عينه … ذاك الصعيدَ على أجل فقيد؟
الآن مات العلمُ واندرس التقى … وعفا السماحُ وطاح كفُّ الجود
فُجعتْ بنو الدنيا بزاد مقلّها … وبرىّ حائمـــة الرجا المطرود
وسرى فطبّقها عليـه مآتماً … ناعٍ تضيق به رحابُ البيـد
صلّى الإلهُ عليك[1] من مفقود … جلّ المصاب به عن التحديد
شغلت رزيتُك الملائك فاغتدت … لك في هبوطٍ عن جوى وصعود
وكفاك قدراً أنّ نعيَك في السما … خلطتـه بالتقديس والتحميد
وبرفعها ذاك السريرَ تقـرّبت … زلـــفى الى خـلاقها المعبود
رفعت به الأخوين شخصَك والتقى … وتلتـه بالتسبيح والتمجيـد
وبكاك دينُ الله بالعين التي … بكت (الأئمةَ) علـّة الموجود
عدلت رزيّتُهم[2] رزيتَـك التي … قصمت قوى الايمان والتوحيد
ماذا يواري خطُّ قبركَ من حجىً … يزنُ الجبالَ ومن ندىً مورود
إن تمس مهجورَ الفنـاء فطالما … وقف الرجاءُ ببابكَ المقصود
أو إن تـكن جمدت بنانُك بالردى … فمليك عينُ الجود غير جمود
أو قلّ من أيام عمرك عدّها … فـكثيرُ برّك ليس بالمعدود
تبكيك عينٌ كم مسحت دموعَها … ببرود فضلٍ لا بفضل برود

═ اليه أطراف العراق وايران وأذربيجان ، وانتشر كلاؤه في البلدان . ولد في النجف وتوفي بها عام ١٢٨٩ هـ ترجمت له في كتابي « شعراء الغري » ج ١٢ ص ١٠٨ — ١١١ .

(١) في المخطوطة : عليه .

(٢) في المطبوع : رزيتها .

لم تبقَ بعدَك للطالب نجعةٌ … طُوىَ الرجاءُ على حشا مكمودِ
هدم الردى بك ركنَ ملة « أحمدٍ » … ولطالما بك كان للتشييد
غسلت سوادَ عيونها بدموعها … فصبغن أردية الكرام الصيد
صبغت بها تلك الثيابَ فسوّدت … وجهَ الزمان بذلك التسويد
ورأت بقيـة نحرها قد ادرجت … فى برد شخصٍ بالفخار وحيد
كم ردَّ غربَ الخصم وهو مركّبٌ … منها بثغرة نحرها والجيـــد
ووقى بمهجته الكريمة قلبَها … من أسهم الأعداء كلَّ مبيد
فكأنها(١) فى صبرها دون المدى … مع فرط رقتها مجنٌّ حديد
بأبى الذى عقدوا عليه رداءه … والخـــيرُ تحت ردائه المعقود
لبس الحياةَ فصان طاهرَ بردها … بصلاحه وعفافـــه المشهود
حتى استجدَّ سواه ثوباً للبلى … ومضى على كرمٍ نقيِّ العود
يا ثاوياً خلف الصعيد كفى جوىً … أنى دعوتكَ من وراء صعيد
لثراك استسقى ثلاثَ سحائبٍ … متكافئاتٍ كلها فى الجود
فسحابة وطفـاء منك تعلّمت … للأرض سقىَ تهـائم ونجود(٢)
وسحابة من جود كفّكَ أنبتت … شكرَ العفاة بدرّها المحمود
وسحابة من عبرتى ما أن ونت … إلا وقالَ لها افتقادكَ جودى
هى بالزفير اليك ذاتُ بوارق … ومن الحنين عليك ذاتُ رعود
فاذهب حميـداً فى الجنان مخلداً … فالعيشُ بعدك ليس لى بحميد
ولقد دعوت الدينَ بعدك دعوةً … يستكُّ منها سمعُ كلِّ حقود
لا تخشَ ضعفاً فى الزمان وإن غدا … يرسو(٣) بداهيةٍ عليك كؤود
فبه لك « المهدىُّ » أمنعُ قوّةٍ … تأوى لركنٍ من علاه شديد

(١) في مخطوطة الملا : فكأنما .
(٢) التهائم والنجود : المنخفضات والمرتفات عن الارض .
(٣) في المطبوع : يرمي .

نسجت حميتُه عليك صنيعةً — لم تقضِ نثرتها(١) يدا داود
فاذا دجا ليلُ الخطوب فلقته — من ضوء صبح جبينه بعمود
علمُ الهدى السامى الذى هو فى كلا — حسبيه سادَ على الكرام الصيد
ومفيدِ فضلٍ(٢) لو أتى العصر الذى — فيه المفيدُ لقال أنتَ مفيدى
هو آيةُ الله التى قد أبطلتْ — فى العالمين عنادَ كلِّ جحود
وأبو المصابيح التى شهبُ السما — رمقت مطالعَها بطرف حسود
لو فاخرت نهرَ المجرَّة فى السما — غلبت بجعفر جودها المورود
ذاك الذى فى الجود(٣) أرسل صالحاً — لكن لأهل الفضل لا لثمود
و « محمدٌ » منه الحسينُ فهاذرُ — إن قلتُ أرسل خاتماً(٤) فى الجود
أقمار تمٍّ فى بروجِ سما العُلى — شرفاً يضيءُ على الليالى السود
وأسودُ غيلٍ فى المهابة لو حموا — مأوى الظباء لكان غيل اسود
وترى المكارمَ من مناقب فضلهم — تختالُ بين قلائدٍ وعقود
من كلِّ محتلب البنان رقيقها — فى كلِّ جامدة الضروع صلود(٥)
ويقول للكفِّ الكريمة كلما : — بدأت بعارفةٍ بدار(٦) أعيدى
يا عترةَ الوحى الذين توطّدت — بهم دعائم ملَّة التوحيد
دمتم لنا والعزُّ فوق رواقكم — والفخر تحت رواقه(٧) الممدود

(١) الصنيعة : لامة الحرب ، النثرة : الدرع الحديدي الذي يلبس تحت الاثياب في الحرب .

(٢) في المطبوع : مفيد عصره ، ويريد به أشهر مشاهير علماء عصره الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي العكبري المعروف بابن المعلم المتوفى ٤١٣ هـ له أكثر من مائتي كتاب وهو استاذ الشريفين المرتضى والرضي .

(٣) في المطبوع : بالجود .

(٤) في نسخة : حاتماً .

(٥) يكني عن السنة ذات الجوع والقحط .

(٦) بدار : اسم فعل بمعنى بادر أي أسرع .

(٧) في المطبوع : طرافه ، والطراف البيت الكبير .

وبحسبكم علمُ الشريعة « جعفرُ » الـ إحسان عن علم الهدى المفقودِ
والغرُّ من آل المكارم من سَموا شرفاً بفضلٍ طارفٍ وتليد
قد رُدَّ عقدُ الفخر فى جيد العُلى « بأبي محمد » [1] وهو عقدُ الجيد
وأعاد يا دارالهدى لك « جدّه » [2] فكأنه لم يُطوَ فى ملحود
أحيا مآثرَه الحسانَ وزادها لو كان فيها موضعٌ لمزيد
لو لم تبت امُّ السماح طروقةً لندى يديه لم تكن بولود
يا من وجوهُهُم مصابحُ للهدى وأكفُّهم فى الجود سحبُ الجود
ماذا أقول معزّياً بنشائدى ؟ قطعت مهابتُكم لسان نشيدى

وقال يرثى العلامة السيد جعفر القزوينى [3] ويعزّى ابن عمه السيد مهدى القزوينى :-

كذا يلج الموتُ غابَ الأُسود وتُدفن رضوى [4] ببطن اللحود
كذا يُستباح حريمُ العُلى وتهوى بدورِ الهدى فى الصعيد
بنفسىَ من لم يرثه ذووه غير علاءٍ ومجدٍ مشيد
وكُبَّت جفانُ القِرى بعده ونيرانها رُميت بالخمود
أحلفَ الندى وشقيق السماح ليومك هولٌ كيوم الورود
سُقيت الحيا لست أنت الفقيد ولكنَّ صبرىَ عينُ الفقيد
فلا قلتُ بعدك للعيش طب ولا قلتُ بعدك للسحب جودى
لقد دلَّ مجدُك هذا الطريفَ على مجد قومك ذاك التليد

---

(١) أبو محمد : هو الشيخ جعفر .

(٢) يريد به جده الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء .

(٣) هوالسيد جعفر بن باقر بن أحمد بن محمد الحسيني القزويني من مشاهير شعراء وادباء عصره . توفي عام ١٢٦٥ هـ . ترجمت له في كتابي « شعراء الغري » ج ٢ ص ٢٧ - ٣٥ .

(٤) رضوى : اسم جبل .

بنى هاشمٍ هم عقودٌ وأنـ ... ـتَ واسطةٌ بين تلك العقود
ولو كان يُدفع ريبُ المنون ... عن المرء فى عُـدّةٍ أو عديد
لقامت تقيك الردى فتيـةٌ ... تُـذمُّ اذا شُبّهت بالاُسود
صِبـاحُ الوجوه وأسيافهم ... من الموت تُطبع لا من حديد
وتغـدو المنـــايا بأرماحهم ... شوارعَ ما بين حمرٍ وسود
ولكـنّه الموتُ لا مانعٌ ... لمن رام من سادةٍ أو عبيد
عزاءً أبا «صالحٍ» لا فُجعتَ ... من بعد هذا المصاب الكئود
لحلمك أرسى من الراسيات ... وليس شبيهٌ له فى الوجود (١)
وجاراك فى الفخر أهلُ السباق ... ولـكن سبقت لشأوٍ (٢) بعيد
فأصبح شأنُهم فى انحـدارٍ ... وشأنك عنهم غدا فى صعود
وما مرَّ يومٌ جديدٌ عليك ... إلا ظهرت بفضلٍ جـديد
لئن ساءك الدهرُ فى «جعفرٍ» ... فانّ الإساءةَ شأنُ العبيد

وقال يرثى بعض الناس :ـ

اُدْرجَ والمعروفُ فى بردهِ ... وحلّ والإحسان فى لحدهِ
فالبس ظلامَ الحزن يا دهرَهُ ... لبدرِكَ الآفل من سعده
كان به روضُ المنا زاهياً ... لأنه اليانعُ من ورده
شقّ الثرى ريحـانةً للعُلى ... وعاد كالسيف الى غمـده
وكلُّ حىٍّ عيشه منهلٌ ... ما أقرب الإصدارَ من ورده

---

(١) هذا البيت سقط من الديوان المطبوع.

(٢) في المطبوع : لمأوى .

وقال راثياً الحاج محمد جواد كبه ، وقد صادف موته بمجيء الحاج مصطفى كبه من الحج :-

أأهنيك قائلاً لك بشرى ... أم أعزّيك قائلاً لك صبرا؟
فرحة اردفت بترحة ثكلٍ ... ساء فيها الزمانُ ساعةَ سرّا
شفعت فيه أوبةٌ بذهابٍ ... فمنحنا سجلين نفعاً وضرّا
ملأا بالسرور للمجد شطراً ... من حشاه وبالكآبة شطرا
زمنٌ آب بالسعود حميداً ... بعدما أقلق الركائب عصرا
قلت ألقى العصا وما كنتُ أدرى ... أنّ فيها له مآربَ اخرى
بينما تكتسى وجوهُ الليالى ... رونقاً للسرور إذ عدن غبرا
خيرُ يومٍ بدا بحلّةِ زهوٍ ... ما له تحتها (تأبّط شرّا)
يا خليليَّ والحديثُ شجونٌ ... فأجيلا معى الى الحزم فكرا
خبرانى عن الصواب برشدٍ ... إن تكونا أحطتما فيه خبرا
كان لى فى الامور قلبٌ ولكن ... بمقاديم دهشتى طار ذعرا
قد وفدنا لكى نهنّى المعالى ... فوجدنا العيونَ منهنَّ عبرى
فبماذا أواجهُ الفخرَ أم فى ... أىّ شيءٍ اخاطب المجدَ جهرا؟
أبنعيٍ فأنثر الشجوَ دمعاً؟ ... أم أُحيّ فانظم السعدَ شعرا؟
فالليالى أقررن للجود عيناً ... وعلى النعىّ منه أقذين اخرى
ومن المكرمات أبكين جفناً ... بعدما للسعود أضحكن ثغرا
طبت يا أرضُ بين حيّ وميتٍ ... بالشذا عطراك بطناً وظهرا
فعزاءً « لمصطفى » المجد عن مَن ... خلت « بالمصطفى » اهنّيه بشرى
رحلت بالجواد أيامُ دهرٍ ... أين مرّت من بعده قيل عقرا
كان بالأمس أنظرَ الناس ربعاً ... وهو اليوم أطيبُ الناس قبرا
يا بنى « المصطفى » وبيتُ نداكم ... قد بنى طائرُ الرجا فيه وكرا

شدتموه على التقى يهدمُ الدهرَ ويبقى بنــاؤه مشمخرّا
لست أدرى أأودعَ المجدُ منكم بشراً فيه أم ملائك غرّا؟
خالد « المصطفى » به لكم الفخرَ وزدتم « بالمصطفى » اليومَ فخرا
أرجُ المجد لو تجسّم نشراً من شذاه لعطُر الأرضَ نشرا
ولودّت أترابُها الغيدُ أن قد جعلته على الترائب عطرا
بسط الكفَّ بالسماح فقلنا : أرسلت نوءَها الثريّا فدرّا
ملكٌ فى يديه عشرُ بنانٍ نشأت للورى سحائبَ عشرا
زاد فى قدره التواضعُ حتى عاد عنه الزمانُ يصعر قدرا
فهو قلبُ العُلى وأىُّ مكانٍ حلَّ فيه تواضعاً كان صدرا
بل هو العقدُ زانها وكذا العقـدُ يزين الفتاةَ جيداً ونحرا
لو تحكُّ النجومُ فى عاتقيها أخمصيه لقيل حسبُك فخرا
أطبقت ظلمةُ الخطوب ولكن بأخيه من ليلها شقَّ فجرا
فأرانا شمساً بوجه أبى « الهادى » وشمنا به - ولا ليلَ - بدرا
ذاك مَن أزهرت مزايا عُلاه فبدت والكواكبُ الزهرزهرا
جاء محضَ النجار أملسَ عرضٍ فيه طابت حواضنُ المجد حجرا
عبقَ الجيب طاهرَ الردن والاذ يال عفَّ الأزار سرّاً وجهرا
قد حلت لى أخلاقه فى زمانٍ قلتُ لمّا طعمته ما أمرّا
علمتنى هى النظام الى أن (قيل لى أنتَ أشعرُ الناس طرا)(١)
وأداروا لى المــدامة منها ثم قالوا تحبُّها قلتُ بهرا
ماجدٌ تطرب المسامعُ منه من رقيق الثناء ما كان حرا
واذا مرَّ فى العطا ودَّ فيه مجلسُ الجود لم يزل مستمرا
لا كمن إن تكلّف الرفدَ يوما أكلت كفَّه الندامةُ دهرا

(١) صدر بيت ينسب الى أبي نواس .

ففداءً لشبره باع قوم ... لم تقس فى ذراعها منه فترا
مدّ لكن يداً صناع العطايا ... طرّزت بردتيه حمداً وشكرا
لا تفاخر به المجرّة إلا ... إن ترد تكسب المجرة فخرا
فهو بحرٌ ويقذف الدرّ جوداً ... وهى نهرٌ وليس يقذف دُرّا
وهو والمصطفى بنادى العُلى شفـ ... ـعٌ وكلٌّ يقوم فى القوم وترا
حفظا حوزَةَ السماح وكلٌّ ... دونها للعذول كم سدّ ثغرا
فدمُ المكرمات لو لم يحييا ... لنعته يتناثمُ الشعر هدرا
قد غرسنا فأثمر النظمُ حمداً ... وسقيتم فأينع الجودُ وفرا
اسواه يا عاصراً حلبَ الفكر ... بكفّ الخسار تعصر خمرا
أيها الطيبون معقدَ أزرٍ ... لكم اللهُ شدّ بالنصر أزرا
ذكركم بالجميل سار ولكن ... كمسير الرياح براً وبحرا
قرّت الأرضُ بالجبال وكانت ... هى والراسياتُ فيكم أقرّا
هاكموها بكرَ القريض وعنها ... سائلاها هل مثلها افتضّ بكرا؟
بسوى السحر لم تعب اى وعيب البابليات إنه كان سحرا
مزجت راحةَ السرور بضرٍ ... فأذاقت طعمين حلواً ومرا
همت فى عفرها وما كلٌ من ها ... م بوادى القريض يصطاد عفرا
زان تحبيرُها الطروسَ ففتّش ... ما عداها تجده طرساً وحبرا

وقال راثياً محمد كاظم بن الحاج عبد الكريم كبه ومعزياً أباه وعمه الحاج محمد صالح :-

لا أرى للزمان يا صاح عذرا ... أفيدرى لمن تأبّط شرّا
ولمن بغتةً ألمّ بخطبٍ ... ساء فيه الأنامُ عبداً وحرّا
ردّ فيه حزناً نواصى الليالى ... ووجوهُ الأنام شعثاً وغبرا

وحشا المكرمات حرّى وعينُ الـ ... مجد عبرى ومهجة الفضل حرّى
جذّ من دوحة المكارم غصناً ... فذوى بغتةً وقد كان نضرا
قد نعته العلياءُ وهو بقبرٍ ... مذ حواه لصبرها صار قبرا
يا هلالاً رجوتُ يكمل بدراً ... محقته يدُ الردى فاستسرّا
مَن عذيرى من لائمٍ فيك لا أقـ ... ـبل عذلاً وليس يقبل عذرا؟
لام حتى بلومه ضقتُ ذرعاً ... مثل ما ضقتُ فى مصابكَ صدرا
قلت دعنى ومقلةً لى عبرى ... بيكاها ومهجة لى حرّى
لا تسمنى قرارَ عينى فهذا ... ضوؤها فى ثرى اللحود استقرّا
هو منّى شطرُ الحشا أوَ أسلو ... بعدما من حشاى فارقتُ شطرا؟
عجباً صرتُ فيه أسمح للترب ... ومنه عليه أطرح وقرا
بعد ظنّى على العيون جميعاً ... أن ترى ذلك المحيّا الأغرّا
كان لى فى حياته العيشُ حلواً ... وهو اليوم بعده قد أمرّا
وبحسبي ما عشتُ داءٌ لنفسى ... أنا أبقى ويسكن اللحدُ قسرا
كيف ما متُّ إننى لجليدٌ ... وبه أنشبت يدُ الموت ظفرا
استجدُّ الثيابَ حياً لجسمى ... وهو يبلى فى الترب ميتاً معرّى
لم أخلنى كذا أكون صبوراً ... وفؤادى بسهمه قد تفرّى
رمتُ رفعَ الآلام عنه بجهدى ... شفقاً لا لأبلغ الناسَ عذرا
وبذلت الطريفَ من جلّ مالى ... مع بذل التليد منه ليبرا
وبودّى لو كان يبقى واملقتُ ... إذاً كان ذا لعينى أقرّا
سوءةً للزمان ما لى أراه ... ساء مَن أحسنوا لأبناه طرّا
هم بنو المصطفى ومَن فى البرايا ... كبنى المصطفى سماحاً وبرّا
فئةُ المجد معشرُ الشرف المحض ... قبيل العليا وناهيك فخرا
قد أرقّ الحرصُ الأنامَ ولكن ... لم يكن غيرُهم على الأرض حرّا

قد كساهم «محمدٌ» صالحَ الأفعال ... بُرداً من فخره طاب نشرا
ورعٌ من رآه قال لعمرى ... إن لله فى معانيكَ سرّا
ملكىٌّ الصفات لكن تراهُ ... بشرىٌّ الأعضاء قد جلّ قدرا
لك نفسٌ قدسيّةٌ قد تمحضْ ... ـت بها للإلـــه سرّاً وجهرا
هى تلك النفسُ التى بين جنبى ... ذى المعالى أخيك ليست بأُخرى
شرعاً قــد سموتما للمعالى ... واليها ركبتما النجمَ ظهرا
ثمّ فيه ما كان ساء وسرّا ... فهو ملء الزمان نفعاً وضرّا
ذو يسارٍ يزرى بيمنى سواه ... ويمينٍ كانت لراجيه يسرا
هى أجرى من البحار نوالاً ... ومن الغاديات أغزرُ درّا
تخصب الأرض فى نداه اذا الجد ... بُ أديمُ الصعيد فيه اقشعرّا
وعلى الأرض إن مشت ودّت الشهبُ عليها أذيالَ علياه جرّا
كيف لا تحسد النجومُ ثراه ... وبه قـد سما على الشهب فخرا
قد جرى سابقاً وصلّى أمينُ الـ ... ـفضل يتلوه لاحقاً واستمرّا
ثم حلاّ معاً بأرفع مجـــدٍ ... طلعا فى سمـاه شمساً وبدرا
فغدا كلُّ نــيّرٍ بهما هادٍ ... لمن رام للمكارم مسرى
يا بنى المصطفى رسختم حلوماً ... فغدوتم على النوائب صبرا
ذا الجزا أنتمُ حريّون فيـه ... لكن الصبرُ أنتم فيه أحرى
ومصاب الماضى يهون اذا ما ... كنتَ أنت الباقى وإن عزّ قدرا

وقال راثياً بعض الأكابر فى ضمن كتاب : ـ

الآن هوّن كلَّ نائبـةٍ ... جللٌ أمـال دعائمَ الفخرِ
وطوى خضمّ العلم فى كثب الـ ... ـغبراء أخرس ألسنَ الشعر
خطبٌ تجاوب بالنيـاح له ... من كان فى برٍ وفى بحر

قد عمّ أهلَ الأرض كلُّهم ... فهمُ سواءٌ فيه فى الأجر
يا بحرَ جودٍ قد طغى لججاً ... أفضى الحِمامُ به الى القبر
أيضم منك القبرُ طودَ نهىً ... بعلاه سامت ذروةَ النسر
فاذهب فما الدنيا بصالحةٍ ... لمقام مثلك من ذوى الفخر
طبقتَ مشرقها ومغربها ... بفضائلٍ جلَّت عن الحصر

وقال راثياً العلامة الشيخ محمد (١) بن الشيخ على ومعزياً العلامة السيد مهدى القزوينى :-

طرقتْ فالأنامُ منها سكارى ... تملأ الكونَ دهشةً وانذعارا
بكرُ خطب لا ينشد الصبرُ فيها ... قد أتانا بها الزمانُ ابتكارا
فى حديث الأحقاب لم يأتِ فيها ... وقديماً لمثلها ما أشارا
بردت سائرُ القلوب ردىً منها ... وعادت من الغليل سكارى
ولها كانت المدامع لولا ... حرُّ أنفاسنا تكون بحارا
وقليلٌ بها وإن ليس يجدى ... ترسل العينُ دمعَها مدرارا
نكبةٌ تملأ الوجودَ مصاباً ... يملأ الأرضَ والسما استعبارا
يا نفوسَ اللاجين طيرى شعاعاً ... أدرك الدهرُ عندك الأوتارا
وابردى يا حشاشة الشرك أمناً ... مات من كان بين جنبيك نارا
فبمن يقتدى الهدى مستجيراً ؟ ... فقدتْ كعبةُ الهدى المستجارا
وله أصبحَ الحطيمُ حطيماً ... يتوارى فى الترب حين توارى

---

(١) هو الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء ، من مشاهير علماء عصره ، وكان مهيباً مطاعاً وقوراً شاعراً له مكانة عند ذوي الحكم ، سمحاً جواداً زاهداً ، رجع اليه الناس في التقليد ، وكان يرعى الادباء والشعراء ويصلهم ، توفي في النجف عام ١٢٦٨ هـ ترجمت له في كتابي « مستدرك شعراء الغري » ج ٣ ص ٤٥ المخطوط .

ودجا(١) الافق فى دجى غيهب الحز ... نِ وهبّت ريحُ الصبا إعصارا
سوّمى يا خطوبُ خيلك فينا ... تغنمى أين ما قصدت المغارا
وارتعى فى حمى الورى فالمنايا ... أنشبت فى هزبرها الأظفارا
مَن حماها عن أن تُراعَ وقسراً ... ردَّ أيدى الأيام عنها قصارا
هممٌ حيث لا يُرى البدرُ سيراً ... مصعداتٌ لا تعرف الانحدارا
كيف تخلو له من الحزن دارٌ ... والندى منه لم يفت ديّارا
ملكَ الناسَ بالسماح عبيداً ... فغدوا بعد فقده أحرارا
يا بغاة الإسلام لا تتناجوا ... بانتقاص الدين الحنيف سرارا؟!
لا تخالوا «محمداً» لم يخلّف ... للورى ناهياً ولا أمّارا
فالإمامُ المهدىُّ قد قام فيهم ... علماً يرشد الورى ومنارا
ما بنى اللهُ من سماء علومٍ ... وهو بدرٌ فى افقها قد أنارا
لازم الحقَّ فى هداه فأضحى ... معه الحقُّ حيثما دار دارا
منه ملء الأبراد عدلٌ وتوحيـ ... ـدٌ وفخرٌ من هاشمٍ لا يجارى
والحُبا فى الندىّ تضمن منه ... ركنَ رضوى حلما وأرسى وقارا
فترى الناس هيبةً منه خرساً ... يتناجون فى الحديث سرارا
يا أجلَّ الورى علاءً وقدراً ... وأعزَّ الأنام نفساً وجارا
عقد العىُّ منطقى أن اعزّيك ... ومنك العزا غدا مستعارا
وقبيحٌ منّى اذا قلتُ صبراً ... للذى علّم الورى الاصطبارا

وقال يرثى العلامة السيد محمد تقى الطباطبائى ويعزّى العلامة السيد مهدى القزوينى :-

ماذا تريدين بالدنيا يدَ القدرِ ... لقد ذهبت بسمع الدهر والبصرِ

---

(١) دجا : أظلم .

سوّدتِ مشرقها القاصى ومغربها بكاسف الأبيضين الشمس والقمر
وغودر الافقُ معتلاً وأنجمه من غائرٍ ضوؤه منها ومنكدر(١)
وأصبح النجف الأعلى يغصُّ شجىً لله ما صنعتْ فيه يدُ الغِيَر
طويتِ خيرَ معدٍ كلها نسباً وأكرمَ الناس من بادٍ ومحتضر
طأطأتِ منهاشمٍ للأرض هام علىً ما طأطأتها ظبا الهندية البتر
أرغمتِ منها انوفاً كلها شممٌ ما أرغمت بين أطراف القنا السمر
أريتها يومها من قبلُ حين سرت بمشبع الطير فى أعوامها الغبر
فاسأل بها اليوم هل وارت « محمدَها » أم شيبة الحمد فى ذاك الثرى العطر
خطبٌ لوت عنقَ الإسلام منه يدٌ يا شلّها اللهُ قد ألوت على مضر
مضى بأجمعها قلباً وأقطعها غرباً وأمنعها للخائف الحذر
فالآن لم يبقَ كهفٌ للمروع ولا مأوىً يحطُّ اليه راكبُ الخطر
قد طوّحت جبلَ المجد المنيف عُلىً على الورى نكباتُ الحادث النكر
يا من عن المجد أضحى مزمعاً سفراً ما كان أبرحه للمجد من سفر
امهل فواقا فزوّد أنفساً بقيت موقوفةً فيك بين البثّ والفكَر
قل للنوائب ما من غايةٍ بقيت وراءَ هذا فأنّى شئتِ فابتدرى
تالله زلزلت الدنيا بقارعةٍ من القيامة نادت بالسما انفطرى
هوّن عليك وإنْ داعى المنون دعا يا أنجمَ الفضل من آفاقك انتثرى
لا تحسب الملّة الغرّاء قد بقيت بعد الذين مضوا عنها بلا وزر
هيهات قد حفظ البارى محجّتها البيضاءَ بالخلف « المهدىّ » من مضر
بقائمٍ بهدانا غير منتظرٍ ينوب عن قائم بالأمر منتظر
له نفائسُ علمٍ كلّها دررٌ والبحرُ يبرز منه أنفس الدرر
لو أصبحت علماءُ الأرض واردةً منه لما رغبت عنه الى الصدر

(١) في المخطوطة : ومن كدر .

مقدمٌ بين أهل الفضل قد عُرفتْ ... له الرياسةُ فى الماضى من العصر
يفوق فى المدح عينَ القوم اثرهم ... ومدحه شرعٌ فى العين والأثر
أغرُّ يبسط كفاً لا تقوم لها ... بشكر ما صنعته ألسنُ البشر
هذى سما الدين فانظر كيف زينتُها ... بأنجم العلم من أبنائها الزهر
فروعُ دوحة مجدٍ أثمرتْ كرماً ... للمعتفين وكم فرع بلا ثمر
أبناؤهم زهرٌ آثارهم زبرٌ ... آلاؤهم مطرٌ يغنى عن المطر
كأنما خلقَ اللهُ الورى صوراً ... جميعَها وهم الأرواحُ للصور
يا من غفرنا ذنوبَ الحادثات به ... وكلها ليس لولاه بمغتفر
بك الهدى قد تعزّى فى رزيّته ... عن ذاهبٍ لم يدع صبراً لمصطبر
فاسلم وحسبُك عنه سلوةً بعلى ... القدر سيّد أهل العلم والخطر
و « بالحسين » أخى العلياء تلوهما ... فى الفضل واحد أهل الرأى والنظر
وبالنقىّ « علىّ » فرع دوحته ... وكلُّهم طاب منه معقدُ الأزر
قومٌ اذا ذكروا بحرَ العلوم سموا ... الى العُلى حيث لا مرقى لمفتخر
ولا تزال غوادى السحب واكفةً ... تعتاده بين منهلٍّ ومنهمر
حتى يعودَ ثراه روضةً انقاً ... تستوقف الطرفَ فى وشيٍ من الزهر

وقال راثياً الحاج سليمان چلبى ومحمد بن ابراهيم بابان بالتماس أولادهما : ـ

أطار بكَ الناعى فؤادَ العُلى ذُعرا ... غداةَ نعى فى نعيك المجدَ والفخرا
دعا بك فابيضّت لنعيكَ عينُها ... من الحزن وارفضّت مدامعُها حمرا
بكتكَ بجارت جود كفيك إذ جرت ... بدمعٍ تعدّى القطرَ إذ ساجل القطرا
ألا إنَّ روضَ المكرمات برغمها ... ذوى بعدما قد كان غضٌّ الحيا نضرا
وتلك قناةُ العزّ طارت بكفه ... شظايا الى أن كلها نفدت كسرا
فيا موحشاً نادى النهى برحيله ... ويا تاركاً عين الندى أسفاً عبرى
ليومك جرحٌ فى حشا المجد لم يجد ... معالجُه طولَ الزمان له سبرا

أصاب الردى لمّا أصابك مقتلاً من الحسب السامى به قتل الصبرا
وغادر افقَ المجدِ أغبر قاتما بحثو الثرى لمّا توسّد فى الغبرا
لمن بعدك الفيحاءُ تذخر دمعَها وقد كنت عند النائبات لها ذخرا ؟
حرامٌ بأن يُهدى بها عاطرُ الثنا فبعد عروس سائرُ الدهر لا عطرا
بلى فلتكن فى النوح «خنساء» عصرها وإن جلّ عن صخرٍ «سليمانها» قدرا
قفا ناشداها أين بان عميدُها وهل بعده حامٍ تسدُّ به ثغرا ؟
غدت بين ذؤبان الخطوب فريسةً بها كيف شاءت تنشب الناب والظفرا ؟
مضى ابنُ جلاها لا ومثواه لا ترى من القوم من يجلو دجى همها الدهرا
أمرٌ(١) لديها العيشُ بعد إفتقاده وكان حلا فيه لأبنائها عصرا ؟
فعذراً إذاً إن تشتك اليتمَ بعده فقد فقدت منه أباً لم يزل برّا
برغم أخيه الجود ودّع شخصَه وعاد الى لقياه ينتظر الحشرا
فنى القلب منه كلما مرّ خاطرٌ تذكّر محزوناً وأنى له الذكرى
فتىً شدَّ أزرَ المجد فيه أطايبٌ على عفةٍ منذ ارتدوا شدّوا الأزرا
كرامٌ على اولى الزمان رحابُهم لمنتجعى معروفهم لم تزل خُضرا
لهم شرفُ البيت القديم ووفدُهم يحيّون فيه منهم البدرَ فالبدرا
ثلمن المنايا عزّهم «بمحمدٍ» فشلّت يدٌ فيها تناولنه قسرا
فتىً كان سيفاً فاصلاً فى يد العُلى يقدُّ ولو لاقى ضريبته الدهرا
وكان لها فى نحرها عقد سؤددٍ فلو شعرت يوماً به باهت الشعرى
ترى هل درى ناعيه أن نعيَّه من الشرف الوضّاح قد قصم الظهرا ؟
وحرٌّ به قلب النهى فكأنما سرى بين أضلاع النهى نعيُه جمرا
فيا حامليه هل علمتم بأنكم حملتم على أعواده النهىَ والأمرا ؟
ويا دافنيه فى الثرى هل علمتمُ بأنكمُ واريتمُ فى الثرى بحرا ؟

(١) صار مراً .

لقد كان إن جن الدجى ليلَ حادثٍ ... يشقُّ لها من نور طلعته فجرا
أغرُّ اذا ما قطَّب العامُ مجدباً ... تبسَّم فيه للندى وجلا ثغرا
وإن قبضت يمنى الكرام بنانَها ... مخافة إعسارٍ به بسط اليسرى
ضحوك المحيا بُوركت منه طلعةٌ ... تشعُّ لو استقطرتها قطرت بشرى
اذا ما نشرنا فى المجالس ذكرَه ... تأرَّج فى الدنيا فطبَّقها نشرا
لئن غاب فهو البدر موفٍ فقد مضى ... وأعقب فى افق العُلى أنجماً زهرا
وما مخدرٌ أخلى الردى منه غابه ... اذا منعت أشباله بعده الخدرا
غطارفةٌ غرُّ المساعى تقيَّلوا ... أباً فأباً كانوا غطارفةً غرّا
اذا فوخروا يوماً أتوا بأبيهم ... وعدُّوا مزاياهم فقيل كفى فخرا
بحارٌ ولكنْ فى يدى كل واحدٍ ... نشأن لمرتاد النهى أبحرٌ عشرا
لقد عذبوا بين الأنام خلائقاً ... ترشَّفها حتى انتشى كلُّهم سكرا
مناجيبُ قد أفنى التراثَ على الندى ... أبوهم وأبقى فى العُلى لهم الذكرى
مضى مَن نضت امُّ الفخار حدادَها ... عليه ولم تمسح مفارقها الغبرا
وقد اودعت شطراً بلحد (محمدٍ) ... ولحد «سليمانٍ» به اودعت شطرا
فلا يشمت الحسّادُ فى موت ماجدٍ ... قضى حين وافته الملائكُ بالبشرى
فهذا عليُّ القدر قام من العُلى ... مقامَ «سليمانٍ» فزيدت به فخرا
خضمُّ ندىً ما البحرُ يطفح موجه ... بأغزر لجاً من بنانته الصغرى
وهضبة حلمٍ لو وزنت به الورى ... وجدتهم فى جنبه كلهم ذرّا
وراءكم يا حاسديه مكانه ... بأندية العليا فإنَّ له الصدرا
وكم موكبٍ للفخر ضمَّكمُ معاً ... فكنتم بغاثاً وهو كان به صقرا
أخو اخوةٍ فى المكرمات جميعهم ... أتوا شرعاً فاستغرقوا الحمد والشكرا
عليُّهم فى المجد محسنُهم بدا ... ومحسنهم منسيُّهم نائلاً غمرا
بنى الحلم أنتم أرسخُ الناس هضبةً ... وأرحبهم فى كل نازلةٍ صدرا

نقول لكم صبراً ونعلم أنكم … أجلْ ولكنْ عادةٌ قولنا صبرا
لكم ختم اللهُ الرزايا بهذه … فلا طرقت أبياتكم بعدها اخرى

وقال راثياً عبد الله بن شبيب البغدادى ، ومعزّياً أخاه محمداً :

يا رواق العُلى فقدت وقورا … ألف الحلمَ واصطفاه سميرا
فيك قد أسكت الردى منه فحلاً … طالما قد ملا الندىَّ هديرا
وأرانا الفتورَ فى جفن صلٍّ … حين أرخى الجفونَ منه فتورا
إنما أنت غابُ عزٍّ أصابت … أسهمُ الحتف منك ليثاً هصورا
قد تخلّى سرادقُ المجد عمّن … تخذ العزَّ حاجباً وخفيرا
قبروا منه فى الصعيد أخا السيـ … ـف لساناً عضباً وعزماً طريرا
وغداً ينشرون منه مزاياً … كلُّ نادٍ بها يضوع عبيرا
يا لها عثرة جنتْها الليالى … عاد جدُّ الفيحاء فيها عثورا
نكبةٌ صغّرت جميعَ الرزايا … كان ذنب الزمان فيها كبيرا
قلْ لفيحاء بابلٍ كابديها … لوعةً فى القلوب تبقى دهورا
واطيلى العويلَ حزناً على مَن … ردَّ باعَ الأيام عنكِ قصيرا
كان فيه بك المجيرُ أصيلاً … فأعيدى له الأصيلَ هجيرا
بزفيرٍ يُحمى به الترب حتى … تطأ التربُ من لظاه سعيرا
يا دفيناً على ثراه المعالى … تركت قلبها يكوس عقيرا
وسّدوا خدَّك الكريم بلحدٍ … عاد فى طيبه ثراه عطيرا
حقٌّ لى فيكَ أن اعزّى القصورا … واهنّى بك الثرى والقبورا
هذه أظلمتْ لفقدك حزناً … وغدت تلك فيك تشرق نورا
قد عددناك فى الجبال ولكن … لم نخل قبل سيرها أن تسيرا
بك لم يرفعوا سريرَك إلا … ولك الحورُ قد نصبن السريرا

لم أخل قبل ان أراك دفيناً ... ان ملحودةً توارى ثبيرا
إن تفرغت للبلى فلعمرى ... من أعاديك قد ملأت الصدورا
أو طواك الردى فذكرك باقٍ ... ليس ينفك طيباً منشورا
لك لولا «محمدٌ» أىُّ ثلمٍ ... فى العُلى سدُّه يكون عسيرا
قطبُ مجدٍ كفاه إنَّ رحى المجد ... على غير قطبها لن تدورا
كم جلا للعيون طلعة وجدٍ ... طبعت فى السما الهلالَ المنيرا
أسر الحلمُ نفسه وسواه ... لهوى النفس لا يزال أسيرا
ماجدٌ ينقل المكارمَ لكنْ ... وارث لا كغيره مستعيرا
فهو يروى مرشحاً لبنيه ... عن أبيه حديثها المأثورا
ألمعىٌّ بغوره سبر الدهـ ... ـرَ وما كان غورُه مسبورا
ولكم راضٍ صعبةً لو سواه ... راضها رأيه لزادت نفورا
حلَّ داراً للمجد لم تلد العليا ... فيها إلا الأبىَّ الغيورا
لك يا دار ما وجدنا نظيراً ... زدتِ فضلاً على الديار كثيرا
شادك الماجدُ الأغرُّ «شبيبٌ» ... للمعالى وفيك أسنى الحبورا
وبك استودع النهى من بنيه ... أرحب الناس فى الخطوب صدورا
فاخرى الزهرَ كأنها بوجوهٍ ... زهرت فى العُلى فكانت بدورا
واستطيلى على الأثير بقومٍ ... شرفاً صيّروا ثراك الأثيرا
معشرٌ كلُّهم عرانين مجدٍ ... ينشر الحىُّ منهم المقبورا
فلهم من «محمدٍ» شمسُ فخرٍ ... كلما استحجبت تزيد سفورا
يا قريع الزمان عزماً وحزماً ... وذكا المجد بهجةً وسفورا

وقال راثيا أحدهم وقد سأله بعض الأشراف : -

أأحبابنا هل عائد بكم الدهر ... طواكم وعندى من شمائلكم نشر ؟
سلام على تلك المحاسن إنها ... مضت فمضى فى إثرها الزمن النضر
لعمرى لئن قد أقفر الجزع منكم ... فربع الأسى من بعدكم طلل قفر
أشاق اليكم كلما عن بارق ... وآية شوقى أن دمعى له قطر
ولا أنشق الأرواح إلا غلالة ... لتبرد أحشائى وهل يبرد الجمر ؟
وكنت أعد الهجر لا شىء فوقه ... إلى أن أتى ما هان من دونه الهجر
فأصبحت لا أعلام سلع تشوقنى ... ولا يتصبانى بها ما حوى خدر
وكيف وفقدان الشباب فقدتكم ؟ ... وتلك حياة لا يحب لها عمر
ولما تجاذبناكم أنا والردى ... رجعت برغمى عنكم ويدى صفر
وكم منكم من واضح الوجه ادرجت ... له صورة فى البرد لم يحكها البدر
وكافورة للحسن أضحت بزعمهم ... تعطر بالكافور وهى له عطر
لى الله بعد اليوم من لى بقربكم ... وأبعد غاد من أتى دونه القبر
قفوا زودونا إنما هى ساعة ... ووعد التلاقى بيننا بعده الحشر
رحلتم وقلبى شطره فى ظعونكم ... وللوجد باق منه فى أضلعى شطر
وشيعتكم والدمع يوم نواكم ... غريقان فيه خلفكم أنا والصبر
وأعهد خصراً يشتكى ثقل ردفه ... فوارحمتا تحت الرشا(١) لك ياخصر
ولما وقفنا للفراق وقربت ... حمولة بين لا يكل لها ظهر
ربطت بكفى الضلوع على حشاً ... تكاد خفوقاً أن يطير بها الذعر
كأن نياط القلب شدت حمولكم ... به ، وبكم عنى مذ انفصل السفر
فكم خلفكم لى أنة ما لوت بكم ... على أنها قد لان شجواً لها الصخر
سأبكيكم ما ناح فى الوكر طائر ... فطائر قلبى بعدكم ما له وكر

(١) هكذا وجد بالاصل ، والبيت لم يثبت في المطبوع .

وقال راثيا الشيخ محسن مصبّح ومعزياً ولده الشاعر الشيخ حسن[(١)] مصبّح : -

بكيت لمحمولٍ الى القبر فى نعشِ ... سرى حاملوه فى الثرى وهو فى العرش
نعاكَ لى النـاعى فقلت حشاشتى ... عليها انطوت أنياب أفعى من الرقش
وقد كنت أرجو أن اهنّيك بالشفا ... فأصبحت انشى فى رثائك ما انشى
وما خلتُ أنّ الدهر فيك مخاتلى ... يراصـدنى سراً بغائلة البطش
الى أن رأت عينى سريرَك والعُلى ... على إثره تكلى وتعلن بالجهش
فلم أرَ لى من حيلة غير أننى ... نظرتُ اليه مذ نأى نظر المغشى
كأنّ الذى بالافق نعشُك سائراً ... وطرفى السهى والحاملون بنو نعش
مشت خلفك التقوى تشيّعُ روحها ... ومن غير روح من رأى ميتاً يمشى
بكتك وظفرُ الوجد يخدش قلبها ... فمدمعها المحمرُّ من ذلك الخدش
لئن كنتَ فيما تبصر العينُ ثاوياً ... بدار البلى فى ذلك الجدث الوحش
فانّك عند الله حىٌّ منعّمٌ ... لديه على تلك النمارق والفرش
ولولا ابنُك الزاكى لأدمى تأسفاً ... عليك التقى كفّيه بالعضّ والنهش
ولكن رأى والحمد لله باقياً ... له « حسنٌ » فاختار ما اختار ذو العرش
فتىً حنيت منه على قلب خاشعٍ ... جوانحُ ذى نسكٍ سلمن من الغش
فما ينطق الفحشاءَ مذودُ فضله ... ولا سمعُ تقواه يعى قولة الفحش
تعاهد غيثُ العفو مرقد « محسنٍ » ... يبلُّ ثرىً واراه رشاً على رشّ

---

(١) هو الشيخ حسن بن محسن بن حسين الشهير بمصبح الحلي ، من مشاهير شعراء عصره ، ولد في الحلة عام ١٢٤٦ هـ وتوفي بها عام ١٣١٧ هـ ترجمت له في كتابي « شعراء الحلة » ج ١ ص ٢٨٨ — ٣٢٠ ، ط ١ ، وص ٣٥٠ — ٤٠٣ ، ط ٢

وقال راثيا الحجة الأكبر الشيخ مرتضى الأنصارى (١) ومعزيا العلامة السيد مهدى القزوينى : -

مَن حطّ هضبتك الرفيعه	وأباح حوزتك المنيعه ؟
وطواك والتقوى بقبرٍ	ضمّ جسمك والشريعه
وأعاد ملّة « أحمدٍ »	ثكلى وذات حشاً وجيعه
تنعاك واضعةً على	ظهرٍ أجبّ يداً قطيعه
يا راحلاً بالعلم تنـ	ـقله عن الدنيا جميعه
وموسّداً فى تربةٍ	بات الصلاحُ بها ضجيعه
كنت الذريعة للهدى	واليوم بعدك لا ذريعه
إن الورى فى فترةٍ	عمياء ليس لها طليعه
ترتاد مثلكَ سابقاً	بين الحسيرة والضليعه
ما كان أحوجها لطبّك	أيها الراقى اللسيعه
فاذهب فلم تصلحْ لمثـ	ـلكَ هذه الدنيا الخدوعه
فلها دخلتَ وأنت محو	دُ السجيّة والطبيعه
وصحبتها بجوارحٍ	عصمت لخالقها مطيعه
وخرجت منها طاهر الـ	أبراد مشكور الصنيعه
فلتبك مفقدكَ الورى	يا نيّراً فقدت طلوعه
ولتستر الهلاكُ خلـ	ـتها ولا تشكو القطيعه

(١) هو العلم المجهد الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين الانصاري ، أشهر مشاهير فقهاء عصره ، واليه انتهت رئاسة الدين ورجع اليه الملايين من المسلمين . وكان مضرب المثل في الزهد والورع ، والتقى ومعرفة الله عز وجل . ولد عام ١٢١٤ هـ وتوفي ١٨ جمادى الثانية ١٢٨١ هـ ، ورثاه الكثير من شعراء عصره ، ومنهم الشيخ أحمد بن صالح البحراني ، والشيخ صالح الكواز ، والشيخ علي الجامم الحسلي ، والشيخ محمد الملا الحلي .

قد فاتها العينُ البصير ةُ منك والأُذن السميعه
كانت ترى بك من أما مك غرّ أوصافٍ بديعه
قد راض نفسك زهدُه فغدت بقرصيه قنوعه
وبلبس طمريه اكتفت فاستشعرت بهما خشوعه
وصنعتَ إذ كنت الأمين على الحقوق بها صنيعه
ورأيتَ فيها رأيه لما لديك غدت وديعه
فلذا بها ساويتَ عا لية النفوس مع الوضيعه
والآن قد ضاقت لرزئك فى الورى الأرض الوسيعه
عادت كيوم وفاته لك ذات أحشاءٍ صديعه
هذى الفجيعةُ جددت أحزانها تلك الفجيعه
خفض عليك أخا العزاء وسكّن النفسَ الجزوعه
فالدينُ « بالمهدىّ » كف كف فى تسلّيه دموعه
هذا إمامُ العصر مفزع كلّ ذى كبدٍ مروعه
هو صارعُ الأعداء نا عش كلّ ذى نفسٍ صريعه
إن تدعه لملمّةٍ جاءت كفايتُه سريعه
فتراه يكتمه ويأبى اللـ هُ إلا أن يذيعه
يا من يساميه وراءك عن معاليه الرفيعه
أتعبت نفسك فى تكلّ ف ما الذى لن تستطيعه
مولىً هو البحرُ المحيط بكل مكرمةٍ بديعه
نشأت بنوه سحائباً أضحت بها الدنيا مريعه
فاذا ثرى الأرض اقشعـ رّ أديمه كانوا ربيعه
ولدتهمُ أمُّ الفخار بدارة الحسب الرفيعه
(نسبٌ عقدن اصوله بذوائب العليا فروعه)

يا أيها الخلفُ المشيّد ... للهدى فينا ربوعه
والمستجار بركنه ... فى كلّ نازلةٍ فظيعه
فلأنت بعد « المرتضى » ... نعم البقيّة للشريعه
وحدا نسيمُ العفو سا ... جمُ غيثه فمرى ضروعه
وسقى ثرى جدثٍ أقا ... م مجاوراً فيه شفيعه

وقال راثيا الشيخ على العذارى[1] ومعزياً أولاده ، والعلامة السيد مهدى القزوينى :ـ

درى لا درى دهرٌ ذممنا طباعه ... لأىّ حمىً يا راعه اللهُ راعه
وأىّ علىٍّ ساق للنزع نفسه ... لقد كابدت نفسُ المعانى نزاعه
وأُدرجت التقوى بأثناء بردِه ... وأزمع خيرُ الأرض عنها زماعه
مضت ليلةُ الاثنين عنه بواحدٍ ... له فى النهى مرأىً يفوق سماعه
تفرق شملُ الصبر ساعة بينه ... وأقبل شملُ الهمّ يبدى اجتماعه
طوى يومُه بشرَ الزمان بهاءه ... بشاشته ابهاجه والتماعه
وغادره ما عاش ينشر رزءه ... جديداً فيبكى ثكله وانتجاعه
أصاح بماذا يملك الجلدُ جفنه ... على الدمع أو ينهى الحليمُ التياعه
ويطرد فى أىّ الرقى ماردَ الجوى ... ويحوى لديغ الهمّ فيها شجاعه
وكيف وأنّى والتماسك والذى ... به يشتكى كلٌّ أجدّ وداعه؟
سل « الحلة الفيحاء » عن عقد نحرها ... أتعلم منها الدهرُ أين أضاعه؟
نعم سامه فابتاعه الموتُ بالجوى ... ويا ربحها لو تستطيعُ ارتجاعه
مغمّضه مهلاً أتحفظ للتقى ... بكفيك جفناً ما أعفَّ ارتفاعه؟

(١) هو الشيخ علي بن حسين بن عبد الله بن الكاظم بن علي بن تربيات الشهير بالعذاري ، عالم أديب ، وشاعر رقيق ، ولد بالحلة عام ١٢٠٠ هـ وتوفي بها في ٢٦ ذي الحجة عام ١٢٨١ هـ . ترجمت له في كتابي « شعراء الحلة » ج ٤ ص ٢٢١ — ٢٢٧ .

وغاسله رفقاً فمن جسد العُلى ... تقلبُ جسماً ما أشقَّ انتزاعه
ورادعه طيباً ألست بناشقٍ ... على جسمه طيبَ التقى ورداعه
وحامله فى النعش دونك فاحتمل ... به النسكَ إن النسكَ كان متاعه
ومضجعه فى لحده أضجع التقى ... به فهو يهوى مع أخيه اضطجاعه
وباكيه لا تبكى بالدمع وحده ... بلى بدم الأحشاء مدّ اندفاعه
وراثيه إنّ الكلام لضائقٌ ... بعظم الجوى بل لا يضيق استماعه
نعم إن غدت منه خلاءً فهذه ... بقيته فى المجد تعلو يفاعه
بهمته تسمو الى شرف العُلى ... وتبسط فى كسب المعالى ذراعه
مضى وهو البدرُ المنير وأنجموا(١) ... بأبراجه شهباً كساها شعاعه
أطايبُ قد حلّوا من العزّ ربعه ... فعطّر طيبُ الفخر منهم بقاعه
فصبراً بنى التقوى وإن كان رزؤكم ... عرى الدهرُ منه ما أراع ذراعه
لنا ولكم حسنُ العزا عن أبيكم ... بخير أبٍ سرُّ الندى قد أذاعه
هو الخلف المهدىُّ مَن فى جبينه ... بدا للهدى نوراً يزين التماعه
ولم تتبعْ فى الإقتداء به الهدى ... بلى أوجب اللهُ العظيم اتّباعه
أبو سادةٍ لو حلّق النسرُ طائراً ... لنيل ذرى عليائهم ما استطاعه
« جعفرُ » « فضلٌ صالحٌ » و « محمدٌ » ... « حسينٌ » حباء المهدىِّ كلٌّ طباعه
فروعُ نجارٍ رشحتْها اصولها ... لمجدٍ تمنّى المجدُ منه ارتفاعه
لهم حسبٌ لو كايلوه(٢) بنو العُلى ... بأحسابهم فخراً لما كِلنَ صاعه
أبا صالحٍ كم مبهماتٍ جلوتها ... وملتبسٍ منها كشفتَ قناعه
سنا البدر(٣) قد أطفا سناك شعاعه ... ونورك ذا فيه رأينا انطباعه
هل المجدُ إلا ما رفعتَ عماده ... أو الجودُ إلا ما تجيد اصطناعه؟

---

(١) هكذا جاء بالاصل .
(٢) كذا في المخطوط والمطبوع ، وقد جاء على لغة أكلوني البراغيث .
(٣) وفي نسخة : البرق .

وأعجب شيء أنْ يطاول فاضلٌ ... علاك ومنك الفترُ يفضلُ باعه
وكيف الفضا فى عظم نخرك لم يطقْ ... أنخرُك قد أعطى الفضاءَ إتساعه؟
تُراجعُ أعطاء الكثير ولا كمن ... اذا هو أعطى النزرَ ودَّ ارتجاعه
سلمتَ لدين الله ترأبُ صدعه ... وتحفظ ما منه سواك أضاعه
ولا زلت غيث اللطف يمنح ضرعه ... ضريح «عليّ» درّه ورضاعه

وقال راثيا العلامة ميرزا جعفر القزويني ومعزياً أباه العلامة السيد مهدي القزويني :ـ

قد خططنا للمعالي مضجعا ... ودفنا الدينَ والدنيا معا
وعقدنا للمساعي مأتماً ... ونعينا الفخر فيه أجمعا
آه ماذا وارت الأرضُ التي ... زمقُ العالم فيها اُودعا
وارت الشخصَ الذي في حمله ... نحنُ والأملاك سرنا شرعا
صاحب النعش الذي قد رُفعت ... بركاتُ الأرض لمّا رفعا
ملكٌ حياً وميتاً قد أبى ... قدرُه إلا الرواقَ الأرفعا
إنْ تسلني كيف من ذاك الحمى ... فيه زاحمن العرينَ المسبعا
فيه أدنى اليه شبله ... أسدَ الله وحيّاً ودعا
فأسلناها على إنسانها ... حدقاً وهى تسمّى أدمعا
وبللنا تربة القبر الذي ... دفنوا فيه التقى والورعا
وعقرناها حشاً فوق حشاً ... يتساقطن عليه قطعا
ونضحناها ولكن مهجاً ... صنع الوجدُ بها ما صنعا
فعلى ماذا نشدُّ الأضلعا ... كذبَ القائلُ قلبي رجعا
وحللنا عقدةَ الصبر أسىً ... وعلى الوجد شددنا الأضلعا
ورجعنا لا رجعنا وبنا ... رمقٌ نمسكه ما رجعا

يا ابن ودّى إنّ عندى فورةً   تملأ الجنبين كيف اتسعا
فإلى مكة لى إنّ بها   منتدى الحيّ المعزّى أجمعا
إبتدرها واعتمد بطحاءها   إنها كانت لفهرٍ مجمعا
قف بها وانعَ قريشاً كلّها   فقريشُ اليوم قد ماتوا معا
وتعمّد شيبة الحمد وخذ   نفثةً تحطمُ منها الأضلعا
قلْ له : إن متّ قدماً وجعاً   فمت الآن بنعىٍ جزعا
صدعت بيضتكم قارعةٌ   كبدُ الوحىِ عليها انصدعا
زال درعُ الهاشميين الذى   بردائْ حسبيه ادّرعا
وانطوى عزُّ نزارٍ كلّها   بمصابٍ سامها أن تخضعا
ما فقدتُ اليوم إلاّ جبلاً   نحوه يلجأ من قد روّعا
كان أرسى زمناً لكن على   مهج الأعداء ثم اقتلعا
شهرت أيدى المنايا سيفها   فاستعاذ الدهرُ منها فزعا
وحمى عن أنفه فى كفّه   فاذا الأقطعُ يحمى الأجدعا
قرعت سمعَ الهدى واعيةٌ   أبداً فى مثلها ما قُرعا
لو رأت ما غاب عينٌ لرأت   عيننا جبريلَ يُدمى الإصبعا
قائلاً : حسبُك ملْ عن هاشمٍ   وعلى الفيحاء عرّج مسرعا
إنها منعقدُ النادى الذى   قد حوى ذاك الجناب الأمنعا
قف بها وقفة عانٍ ممسكاً   كبداً طاحت بكفٍ قطعا
وأنخ راحلة الوجد وقل :   لستِ يا أربعُ تلك الأربعا
إنما كنت على الدهر حمىً   لم تجدْ فيكِ الليالى مطمعا
بعليم فيك قد أحيا الهدى   ومليكٍ قد أمات البدعا
فالعمى والجورُ عنك افترقا   والجدا والعدل فيك اجتمعا
بأبِ الرشد اذا ضلّ الورى   وأخى الجلّى اذا الداعى دعا

قد لعمرى راعك الخطبُ بمن ... كان فى الخطب الـكمىّ الأروعا
جدّ ناعيـه فقلنا هازلٌ ... ليس يدرى كنه مَن كان نعى
فدعا لمّـا أبى تلك التى ... طارت الأحشاء منها جزعا
قد بكى الغيثُ أخاه قبلـكم ... فانضحوا الأكبادَ منـكم أدمعا
رحل « الصادقُ » منكم « جعفرٌ » ... وبه الإسلامُ قسراً فُجعا
فإلى أين وهل من مذهبٍ ... كابدوها غـلةً لن تنقعا؟
يا « أبا موسى » أصخ لى سامعاً ... وبرغمى اليوم أن لا تسمعا
بل كـفانى لوعةً أنّى أرى ... منك أخلى الموتُ هذا الموضعا
أوما عندك فى نادى العُلى ... لم تزل تحلو القوافى موقعا؟
أين ذاك الوجهُ ما حيّيته ؟ ... بطريف المـــدح إلا التمعا
أين ذاك الـكفُّ تندى كرماً ؟ ... كلما جفَّ الحيا أو منعا
هاكِ يا أفعى الليـالى كبدى ... فانهشى منها بنابيـك معا
مات من يثنيك يا نضناضةً ... ترشحين الموت سمّـاً منقعا
واقشعرى أيها الأرضُ بنا ... فغمامُ الجود عنا انقشعا
وطرافَ المجد قوّض زائلاً ... فعمادُ المجـد منك انتزعا
عثر الدهرُ فقولا لا لعاً ... فخـذا باللوم منه أو دعا
فلقـــد جاء بها قاصمةً ... خلعت صلبَ العلى فانخلعا
انتهت كلُّ الرزايا عنـدها ... فتعدّى العذلُ والعذر معا
أدرى أىَّ صفاتٍ قرعا ... أم درى أىَّ قنـاةٍ صدعا؟
فاستحالت مقلةُ الدين قذاً ... طبّـه « المهدىُّ » حتى هجعا
إنما « المهدىُّ » فينـا آيـةٌ ... بهر الخـالقَ فيما ابتدعا
لم يزعزعْ حلمه الخطبُ الذى ... لو به يقرع رضوى زعزعا
ملكَ الأجفانَ لـكن قلبُـه ... والجوى خلف الضلوع اصطرعا

أيها الحاملُ أعباء العُلى ... ناهضاً في ثقلها مضطلعا
مقتدى الامّـة أنتم ولهم ... بكم دينُ التأسّى شرعا
يتداوى برقى أحلامكم ... مَن بأفعى رزئه قد لُسعا
قد نشأتم في بيوتٍ لكم ... أذن اللهُ بها أن ترفعا
لا أرى الفيحاءَ إلا غابةً ... سبعٌ يخلفُ فيها سبعا
إن مضى عنها « أبو موسى » فها ... « بأبي الهادى » اليها رجعا
من سراجٍ في سراجٍ بدلٌ ... انطفى ذاك وهذا سطعا
ماجدٌ يبسط كفاً لم تزلْ ... لمن ارتاد الندى منتجعا
ذو عُلىً ما نالها العقلُ ولا ... طائرُ الوهم عليها وقعا
سيّدٌ قال له المجدُ ارتفع ... حيث لا تلقى السهى مرتفعا
وحّد القول له لكنّه ... « بأبي القاسم » ثنّى متبعا
يجرى في إثره مرتفعاً ... يركب الجوزاءَ ظهراً طيّعا
وسنا المجد الذى في وجهه ... ذاك في وجه الحسين التمعا
سادتى عفواً دهتنى صدمةٌ ... أفحمت منّى الخطيبَ المصقعا
لم أخل ينعى لسانى (١) جعفراً ... وبودّى قبل ذا لو قطعا

وقال راثياً بعض الأكابر :

قرع النعىُ بصوته سمعى ... فحنى على جمر الجوى ضلعى
صدع الحشا منّى غداة غدا ... ينعى كريمَ الأصل والفرع
مهدىُ أهل الفخر أشرفها ... في النفس والأخلاق والطبع
يا نكبةً ما كان أفدحها ... طرقتْ فضاق بهولها ذرعى
شغلتْ لها عينى بمدمعها ... وحشاشتى بلواعج الفجع

---

(١) وفي نسخة : لسانى .

فاذا رسمتُ كتابَ تعزيةٍ   لكم محته بوادرُ الدمع

وقال راثياً كريمة العلامة السيد مهدى القزوينى ، ومعزياً أباها واخوتها الكرام :

ما لهم يا قبرُ قد جدُّوا انصرافا   بعدما قد دفنوا فيك العفافا
وحثوا منك على عين العُلى   تربةً تستافها الحورُ استيافا
نفضوا تربك والصبرَ معاً   عن يدٍ تمسكُ أكباداً لهافا
وردوا أمس ثقالاً بالجوى   فبماذا صدروا اليوم خفافا؟
هل أعادوا معهم ما أخذوا   من حشاشات تبقّوها لهافا
لا ومَن قد طهّر الماءَ بها   مذ لها مطلقه كان مضافا
والتى راحَ الحيا ملتحفاً   معها طاهرَ برديها التحافا
بل أعادوا جمرة الوجد الى   أضلعٍ باتت عليها تتجافى
حجب القبرُ ابنة الوحيِ التى   شرفُ الذكر بعلياها أنافا
من كريماتٍ على الله لها   ضرب العصمة خدراً وسجافا
لم تلد إلا الذى يسقى كلا   ماتحى سجليه(١) شهداً وذعافا
والتى ما مدّت العليا على   مثلها يوماً لتخدير طرافا
صاح هل تعلمُ لمّا أفردت   وامتلى القبرُ ضجيجا وهتافا
أبذاك الترب واروا فاطماً   أم اليها العالمُ القدسيُ وافى
ونعم فيه توارت شعبةٌ   من حشاها اختطفت منها اختطافا
ساقها الحتفُ ولكن بعدما   شق من صدر الهدى عنها الشغافا
وعليها مسح الوجدُ ضحىً   مقلةً عمياء لا تدرى الجفافا
أوحشت من امّ شبلٍ غابةً   لو بها مرَّ أبو شبلٍ لخافا

---

(١) الامتياح : اخراج الماء من البئر ، والسجل : الدلو ، أو ما تحمله من الماء .

كعبة التخدير إلا أنها ... خلقت للملأ الأعلى مطافا
دارُ قدسٍ أودع اللهُ بها ... خيرَ أهل الأرض نسكاً وعفافا
قل لمن رام انحرافاً عنهم ... ضلّ من يبغى عن الحق انحرافا
سادةٌ للرشد فى مهديّهم ... جعل اللهُ من الغيّ انتصافا
كلُّهم أبحرُ علمٍ طفحت ... فاغترف من أيّهم شئتَ اغترافا
فضلوا الخلقَ أكفاً سحباً ... رفع المحلَ وأخلاقاً سلافا
أسكرتْ فى حبهم حتى العدى ... فهى الصهباء لطفاً وارتشافا
كرماءٌ لقِرى أضيافهم ... ينحرون البدرَ لا البدنَ العجافا
آمنوا فى الله مَن آمنه ... وأخافوا من له اللهُ أخافا
يا ذوى الحلم وفيكم رقةٌ ... فقتم فيها حنوّاً وانعطافا
إنما هزّت قنا صبركمُ ... نكبةُ الدهر فزادتها ثقافا
وعلى زحف الليالى لا شكت ... أبداً أبيات علياكم زحافا

وقال راثيا العلامة الميرزا صالح القزوينى ومعزّيا أخويه : -

أفعى الأسى طرقت وغاب الراقى ... فأنا اللديغُ وأدمعى درياقى
باتت تساورُ وهى غير ضئيلةٍ ... حتى رشحن بسمّها آماقى
لا راق نفسى العيشُ بعدك ليلةً ... ضربت علىّ بأسدف الأرواق
أثكلتنيها يا ثكلتك قبلها ... غرراً أعزّ علىّ من أحداقى
فأعدت لى فى فقد أطيب معرقٍ ... فى المجد مفقدَ طيّب الأعراق
ذهبا بأيامٍ خطرت مع الهوى ... منها بمعلمة البرود رقاق
زمناً لبستُ حريرها ونضوتها ... عن جدّةٍ وأبيك لا الأخلاق
فلأندبن اليوم صالحَ عهدها ... ولأبكين نفائسَ الأعلاق
ولأحلبنّ من الشجون حشاشتى ... دمعاً كمندفق الحيا المهراق

أمرقصاً دمعي وأخلاقي معاً بنشائد «الخنساء» لا «إسحاق»
فرّق بأقتلها مجامعَ أضلعي إنّ المكارم آذنتْ بفراق
قتلت أسيّ لأغرّ(١) لولاجودُه قتل الزمان بنيه من إملاق
فأزلْ بنعيك فى الورى رمق الورى فالموتُ زال بمسك الارماق
هذا «أبو حسنٍ» استقلَّ مشيَّعاً لكن بنعشٍ لا متون عتاق
ومشت وراء سريره من هاشمٍ غلبُ الرقاقِ خواضع الأعناق
متماسكين من الحياء تهافتت قطعاً قلوبُهم من الإقلاق
يا راحلاً بالصبر حمّل قومَه عبئاً من الأرزاء غير مطاق
خرجتْ تمنّى لو بهاشم كلّها خرجت وأنت لمجد قومك باقى
فلو افتدى بسواه غيرُك أو وقى من حدّ أسياف المنيّة واقى
لوقتْك من دمها العفاةُ بما وقى بوفاء ماء سماحك الرقراق
ولغيّمت بالنقع دونك هاشمٌ حتى تسدَّ مطالع الآفاق
وأتتك ترعد بالصواهل واغتدت بالبيض تبرقُ أيّما ابراق
ولأمطرتْ بدمٍ سقت شوك القنا منه بأغزر وابلٍ دفّاق
ولقارعت عنك الردى وشعارها أنا من أمرِ اليوم طَعمَ مذاقى
ولأقبلتْ بك يا عميدَ سراتها والموت بين يديك رهنُ وثاق
وأظن أنك والتكرّم شأنكم كرماً تمنُّ عليه بالإطلاق
فيردن أفئدةٌ لهنَّ لظى الجوى لم تبقِ باقيةً على الإحراق
لكن دُعيتَ وأيُّ خلقٍ لم يكن ليجيب دعوة قاهرٍ خلّاق
فضى الردى بك راغباً بطلاقها دنياً تجدُّ تبعلاً بطلاق
معشوقةٌ وهى الملالُ وإنما لعلى الملال كثيرة العشاق
سارٍ على أيدٍ رفعن برفعها منك البنان مفاتح الأرزاق

(١) في الديوان المطبوع : لأعز .

اعتقن من رقّ الزمان كرامَه ... فجمعن بين الرقّ والإعتاق
ودعت وقد رفعت عقيرتها العُلى ... الله أين بمثقل الأعناق
فبرغم أنفي اليوم حطُّك في الثرى(١) ... مَن كنت أرفعه على الأحداق
فلو استطعتُ عن التراب رفعته ... بالوضع بين ترائبٍ وتراقي
واهاً لتربة ذلك الجدث الذي ... فيه دفنت(٢) مكارم الأخلاق
مصت ندى تلك البنان فأعطشت ... عودَ الرجاء وكان ذا ايراق
إيهاً صروف الدهر دونك في الورى ... تدري بلا فرقٍ ولا اشفاق
غطى التراب على قريعك وابرزي ... في الناس كاشفةً لهم عن ساق
قدرٌ رمى شجرَ العلوم بمعطشٍ ... فشكت أعاليه جفاف الساق
وذوى وزال عن القلوب لفقد مَن ... قد كان بحراً والقلوبُ سواقي
سُلبت نضارته وغودر عن يدي ... طللاً به متساقطَ الأوراق
يا نازلاً غرف الجنان وتاركَ الـ ... صبِّ المشوق بقائم الأعماق
وفدت عليك صلاةُ ربك شائقاً ... منعت اليه وفادةَ المشتاق
فاذهب وحسبُك للعلى « بمحمدٍ » ... فعلاه لا يرقى اليها الراقي
عرجت به لسماء فضلك همةٌ ... قالت: أجلْ من البراق براقي
هذا الذي ورث النبوّة علمَها ... ومن الإمامة حل أيّ رواق
ولقد أقولُ لمن بغاه بضغنه ... أقصرْ فلستَ تناله بلحاق
عجباً طمعت بمن يروضك عالماً ... إنّ القلوب تراضُ بالإرفاق
لا تقربنّ الصلّ نضنض مطرقاً ... فالصلُّ سورته مع الإطراق
هو و « الحسينُ » ، كلاهما قرار العلى ... في فتيةٍ هم أنجم الآفاق
من كلّ نهاض العزائم حائزٍ ... قصبَ الرهان بيوم كلّ سباق
خطبت لهم بكر العُلى وهمُ لها ... جعلوا جميل الذكر خيرَ صداق

(١) في المطبوع: بالترى. (٢) وفي نسخة: دفن.

فبنوا بخير عقيلةٍ ما راعها ... صرفُ النوائب منهم بطلاق
لولاهم غدت القلوبُ كمضغةٍ ... بلهى الخطوب تلاكُ بالأشداق
ولأطبقت ظلمُ الرزيّة واختفى ... ضوءُ السلوّ بذلك الإطباق
فهم البدورُ تفاوتت بطلوعها ... فى المجد لا فى التمّ والإشراق
المجدُ أطلعها وقال معوّذاً ... لا ينِلَ باهرُ مجدكم بمحاق

وقال راثياً العلامة الكبير السيد مهدى القزوينى ومعزياً أولاده الكرام :-

أرى الأرض قد مادت لأمرٍ يهولها ... فهل طرقَ الدنيا فناءٌ يزيلها ؟
وأسمع رعداً قد تقصف فى السما ... لمن زمرُ الأملاك قام عويلها ؟
تأمّل فأما الساعةُ اليوم فاجأت ... وأما التى فى العالمين عديلها
وإلا فما للدهر راع حشا الورى ... بتقطيبه منها عراها ذهولها ؟
بلى طرقت أختُ القيامة بغتةً ... وتلك التى للحشر يبقى غليلها
لها صعدت بالحزن للعرش رنّةٌ ... بأعلى بيوت الوحى كان نزولها
نحت فى رواق المجد صدراً من العُلى ... يروع ملوكَ الأرض فيه مثولها
ومالت بأرسى هضبةٍ ما تصوّرت ... جحاجحُ فهرٍ أن ترى ما يميلها
فدىً لعميد الغالبيين كلّها ... وأى فريدٍ لو فداه قبيلها
إذاً لافتدت طوداً لها ما تعلقت ... بقنته للكاشحين وعولها
فإن « معز الدين » مَن سُلّ دونه ... صوارمُ لا يخشى عليها فلولها
وقارع حتى كلُّ مضّاء فكرةٍ ... ثناه بحدّ القول وهو كليلها
وراش نبالاً لم تفت مقتل العدى ... وأقتلُ سهمٍ ما يريش نبيلها
وسدّد من أقلامه السمر صعدةً ... بصعداتها للسمر قصّر طولها
فأدرك ما لا تدرك الشوسُ بالقنا ... ونال بها ما لم تنله نصولها
أكالىء ثغر الدين قد عثر الردى ... بيومك لكن عثرةً لا نقيلها

لأرخى يميناً منك شدُّ قوى الهدى | وغمض عيناً بالحفاظ تجيلها
فمن مخبرى كيف انتحتك منيةٌ | بطرفك لو ترى لعزٍّ وصولها؟
أأنحلها خوفٌ(١) التقحم إذ مشت | اليك فأخفاها عليك نحولها؟
أم اقتادك التسليمُ لله طائعاً | وهل طاعةٌ إلا وأنت فعولها؟
ورزئك ما هذى الدموع وإن جرت | بماءٍ ولا هذى السيولُ سيولها
ولكن حشاشات على الشوق لم تزلْ | تذوب الى أن جاءها ما يسيلها
ستبكيك ما ناح ابنُ ورقاء أعينٌ | بفضلك من حيث التفتنا نجيلها(٢)
نرى لك آثار الغمامة لاطفت | ثرى الأرض حتى روَّضته هطولها
«أبا صالحٍ» ما العيش بعدك صالحاً | لنفسٍ هواها عنك لا يستميلها
عفاءٌ على «الفيحاء» بعدك وحدها | وإن غال كلَّ الأرض بعدك غولها
لقد لبست فيك الجمال وإنما | عليك تعرّى اليوم عنها جميلها
غدت ثاكلاً تشجى بنيها وطالما | زهت فاجتلتها كالعروس بعولها
نعاك لها ناعٍ اليك أطارها | بدهياء راعَ الخافقين حلولها
أتت لك تشكو اليتم فيك بأدمعٍ | لها صنتها دهراً فأضحت تذيلها
وشرفتها ميتاً بحملك ضعف ما | رأتك من التشريف حياً تنيلها
أصاحِ الى جنبي قف اليوم ممسكاً | عليَّ حشاً حانَ الغداة رحيلها
فقد كنتُ قبل اليوم أعهد لى يداً | هى اليوم لا منّى فأنت بديلها
أزل بالنعيّ الراسيات فقد سرى | يخفُّ على أيدى الرجال ثقيلها
وما خفَّ لمّا أن تساوى بحمله | حقيرُ الورى فوق الثرى وجليلها
ولكن سرى الأملاك فيه يؤمهم | بتكبيره فوق السما جبرئيلها
وغبراء من حشو التراب قد احتبى | بقاتمها حزنُ الفلا وسهولها

(١) في المطبوع : هول .
(٢) وردت في المطبوع والمخطوط : بخيلها ، والأنسب ما ذكرناه .

مرت ماءها الأنفاسُ فى صعداتها ... فسالت وأسرابُ الدموع سيولها
تدانى بها منا ابنُ نعىٍ يلوثها ... على وجهه طوراً وطوراً يذيلها
فقمنا له نخفى الذى منه هالنا ... وهل طلعةٌ للشر يخفى مهولها؟
وقلنا زعيم الطالبيين أحدقت ... بجنب علاه شيبها وكهولها
قضى حجةً واستأنف السير فانبرت ... تعطّف منه حول فحلٍ فحولها
وهذا بشيرٌ لو وهبنا نفوسنا ... لقلت له والفضلُ منه قبولها
فلما ألمّ استلّها من لسانه ... صفيحة نعىٍ كلُّ قلبٍ قتيلها
شكت عندها الأسماعُ وقراً أصمّها ... وما وقر الأسماع إلا صليلها
وقال امسحوها اليوم عمياء من جوىً ... بشلاءَ فيها لم يُكفكفْ همولها
فذاك على الأعواد سيدُ هاشمٍ ... بجنب العُلى منه مسجى كفيلها
وذى هاشمٌ جاءت بأثقال همّها ... ومهديّها محمولة لا حمولها
نضتها السرى أسيافَ مجدٍ صقيلةً ... وعادت وفى قلب المعالى فلولها
مضت بأبٍ للمكرمات يؤمّها ... وكان بأمّ النائبات قفولها
أما وسريرٍ تحته قد تزاحمت ... فطاشت كما طاشت خطاها عقولها
لقد هالها الإقدام فيه لتربةٍ ... على روحها بالراحتين تهيلها
فقد قبرت فى اللحد واحد عصرها ... وأقسم ما المقبورُ إلا قبيلها
تجللتها يا دهرُ سوداء فانطوت ... عليك ليوم النشر تضفو ذيولها
خطمت بها قسراً عرانينَ هاشمٍ ... فقدها تساوى صعبُها وذلولها
وقل لعوادى الحتف شأنك والردى ... مضى الفضلُ والباقون منها فضولها
فما جولةٌ عند الردى فوق هذه ... فنخشاه يوماً فى كريم يجولها
ويا رافعيه فى الأكف نصبتمُ ... بها علماً يشأى العُلى ويطولها
قفوا وانظروا كيف الورى لو تحاشدت ... وضاق بأبناء السبيل سبيلها
تشيّع نعشاً ليس تدرى إمامها ... الى القبر محمولٌ به أم رسولها؟

فتىً طبَّق الدنيا علاءً وعمَّها ... سخاءً وأبقى بعده من يعولها
كفى خلفاً منه بأشبال مجده ... وهل تخلف الآساد إلا شبولها؟
مصابيحُ رشدٍ والمصابيح فى الورى ... يكون اليها ليس عنها عدولها
فشمسُ الهدى والأمر لله إنْ تغبْ ... وراع الورى شرقاً وغرباً افولها (١)
فدونكها موروثةً نبــويّةً ... وخلفكَ باغيها فللأُسد غيلها
إمامة حقٍ إن تكن أمس ودعت ... أباها فقد اليوم ناب سليلها
ستعلم رواةُ الشريعة إذ جرت ... بسلسلِ علمٍ فيك ما سلسبيلها
لقد سمعت بالوحيِ تنزيلَ آيها ... وسوف ترى من فيك كيف نزولها
ألا إنما (٢) العليا قواعدُ سؤددٍ ... لك اللهُ أرساها فمن ذا يزيلها
ومجد قدامى الفخر مدَّ على الورى ... سماءً لها عرض السماء وطولها
عفاةَ الورى لا يقعد اليأسُ فيكم ... فأثقال أهل الأرض قام حمولها
أبلَّ بنى فهرٍ لواشجةٍ حشاً ... اذا الشتوةُ الغبراء هبَّ بليلها
أتى باليد البيضاء تقطر نعمةً ... وبالطلعة الغرّاء يبهى جميلها
لقد جاء فى عصرٍ به عقر الندى ... سوى مذقةٍ يعيي الرجاءَ حصولها
فما هو إلا «صالحٌ» و«ثمودُه» ... وبالجود إلا ناقةٌ وفصيلها
أنر يا «أبا الهادى» دجى كلِّ مشكلٍ ... فما شبهةٌ إلا وأنت مزيلها
وأمطر بناناً يا «محمدُ» فى الورى ... وقد روّضوا حالاً توالت محولها
فاقسمُ لو لم تروِ عاطشة المنى ... لدبَّ بأغصان الرجاء ذبولها
صنايع من عرفٍ لنا بك فخرها ... وللناس مشكوراً لديك جزيلها
قد(٣) اكتست الدنيا فتاهت بزهوها ... خلائقَ أخلاقُ الرجال سمولها
اذا استبقت فهرٌ بفخرك فى مدىً ... غدت غررُ العليا لها وحجولها

---

(١) في المخطوط : اشراقها وآصيلها .

(٢) في المخطوط : انها .

(٣) وفي المطبوع : لك . ولعل الانسب من الروايتين : بك .

وليس الخطاب الفصلُ إلا مقالة ... لسانُ قريش وهو أنت قؤولها
بك ارتاش عافيها وقرّ مروعها ... وأُدنى قاصيها (١) وعزَّ ذليلها
وما قصرتْ باعُ العُلى عن رزيّةٍ ... رغت كرغاء المثقلات (٢) نكولها
وذا « صالحُ » الدنيا وأنت كلاكما ... تمدان منها و « الحسينُ » مطيلها
فتىً لا أقول الغيثُ يحكى بنانه ... سماحاً لأن الغيثَ فيه عذولها
شمائله تحكى النسيمَ لطافةً ... وأخلاقه الصهباء رقّت شمولها
بنى الغالبيين الذين أكفُّهم ... تريك الغوادى الغرَّ كيف مخيلها
ألستم لقومٍ تملأ الأرض (٣) رجفةً ... اذا هى للهيجاء سار رعيلها ؟
ضراغمُ تخشى رقدة الموت من غفا ... اذا استيقظتْ للضرب يوماً نصولها
يطول نعيُّ الثاكلات لقومها ... اذا صهلت للطعن شوقاً خيولها
بهاليلُ أمّا هجرت يوم معركٍ ... فتحت ظبات (٤) المشرفيّ مقيلها
لها الحربُ لم تبرحْ تقلّل عدَّها ... ويكثر فى عين العدوّ قليلها
لكم صبرُها تحت السيوف وحلمها ... اذا نوبُ الدهر ارجحنَّ جليلها
فما شيمةُ الحسّاد فيكم وليتها ... عفت كعفوّ المجد منها طلولها
وقدركم فى الموت يعلو نباهةً ... وما الموت كلُّ الموت إلا خمولها
ألا أنتم القوم الذين قبابُهم ... على شهب الخضراء ترخى سدولها
فروع عُلىً لا يدرك الوهم طائراً ... سوى إنها فوق السماء اصولها
لها فوق أهل الأرض مجدٌ تكافأت ... عمومتها فى فخره وخؤولها
خذوها بنى العلياء « خنساء » عصرها ... وإلا فبنت الدوح مرّ (٥) غليلها

(١) في مخطوطة الملا : وأدنى أقاصيها .
(٢) في المخطوط : المشكلات .
(٣) في المطبوع : الدهر .
(٤) في المخطوط : طباق . والانسب ما في المطبوع .
(٥) في المطبوع : خر . ولعل الانسب من الروايتين : حر أي : اشتد عطشها .

فلو أنها ناحت لصخرٍ ارتكه تفطَّرُ مما قد شجاه هديلها
لها قربُ عهدٍ بالولادة لا تخل أتى قبلُ أو من بعدُ يأتى مثيلها
تطول قوافى الشعر منها قصيدةٌ «زهيرٌ» بحولياته لا يطولها
ألا إنما يبقى الهدى ببقائكم فسؤلُ المعالى أن تدوم سؤولها [(١)]

وقال راثياً العلامة السيد ميرزا جعفر القزوينى :-

عودى بطرفك يا قريشُ كليلا وبعزمك امتلأت ظباه فلولا
فعلى الرؤوس رفعت نخرك ميتا ودفنتِ مجدك فى الصعيد أثيلا
واهاً لكاهلك الأجبِّ لقد شآ وقراً على ظهر الزمان ثقيلا
خفَّتْ حلوم بنى أبيك بساعةٍ ذهبت بحامل ثقلها محمولا
بمقلَّبٍ وسطَ الندىِّ أناملاً لم تدرِ إلا الرفدَ والتقبيلا
نسيتْ به الأرزاء بل ذكرت به رزءَ «الحسين» غداة خرَّ قتيلا
رفعته والتكبير بالعشر التى قتلوا بها التكبير والتهليلا

وقال راثيا ولده سليمان :-

همومٌ نوى البرءُ منها ارتحالا فلا تبعث الداء إلا عضالا
وطفلُ الأسى لم يجدْ من رضاع حشا حالب الفضل يوماً فصالا
عفاءً على الدهر من ناقصٍ على الكاملين تجنَّى خبالا
أجال عليهم خيول الخطوب ولو مثّلت لاستقالوا قبالا
ولو عرف الدهرُ قدر الكرام لكفَّ غداتئذٍ ما أجالا
غزانى بملومة النائبات وعاد بإنسان عينى نفالا
فروَّع سمعى بصوت النعىِّ ورنَّق من صفو وردى سجالا

---

(١) كذا في الاصل والمطبوع .

فبتُّ وفى مقلتى عاثرٌ ... حمى جفنها بالكرى الاكتحالا
وقائلة ليس سمعى لها ... وبعضُ المقال أراه محالا
أجدّك من عاتبٍ ما تزال ... تذمُّ من الدهر هذى الخصالا
أقلْ عثرةَ الدهر أو لا تقل ... فليس يبالى بأن لا يقالا
أتجزع للبين مستثقلاً ... وأنت حجىً تستخف الجبالا ؟
تماسكْ ولا تبتذل أدمعاً ... حماها وقارُك عن أن تذالا
فقلت وعينى أسىً تستهلُّ ... كمحتفل الودق مرخى العزالا
أآمنة السرب كفّى الملامَ ... ضلالاً لرأيكِ منّى ضلالا
فما نفحةٌ من رياض الصبا ... لها أرجٌ للقلوب استمالا
بأطيب من تربةٍ ضمّنتْ ... على رغم أنفى منّى هلالاً
نشدتكَ يا دهرُ ألاّ أعرتَ ... مسامعك اليوم منّى مقالا
أعن سفهٍ منك للأكرمين ... تركّبُ غدركَ حالاً فحالا
وتزجى الخطوب ثقالاً لكى ... لهم تستخفُ حلوماً ثقالا
وأنّى يزاول نملُ القرى ... جبالَ شرورى فتخشى زيالا ؟
وتعجم يا دهرُ فى ماضغيك ... من عود علياهم ما استطالا
وهل زبرةٌ عضّها أدردٌ ... فأثّر أو نال منها منالا
تعلّم لك السوء من ناقص ... عدا طوره وتمنّى محالا
بأنّ الأماجد صبرٌ ولوٍ ... بدهمتهم بالخطوب اغتيالا

وقال راثيا الشاعر الشيخ صالح الكواز(١) ومعزّيا السيد مهدى القزوينى :ـ

كلّ يومٍ يسومنى الدهرُ ثكلا ... ويرينى الخطوبَ شكلاً فشكلا
وبصبرى يجدُّ خلف حبيبٍ ... منه طرفى لا القلب يخلو محلاّ

---

(١) ترجمت له في كتابي « شعراء الحلة » ج ٣ ص ٦٤ — ٩٨ .

أودع الأرض شخصه ثم أدعو ... أين ركبُ المنون فيك استقلاّ؟
يا عذولَى صبابتى علّـانى ... كيف تسلى الهموم لا كيف تسلى؟!
خلياني من مورد الصبر إنّى ... قد وردت الأشجان علاً ونهلا
كم أخٍ شدّ ساعدى بأخيه ... بعده قد صحبتُ باعاً أشـلاّ
وقريبٍ إلىّ أبعده الموتُ ... وكم أبعدت يدُ الموت خلاّ
وعزيزٍ علىّ أرخصَ دمعى ... وهو عندى من نور عينىّ أغلى
اخوتى اخوةُ الصفاء درجتم ... فبمن لا بمن هموى تجلى
مضّنى فقدُكم ولا كفقيدٍ ... كبر الخطبُ فيه عندى وجلاّ
إن تـكن بعّضت نواكم فؤادى ... فنواه مضت به اليوم كلاّ
يا دفيناً بتربـةٍ تخـذتها ... أعينُ الحور موضع الـكحل كحلا
ثـكلُ امّ القريض فيك عظيمٌ ... ولامّ الصلاح أعظم ثكلا
ما عركن الخطوب صبرَك إلا ... حسبت أنها جلت لك نصلا
قد لعمرى أفنيت عمرك نسكاً ... وشحنت الزمانَ فرضاً ونفلا
وطويت الأيام صبراً عليها ... فتساوت عليك حزناً وسهلا
طالما وجهك الـكريمُ على الله ... به قوبل الحيا فاستهلاّ
إن تعشْ عاطلاً فـكم لك نظمٌ ... بات جيدُ الزمان فيه محـلّى
ولك السائراتُ شرقا وغربا ... جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا
كم قرعن الأسماعَ بيتاً فبيتا ... فأفضن العيون سجلاً فسجلا
كنت أخلصتَ نية القول فيها ... لجزاك «الحسين» عنهن فعلا
فهى الصالحات بعدك تبقى ... بلسان الزمان للحشر تتلى
يا أمنت الروائعَ انعمْ بدارٍ ... قـد اُعدّت للمتقين محـلا
أنت أهلٌ وقد علمت بأن ليد ... س يُضيع البارى لمثلك أهلا
ها هم قـد تفيأوا ظل من كا ... ن على العالمين لله ظـلاّ

ذاك « مهدىٌّ » شرعة الحق والـ   قائمُ فيها بالصدق قولاً وفعلا
مَن اذا جاد واهبا جاد وبلاً   واذا قال ناطقا قال فصلا
أسدٌ رشَّح الإلهُ بنيه   لعرين الآساد شبلاً فشبلا
علماءُ الهدى دعائم دين اللـ   ـه حفّاظُه وناهيك فضلا
وسقى اللهُ « صالحا » غيث لطفٍ   بشآبيب عفوه مستهلا

وقال راثيا الحاج محمد عوض وقد سأله أخوه أحمد عوض ذلك :ـ

لو بُرِّد العذلُ من غليلي   لم أحم سمعي عن العذول
لام خليٌّ الحشا فقلبي   ملآنُ من دائي الدخيل
أثكلني الدهرُ وهو لاهٍ   لم يدر ما لوعةُ الثكول
لو صدعت نكبتي حشاه   اذا كسا جسمه نحولي
يقول ما لي أراك حزناً   تحنٌّ كالواله العجول
تعزَّ إنَّ العزاء أولى   بشيمة الكامل النبيل
فقلت عنّي وهل لغيري   يا لائمي رنــةُ العويل؟
قلبي بالصبر كان سيفاً   وامتــلأ اليوم بالفلول
معلّلي بالعزاء رفقاً   تحنو على قلبي العليل
كذبت لو قد عناك وجدي   ما نمت عن ليلي الطويل
أسأل عن صبري الجميل   بعد افتقادي « أبا خليل »
قضى بحجر النهى عزيزاً   والموت ضربٌ من الخمول
ولم تغمّضْ له جفوناً   إلا يدا مجده الأثيل
وغسلته العُلى وقالت :   بوركت من طاهرٍ غسيل
ثم نعت : أيها المسجّى   والحمدُ في برده الجميل
أما ترى « أحمداً » ينادي   يا مقلتي في الدموع سيلي

ومنك ينعى على نجيبٍ | قرمٍ لأثقــاله حمول
يقول يا منهضى برفقٍ | من عثرة الدهر من مقيلى
أصول فيمن على زمانى | يا دافنى سيفى الصقيل
وهذه المكرماتُ تنعى | فتخلط النعيَ بالعويل
قد حملوا واحدى بنعشٍ | خف بعبءِ النهى الثقيل
يا راحلاً للبلى الى من | بعدك بين الورى رحيلى
منك رباعُ العُلى برغمى | خلت ورغم الحجى الأصيل
زهت زماناً بها الليالى | والسعدُ فى ظلها الظليل
وغرٌ أيامها حسانٌ | تمرُّ وضاحة الحجول
والناسُ من رائحٍ وغادٍ | يثنى بمعروفها الجزيل
واليوم ذاك الثناءُ أضحى | نوحاً على رزئه الجليل
كنت « لشبلىَّ » أمس أنعى | واليوم أنعى أبا الشبول
تتابعوا للمنون عنى | تتابعَ الشهب للافول
جفاهم الدهرُ بعد وصلٍ | والدهرُ كالعاشق الملول
لم يبقَ إلا القليلُ منهم | والخيرُ فى ذلك القليل
فروعُ مجدٍ شذا علاهم | يشهد بالطيب للأُصول
من « أحمدٍ » قدرُه علىٌّ | ومن أخٍ للنهى خليل
قبيلة المجد من سواكم | لم يعرف المجد من قبيل
عذراً اذا لم أقلْ عزاءً | ما هذه قولة الثكول
وطاب قبرٌ به توارى | « محمدٌ » ذو الحجى الأصيل
أغناه ما فيه من سماحٍ | عن سقى جفن الحيا البخيل

وقال الشاعر لما توفى الحاج محمد صالح كبه : نظمت فى رثائه هذه القصيدة :-

وذهبت الى بغداد لتعزية ولديه الحاج مصطفى ، والحاج محمد حسن ، وانشادها في ناديهما ، وكان قد تأخر نظمها وذهابي الى هناك شهراً كاملاً . فكتبت أمام القصيدة هذه المقدمة الفريدة وتليتا معاً ، وكانت المقدمة كالاعتذار عن ذلك :

وقفتُ على « الزوراء » وهي يتيمةٌ تحنُّ لمن أبقى المعالي ثواكلا
فتنعاه طوراً للفواضل والنهى وطوراً له تنعى النهى والفواضلا

قد شقَّت بيد المصاب جيبها ورثاءها . حين أخذت رجفةُ الحزن أحشاءها . وجزَّت بمدية الجزع ناصيتها ولمَّتيها . وبادرت حثو التراب على رأسها بكلتا يديها . وغسل الدمعُ من عينها سوادَها . فصبغت فيه أبرادها . وبرزت في محفل النياحة . معولة بأعظم المناحة . موحشة العبوس والتقطيب . معلنة بالبكاء والنحيب ، ما تراءت للعيون ماثلةً . إلا وأنشأت قائلةً :

بكائي بعينيَ لم يكفني لمن قطع الدهرُ فيه وتيني
فليت توزع دمعي الأنامُ لأبكي عليه بكلِّ العيون

وهي في نماء قلق الدهر من ضجته ، وبكاء غرق الصبّ في لجته ، فحين رأيت خطبها عظيما ، وشاهدت كربها جسيما ، مسكت بكفي رواجف صبري ، وطفقت أسألها على سبيل تجاهل العارف كأنني لست أدري :

فقلتُ على مَن رنةُ النوح والبكا فقالت على من لا ترى الدهرَ مثله
أليس أبي ذلك الذي تعهدونه طوت نوبُ الايام عنّي ظلّه
فقلت وعندي من فؤادي بقيّة خذي يا يد الأحزان قلبي كله

فما ينطبع في مرآة فكري ، ولا يرتسم في لوح صدري ، أن يروعَ قلبي ما بقيت صوتُ ناعيه ، بعد أن ملأت مسامعي رنة هذه الواعية ، التي ضرب فيها بازلُ الحزن بجرانه صدر باحة الكرم ، وانقصمت من القاء كلكله عليها فقارةُ ظهر الشرف الأقدم ، ورباعُ السؤدد أضحت فيها ثميلة الدموع محلولة

الوكاء ، بعدما كانت مطلولة الربع بمخيلة السخاء ، وغادر رواق المجد محفلاً للنوح والرثاء ، بعدما كان محلاً للمدح والثناء :

عادت مراثى تهنيات العُلى ... ينصدع القلب بإنشــادها
قد رحل اليوم سرور الورى ... فلتلتمسه يوم ميــعادها
قـد دفنت تحت الثرى عيدها ... وأبقت النحرَ لأكبادها
فلا ازدهاها يوم « نوروزها » ... ولا أتى « الفطرُ » باسعادها

بمن تسرُّ أو تسعدُ ما بقى الدهر ، والذى كانت علياه عليه ، وعينُ رجائها ممدودة اليه ، قد اُدرج والتقوى فى طاهر بردٍ ، ووُسِّد والصلاح فى لحدٍ ، ولقد هممت أن أعقل لسان هذه الثاكلة ، واوارى شخص هذه النائحة المائلة ، لتأخر زمانها ، وعدم مبادرتها كأمثالها من أترابها وأخدانها ، ولقولهم : إن قدمت المرزية ، سمجت التعزية ، فقلت : لا وأدمعك الغزار ، لا يقرُّ لى قرارٌ ، دون ما أنوح عليه بما يكون كالمثل السائر ، فى نعوت فلك مصابه الدائر ، أبتلك المراثى يناح دونى عليه ؟ فتكون كفاءً لعظيم مصابه وإن تقدمتنى اليه ، فإليك عنّى إن الكلم رحيبٌ ، وما المصاب كمن يأمل أن يصيب ، وربَّ نائحةٍ وسواها المستعيرة ، وليست الثكلى كالمستأجرة ، على أن كل يوم ٍيمرُّ من بعده ، ولا يُرى فيه فهو يوم فقده ، وأما وأخلاقه الزاهرة ، وتربة مرقده الطاهرة ، التى لا يزال فيها نسيم الرحمة والرضوان ، يهبُّ أطيب مهبٍّ فيجلب فيه سحائب الغفران ، وإن لم يكن هناك ذنبٌ ولـكن تركت لى عنانى ، وأطلقت فى ميدان القول لسانى ، لأنوحنَّ عليه نياحةً ترجف منها الأرض بأوتادها ، وتمزّق عليها الدنيا أحشاءها بعد أبرادها ، ولأدعنَّ ساعة قيامى بها تشبه قيـام الساعة ، حتى يحطم الدهرُ صدره وأضلاعه ، وتقول للخنساء : أين أنت منها ، ويا بنت الأراك خلفك عنها ، فخلعت عنها عذارها ، وتركت لها مضمارها ، وأوسعت لها فى مجالها ،

فافتتحت فى عتاب الدهر براعة استهلالها : ـ

يا دهرُ ما شئتَ فاصنع هان ما عظما ... هذا الذى للرزايا لم يدع ألما
رزءٌ تلاقت رزايا الدهر فاجتمعت ... فيه فهوّن ما يأتى وما قدما
ما بال امُّ الليالى فيه قد حملت ... فليتها وأبا أيامها عقما
لقد تحكّم فى الدنيا فنال بها ... من النواظر والأحشاء ما احتكما
عجَّت ولا كعجيج الموقرات به ... وهل تلام وهذا ظهرُها انقصما
مضى الذى طبقتها كفُّه نعماً ... فطبقتها الليالى بعده نقما
الآن غودرت الآمال حائمةً ... وأين فى الدهر منها من يبلّ فما؟
وقبّةُ المجد قد مالت ولا عجبٌ ... فإنّ أثبت أركان العُلى انهدما
فلينتظم ماأتماً عمرُ الزمان لمن ... بالصالحات جميعاً عمرُه انتظما
ولتحتلب عينها الدنيا لمن يدُه ... كانت حلوبة جودٍ تقتل الأزما
وكيف تسأمُ من دمعٍ تتابعه ... ومن متابعة النعماء ما سئما
فى الكف مازرعت حسن الرجاء له ... إلا وأمطرها من كفّه كرما
يا آخذاً كلّ قلبٍ فى ملامته ... دع الملام وشاطرنى الدموعَ دما
واقرع بلومك سمعَ الدهر حيث أنى ... برنّةٍ تركته يشتكى الصمما
طويتَ من يستظلُّ المعدمون به ... فليت يا دهرُ قسراً ظلُّك انعدما
هل يعلم الزمنُ الغدّار لا علما ... ماذا به هجم المقدارُ لا هجما؟
فأىُّ رزءٍ بأىّ الناس يكبر فى ... صدر الأنام سوى هذا الذى دهما؟
أفى ذوى الحلم فالثاوى زعيمُهم ... أم فى بنى العلم فالثاوى أبو العلما؟
أم فى الأنام جميعاً فالذى افتقدوا ... هو الذى جمعت أبراده الأمما؟
بل كلُّ ميتٍ له ثلمٌ بحوزته ... لكنّ فى موته الإسلام قد ثلما
قام النعىُ على « دار السلام » له ... فقلت بعدك ليت الكون ما سلما
ما زال بشرُك بالعافين ملتمعاً ... حتى تحوّل فى أحشائهم ضرما

وإن بكتك فلا منٌّ عليك لها ... بماء جودك جارى جفنها انسجما
هذى الدموع بقايا ماء عيشهم ... من فضل ما كنت توليهم عليك همى
إن لم تفض بك عن وجدٍ نفوسهم ... فسوف بعدك من قربٍ تفيض ظما
يا راحلاً ولسانُ الحال ينشده ... وللمقال لسانٌ بالأسى انعجما
واهاً ، أبا المصطفى ، ماذا يقول فمى ... وما البلى منك أبقى للجواب فما
الموت حتمٌ وإن كان المنى لك أن ... تبقى ولو جاوزت أيامُك الهرما
لكن أتقضى بحيث الشمُّ راغمةٌ ... من أزمةٍ لم تدع فى معطس شمما
هلاّ بقيت لها فى هذه السنة الـ ... شهباء تحفظ من أمجادها الحرما
أحين فيها اقشعر العام وانبعثت ... غبراء أمحلت الغيطان والأكما
تمضى وتتركها فى عام مسغبةٍ ... فمن لها والى مَن تشتكى القحما
أوقتُ موتك هذا والورى حشدت ... هذى الخطوب عليها والبلا ارتكما؟
وددت يومك لم يجرِ القضاءُ به ... لو كان للوح أنْ يستوقف القلما
حتى تُفرّج غمّاءَ الجدوب كما ... فرّجت من قبلها أمثالها غمما
ماذا يُراد بأهل الأرض فابتدرت ... دهياءُ يوشك أن تستأصل النسما؟
أشار ربُّك إرسالَ العذاب بها ... لمّا جنوها ذنوباً تهتك العصما
فغيّض الماء من أنهارها وطوى ... بالموت شخصك عنها والحيا انعدما
مشت بنعشك أهلُ الأرض تحمله ... خفٌّ حتى كأنْ لم يحملوا علما
وما دروا رفعته من كرامته ... أهلُ السماء على أكتافها عظما
لم يرفعوا قدماً إلا وقد وضعت ... من قبلهم غرٌّ أملاك السما قدما
كأنّ نعشك محمولٌ به ملكٌ ... وخلفه العالمُ الأعلى قد ازدحما
ساروا بها وسماءُ الدمع ترسلها ... لك النواظرُ مدراراً ولا سأما
وهبَّ حين التقى ماءُ العيون على ... أمرٍ نزا منه قلب الموت(١) واضطرما

(١) في المطبوع : الدهر .

فكنت « نوحاً » وكان الفلك نعشك وال
طوفان فائر دمع أغرق الأمما

إنْ يحملوك على علمٍ فما حملوا ... إلا الركانة والأخطارَ والهمما
أو يدفنوك على علمٍ فما دفنوا ... إلا المحاسنَ والأخلاق والشيما
أو ينفضوا الكفَّ من تربٍ به دفنوا ... ميتاً فتربُك بالأفواه قد لثما
كأنَّ قبرك فوق الأرض نجمٌ سما ... أو أنه فى ثراه حلَّ نجمُ سما
يا نازلاً حيث لا صوتى يلمُّ به ... عليك امُّ المعالى جزّت اللمما
واستوقفت بحشاها الركب فى جدثٍ ... بجود كفك لا بالغيث قد وسما
نادت بشجوٍ خذوا لى فى حقائبكم ... حشاشةً ملئت من وجدها سقما
قفوا بها واعقروها وانضحوا دمها ... على ثرىً أمس قد واروا به الكرما
وقفت بعدك و « الزوراء » أنشدها ... أين الذى كان للاّجين معتصما؟
وأين من يزهر النادى بطلعته ... للزائرين ويجلو عنهم الغمما؟
ومن بنى لقرى الأضياف دار عُلى ... عمادُها الفخر فيه طاولت إرما
ومن تردُّ جميع المشكلات له ... اذا القضية أعيا فصلُها الحكما
وأين للشتوة الغبراء مَن كرماً ... ما قطَّب العام إلا ثغرُه ابتسما؟
وأين مَن كان للعافين يلحفها ... جنـاحَ رحمته ما دهرُه أزما؟
لا فرق ما بين أقصاها إذاً نسباً ... عنه وما بين أدناه له رحما
وأين مَن ليتامى الناس كان أباً ... فى بره قد تساوت كلُّهم قسما؟
فى فقد آبائها لليتم ما عرفت ... لكنها عرفت فى فقده اليُتما
أحببت فى الله كتمان الصنيع ولا ... يزداد إلا ظهوراً كلما كتما
من كان يحلف أن لم يعتلقْ أبداً ... إثمٌ ببردك لم يحنث ولا أثما
ألا وقتك حشا العافين صائبةً ... ولا وقاءً اذا رامى القضاء رمى
وهل توفّيك شكر المنعمين وقد ... طوّقت حياً وميتاً جيدها نعما؟

بالأمس وجهك يستسقى الغمامُ به | واليوم قبرُك تستسقى بـه الديما
وكـنت رىٌ صداها فاستنبت لها | ممن ولدت بحـاراً للنـدى فعما
فأين مثلك تلقى الناسُ ذا كرمٍ | ومنك فى حالة ما فارقوا الـكرما؟
يا غائباً ما جرت فى القلب ذكرتُـه | إلا ترقرق دمعُ العين وانسجما
لا غرو أن يعقد الإسلامُ حوزته | جميعها مأتما يورى الحشا ضرما
فالثاكل الدينُ والمثـكولُ شخصك والـ
ـناعى الهـدى والمعزّى خاتمُ العلما
« محمدٌ حسنٌ » نظم الثناء له | فقلٌ فى سلك تقواه من انتظما
سقت ضريحك من جدواك واكفةٌ | وطفاءُ ترضع درّاً ما الحيا فطما
اعيذ قلبك أن يهفو به حـذرٌ | على المكارم أو يغدو لها وجما
طبٌ فى ثرى الأرض نفساً لا الندئُ خلا
من الوفود ولا عهدُ الندى انصرما
قامت مقامك فيه فتيةٌ ضربتْ | على السماء لها عليـاؤها خيما
وكيف يُظلِمُ ربعٌ من عُلاك به | « أبو الأمين » سراجٌ يكشف الظلما
بقيةٌ من أبيك « المصطفى » رفعت | به علاه وفيه مجـدُه دعما
أحبٌ قربك واستبقـاه خالقُـه | ركـناً تطوف به الآمالُ مستلما
وأنت يا حرم المجد المنيف عُلىً | لا راعك الدهر واسلم للعُلى حرما
إنْ يوحشنْك ما من بدرك انـكتما | فليؤنسنْك من نجميه ما نجما
لولا ابنه « المصطفى » للجود قلت شـكت
من بعد إنسانها عينُ الرجاء عمى
ندبٌ به فتح المعروفُ ثانيـةً | من بعدما بأبيـه أولاً ختما
مَن يلقهِ قال هذا فى شمـائله | « محمدٌ صـالحٌ » أن يقتـدى علما
حلوُ الخلائق فى جيلٍ لهم خلقٌ | لو مازج الـكوثر الخلدىٌ ما طعما

ما شاهدتْ عظماءُ الأرض هيبته إلا وطأطأت الأعناق والقمما
والمشترى الحمدَ والأشرافُ أكسبها لجوهر الحمد أغلاها به قيما
من لو يجود لعافٍ فى نقيبته لم يقرع السنَّ فى آثارها ندما
لو قال قومٌ نرى بالجود مشبهه لقلتُ هاتوا وعدُّوا العرب والعجما
أستغفرُ اللهَ إنْ شبَّهت أنمله بالقطر منسجماً والبحر ملتطما
نعم حكاه أخوه مَن به ظهرت مخائلٌ من أبيه تفضح الديما
« محمدٌ » وكفى أن الزمان لنا عن منظرٍ حسنٍ منه قد ابتسما
اذا بدا سمت الألحاظ ترمقه تخاله بهلال العيد ملتثما
من لفظه العذب إن شئت التقط درراً أو فاقتطف زهراً أو فاقتبس حكما
فاهتف بمن مات من أهل العلاء وقل
لولا الردى لا افتضحتم فاشكروا الرجما
قد أطلع المجدُ فى افق العُلى قمراً يا فرحة الشهب لو تغدو له خدما
أمات نشر مساعيه مساعيكم حتى انطوت مثلكم تحت الثرى رمما
فلو رآه « زهير » فى شبيبته إذاً لفدّاه واختار الفدا (هرما)
من دوحةٍ ما نمت إلا الغصون عُلىً وكل غصنٍ بماء المكرمات نما
كارم لها الغيث واستشهد لها بندى الجواد ثم ارو كيف الغيث قد لؤما
وفاخر البدرَ فى لألاء غرَّته وحكّم الشرف الوضاح والعتما
واصدع بنجم العُلى « الهادى » بطلعته دجى همومك واستكشف به الغمما
ومن « أمين » الندى فاعقد يديك على أوفى البريَّة فى أوفى الندى ذمما
يا اسرة المجد لا زلتم باسرتكم عقداً على نحر هذا الدهر منتظما
صبراً بنى الحلم إنَّ الحلم منزلةٌ حتى لمن منكمُ لم يبلغ الحلما
وحسبكم « مصطفى » العلياء فهو لكم نعم الزعيمُ به شمل العُلى التأما

وقال يرثي زعيم العلماء الأعلام الشيخ مرتضى الأنصاري ويعزي الحاج محمد صالح كبه :-

قطعت لسانك نفثة من أرقم ... أعلمت من تنعاه أم لم تعلم؟
كيف استطعت تدير في فمك اسمه ... ولقد يضيق به فم المتكلم؟
يا ناعياً للخلق روح حياتهم ... املك لساناً لا أبا لك واكظم
رفقاً على موتى نبلت قلوبهم ... فتنبهوا بسهام نعي مؤلم
فجميعهم تحت الثرى في ملحد ... وجميعهم فوق الثرى في مأتم
دعهم فقد غصوا بجرعة ثكلهم ... والى الأئمة في نعاتك يمم
وقل السلام عليكم درس التقى ... وعفت معالمه عفو الأرسم
والدين هد اليوم دين «محمد» ... ووهت دعائمه بفقد المحكم
كان الدليل أئمتموه على الهدى ... علماً يدل على الطريق الأقوم
والآن لما طوحته يد الردى ... غدت الأنام بمجمل مستبهم
حميت عليهم للرشاد مطالع ... لا تستبين اليوم للمتوسم
غشيتهم سوداء أطبق ليلها ... للحشر تلحفهم بليل مظلم
يا خير آباء فقدنا برهم ... فجعت يتاماكم بأرفق قيم
فطموا فمن لهم بدرة فيئكم ... أن يرضعوها بعد أكرم منعم
حسن مقالك ما الأئمة اهملوا ... أبناءكم فيسوء ظن المعدم
بل كان شافهم الإمام «المرتضى» ... ولذاك قيل له على الرحب اقدم
ورأوا «محمد صالحاً» من بعده ... لبنيهم يبقى فقيل له اسلم
دم للصلاح وللهداية والتقى ... ولعيلة العافي وحمل المغرم
قسماً بهديك بل بنسكك بل بمن ... بالفضل خصك وهو جهد المقسم
ما فوق ظهر الأرض فوقك مقتف ... أثر الأئمة في تقى وتكرم
أنت الذي تنميك من سلف العلى ... زهر الوجوه لها المكارم تنتمي

ومعذبٍ بعُلاك قلت وقد سما ... لينالها فانحطّ موطىء منسم
أتعبت نفسكَ ليس تعلو شأوه ... ولو ارتقيتَ الى السماء بسلّم
فاسلم على الأيام ربعك آهلٌ ... وعُلاك سامٍ فوق هام المرزم

وقال يرثي الشيخ مهدي بن الشيخ علي ويعزي العلامـــة السيد مهدي القزويني :-

ملأتْ مكارمُكَ البسيطة أنعما ... فلذلك انعقدت لرزئك مأتما
ولئن غدا فذاً مصابُك في الورى ... فالغيثُ كان له وجودك توأما
بالأمس قد رضعت بنانك درّها ... واليوم تحلبها محـــاجرُها دما
ما غُمّضتْ أجفان عينك عن ردىً ... إلا وجفنُ الدهر غُمّض عن عمى
حلب الحمام «أبا الأمين» بك الجوى ... شطرين صاباً في الزمان وعلقما
فأغصّ في شطرٍ فما من «هاشمٍ» ... وأغصّ في شطرٍ «لجعفرها» فما
قسم الرزيّة في السويّة فيهما ... فغدا كلا العبأين ثقـلاً أعظما
أمـــا وساعتك التي بيلملمٍ ... زالت وما أعني سواك يلملما
ما خلت فقـدك يستقلّ بثقله ... ركنا زمانك ثم لم يتهـدّما
فلقد أطـلّ غداة يومك فادحٌ ... هو منه في الأرضين أعظم في السما
في ناره استوت الأنامُ فما دروا ... ايّ القلوب أحقّ أنْ تتضرّما
يا من أضاء بنوره افقَ الهـدى ... أعلمت بعدك كل افقٍ أظلما ؟
من ردّ طرفك عن فتور مغضياً ... ولـكم لحظتُ به الحواسدَ أرقما
أبكيك للإحسان غاض نميرُه ... قسراً وللآمال بعدك حوّما
ولطالب المعروف ألقى رحله ... وأقام ميتَ العزم لا متلوّما
قطعتْ بك الأيامُ آمالَ الورى ... قطعت ولا وصلت لكفك معصما
ولقد سددت فمَ النعيّ بأنمـل ... رجفت ولم أملكْ بهنّ له فما

فأقرّ في سمعي أمضّ قوارعٍ ... نفذت فكانت في فؤادي أسهما
ينعي جفوناً كان يرخيها التقى ... بأبي جفونك ما أعفّ وأكرما
وأناملاً منها بأعظم كلفةٍ ... عبر الحمامُ اليك بحراً مفعما
رفعوك والبركات عن ظهر الثرى ... وطووك واللمعات عن وجه السما
دفنوك وانقلبوا بأعظم حيرةٍ ... فكأنما دفنوا الكتاب المحكما
لولاك يا «مهديُّ» آل «محمدٍ» ... ظلوا بمجهلها الطريقَ الأقوما
أشرقتَ شمساً في بروج سما الهدى ... فأضأتها وولدت فيها أنجما
لولاك ما وجدت ولولا «جعفرٌ» ... من مذهب للحق يرغم مجرما
أقسمتُ بالشرف الذي هو طبعه ... وعلمت ذلك جهدَ من قد أقسما
لقد احتمت منك الشريعة في فتىً ... لا تستبيح يد النوائب ما حمى
واذا ذوو الفضل استوت أقدامُهم ... وجدوه أحرى القوم أنْ يتقدّما
ومن السكينة والوقار سكوتُه ... واذا تكلّمَ لم تجدْ متكلّما
هو خيرُ من نمت العلاءُ وآله ... من ذروة «الجوزاء» أشرف منتمى
«الجعفريين» الذين بمجدهم ... ركبوا من الشرف السنامَ الأعظما
رفعوا على أُولى الزمان رواقهم ... وتوارثوا فيه العلاءَ الأقدما
بالسيد «المهديّ» ثم «بجعفرٍ» ... وبهم أنار اللهُ ما قد أبهما
يا موصلاً منّي رسالة ذي حشاً ... ظمئت الى ذاك الرواء ولا ظما
بلّغ بلغت الخيرَ خيرَ موسّدٍ ... جدثاً به دفنوا الصراطَ الأقوما
يا بدرُ إن تك قد أفلت فلا تخلْ ... برجَ الهداية منك بعدك أبهما
فلقد ولدت به كواكب لم تلدْ ... مثلاً لها امُّ الكواكب في السما
لو عدتَ للدنيا ومن لزمانها ... بك أن تعود فيغتدي متبسما
لرأيت «صالحها» معيناً للعُلى ... مولىً له الدهرُ اغتدى مستخدما
وتلطّفت وطفاءُ تحلبها الصَبا ... بثرىً حواك فضمّ عضباً مخذما

أفصحتُ عن وجدي اليك بدعوةٍ ... رُبّما ذممت بها الزمان الأعجما
قد كنتَ لي بجميل ذكرك مالكاً ... فلئن بقيتُ لأنسين (متمما)

وقال يرثي الشيخ حسين الطريحي (١) ويعزّي أخاه الشيخ محمد والعلامة السيد مهدي القزويني :-

وأبيك لا حيٌّ يدومُ ... فعلام ترمضك الهمومُ؟
لا تجزعنْ اضاعن ... وانظر هديت مَن المقيم
إنّا بنو الدنيا تطيبُ ... لنا ومربعُها وخيم
نرجو الشفا لسقيمنا ... وصحيحنا فيها سقيم
ونروم أن نبقى بها ... والموتُ غايةُ ما نروم
هذا «الحسينُ» وكان يسـ ... ـتسقى بطلعته الغيوم
سائل به محرابه ... إن شئتَ فهو به عليم
يخبرك كم بسناه أمـ ... ـسى يزهر الليلُ البهيم
متهجداً لله ودّت ... لثمَ مسجده النجوم
هو واحد التقوى الذي ... هي بعد مولده عقيم
رحل الحمام به فتلك ... معالم التقوى رسوم
رُفعتْ برفع سريره الـ ... بركات وافتُقدَ النعيم
حملوه والتقوى تنا ... شده ومدمعُها سجوم
يا ذاهباً لا يُرتجى ... أبد الزمان له قدوم
فاللحدُ هل يدري أأنـ ... ـتَ أم الصلاحُ به مقيم؟
قمرُ السماء به توارى ... أم محيّاك الكريم؟

---

(١) هو الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد الطريحي ، أحد أعلام اسرته الحافلة بالعلماء ، كان عالماً فاضلا اصولياً . توفي عام ١٣٠٢ هـ وقيل عام ١٣٠٣ هـ .

إن يوصِ غيرك مَن بأرث يتيمه ورعاً يقوم؟
فالنسك إرثٌ والوصىُّ تقاك والزهدُ اليتيم
ومقيم مأتمك التقى إن التقى نعمَ المقيم
وبك المعزّى من أتى فى مدحه الذكر الحكيم
القائمُ «المهدىُّ» مَن تُجلى بطلعته الهموم
ورث النبوّة علمها فهو الخبيرُ بها العليم
مولىً بنادى عزّه تتضاءل الصيدُ القروم
نادٍ ملائكةُ السماء على سرادقه تحوم
وبشمّ آناف الملوك ترابُ عتبته شميم
فى صدره «المهدىُّ» تصدر للورى منه العلوم
ملأتْ نتائجه الزمان وغيره الشكل العقيم
فله الزعامة فى الهدى وسواه فى الدعوى أثيم
يا مَن له النسبُ الصريح المحض والحسبُ الكريم
عجباً يروم عُلاك مَن لك فوقه الشرفُ القديم
فوق الرغام وتحت نعلك أنفُ همته رغيم
هبه يرومُ فأين مِن يد مَن على الأرض النجوم؟
مثلان خلقُك والنسيمُ ونداك والغيثُ العميم
ولأنت واسطة العلاء وولدُك العقدُ النظيم
قومٌ بهم أمِنَ المروعُ وفيهم أثرى العديم
كلاً تراه «جعفراً» فى الجود وهو لهم زعيم
أرجُ السيادة فيهم كالمسك ينشره النسيم
رضعوا الإمامة فالجميعُ بنور عصمتها فطيم
فولاؤهم فرضٌ وهدُيهم الصراطُ المستقيم

لبس الزمان بهاءهم فبهم محيّاه وسيم
وبهم لنا الأيامُ يقطر من غضارتها النعيم
تهوى السماء بأنها لصعيد أرضهم أديم
واذا مشوا فوق الثرى حسدت نعالهم النجوم
يا سادة العلما ومَن تزن الجبال لهم حلوم
بكم العزاءُ وحسبنا من كل ماضٍ أن تدوموا
« أحمدٌ » فى ظلهم ستنال أقصى ما تروم
فأبوك إنْ يفقدْ فكلّـ ـهمُ أبٌ برٌّ رحيم
سيقرُّ عيناً فى الثرى إذ فيك جودُهم يقوم
حيّـا الملائكُ قبره من حيث فيه هو المقيم
وسقته من أنواء عفو الله واكفةٌ سجوم

وقال رائياً الحاج محمد رضا كبه وقد مرَّ نعشه على مدينة الحلة وكان السيد صاحب الديوان خارجاً عنها فى احدى الضواحى فعزّى أباه الحاج محمد صالح كبه بهذه المقدمة والقصيدة . قال :

« هلم واستمعْ مقالى ، وتعجَّب بما تصرفت بى الليال ، فما أخالك رأيت مثلى فقيداً شطَّ به المزار ، فلم يعلم بنفسه ساعة خرجت من الدنيا الى دار القرار ، ولا أظنك سمعت قبلى بأحدٍ مات فى زمنه ، وقد أبعده الدهر عن قطنه ، فلم يحضر تشييع نعشه عندما مرَّ عاجلاً ، ولم يشهد حلول رمسه مذ اودع فى دار البلى :

كفانى بهذا جوىً ما بقيت يجدّد فى القلب جرحاً رغيبا

نعم وكلما أردت النياحة فى هذه المصيبة ، ألجمتنى دهشةً ما يتجدد فى قلبى من استعظام هذه النازلة الغريبة ، فأعود على الحبسة نفسى ، وأتمنى لو أننى

قبل صدورها عليّ حبست برمسي ، حتى قالت لى النفس ، سبق الىّ أوداجك السيف هذا العذل ، وما عسى أن أقول : ولمن اعزّى وأنا الثكول ، وعلى من أنوح وأنا الفقيد ، ولمن فى اللحد انادى وأنا الملحود :

ما أخطأتك النائبات   إذا أصابت من تحب

بلى وتربة وارت بالأمس من هو أعزّ عليّ منّى ، وحفرةٍ غمّضت أجفانها على ضياء عينى ، لا سمحت لك قريحة لبّى ، أو تنوح عليّ بلسان حالى لحسبي نياحة قلبي ، فأجبتها الى مقالها ، وقلت وعينى تجود بانهمالها » :

إطويانى ملامــة وانشرانى   بلغ الوجدُ حيث لا تبلغانى
قـد عنانى جوىً يطول وفيه   يقصر اللومُ عن مردّ عنانى
كيف عينى لم تغدُ بيضاء حزناً   وهى قد أصبحت بلا إنسان؟
إنّ صوت النعيّ مذ خاض سمعى   خلته فى حشـاى غربَ سنان
وعضضت البنانَ غيظاً ولـكن   لا يفيد المـكلوم عضُّ البنان
فاعذرانى اذا ربطتُ فؤادى   بيدى وانطويتُ ممّـا دهانى
إنّ قلبي من دهشتى طار رعباً   فغدا وهو دائم الخفقان
كفكفا عن حشاى غرب ملامى   من جراح الجوى بها ما كفانى
أين منّى صبرى لأرضى فأسلو   صبرى اليوم والرضا ميّتـان
أنا يا لائمىّ أدرى بطبّى   فاعذلانى ما عشتُ أو فاعذرانى
سليـّانى بردّ روحى وإلا   فبماذا عنـه إذاً سلوانى
قرّباه فوق الثرى اليوم منّى   أو فمنه تحت الثرى قرّبانى
واقـبراه إذاً بقلبي وإلا   فخـذاه بقـبره واقبرانى
والى جنب مهجتى وسّداه   أو الى جنب جسمه وسّدانى
فخيـالى وموته رزآن   لم اقدّرْ عليّ يجتمعان
بل تخيلتُ أن يعيش وأفنى   أو سواءً تضمّنا حفرتان

لم افارقه أجنبياً ولكن هو روحي وفارقت جثماني
قد نشرنا ما بيننا الودّ دهراً فطواه الردى وليت طواني
غمّضا ناظري ما عشتُ غيظاً فعلى مَن بعد «الرضا» تفتحان
وزفيري ثقّف حنايا ضلوعي فعلى ودّ مَن تبين حواني(١)
وخطوب الزمان دونك شخصي فلك اليوم قد كشفتُ عياني
نزعت عنّي الحوادث درعي فبمن أتّقي شبا الحدثان
فلكم قد لويت دهري وهذا دهري اليوم كيف شاء لواني
لك أسمحتُ يا خطوب الزمان ذهبت نخوتي فهاك عناني
قد أبانت حشاي فاستهدفيها نكبة طوّحت ضحىً بأبان
راصدتني من حيث لست أراها أعين النائبات وهي تراني
فرمتني من حيث لا أتّقيها بسهام الهموم والأحزان
فأنا اليوم يا نوائبُ كلّي مقتلٌ بارزٌ لمن قد رماني
كنت قدماً أذودُ نبلك عنّي ببناني فأين منّي بناني؟
قد نعاه الناعي إليّ أيدري لا درى أنّه إليّ نعاني؟
فحسبت الفؤاد منّيَ أضحى بين نابي ذي سورةٍ افعوان
لهف نفسي على صريع حمامٍ ليس لي عنه بالدفاع يدان
ودّت المكرمات لو أنّ منها غسلته بدمعها العينان
ومسجّىً بنعشه في حبيرٍ هو والجودُ فيه ملتحفان
حملوه وخلفه كلُّ عافٍ بدماه عيناه فائرتان
قائلاً: أيكة الرجاء اظمأى اليو م وعودي مصفرّة العيدان
مصرٌ منك الصعيدُ ماء سماحٍ كنت فيه ريانة الأغصان
عجباً خفّ نعشه وهو قد سار ر بثقل المعروف والإحسان

(١) حواني جمع : حاني . وفي المخطوط : يبين .

بل أراه ما خفّ إذ سار لـكن ... حملتـــه ملائكُ الرحمان
شيّعته الأنــامُ بالأحزان ... والتقته بالبشر حورُ الجنان
هل كذا جلّ نعشُ ميتٍ سواه ... اختلطا عنـد نعشه العالمان
وعليه قد ودّت الأرضُ يبقى ... ويرى (كلّ مَن عليها فان)
فاحملانى الى ثراه احملانى ... وقفا بى عليـه وقفة عان
ودعانى خلف الصعيد انـاديه ... نـــداء المروّع اللهفان
يا فقيـداً فقـدتُ منه غماماً ... كلما قلت قـد ظمئت سقانى
ودفيناً دفنتُ منـه حساماً ... كنت أعددته لحرب الزمان
أغمدته فى الترب كفّى فشلّت ... فات نصرى وابتُ بالخذلان
شغلت منطقى عليـه المراثى ... وخلا من هوى سواه جنانى
يا ترانى اثنى على مَن بمدحٍ ... وهوى من احبّـه يا ترانى
مات محيي الثنا ولولا أبوه ... قلت فى لحده دفنت لسانى
ذاك منه صفاته الغرّ جاءت ... فى مزايا علاه طبق المعانى
صالح الفعل راجحُ الفضل غوث الـ ... ـمستغيثين غيثُ أهل الأمانى
ورعٌ ناسكٌ تفرّغ لله ... بقلبٍ من خوفه ملآن
جامعٌ قسوة الحميّـة للدين ... انتصاراً ورقّـة الإيمان
وبعزّ الملوك يصبح مرهو ... باً ويمسى بذلّـة الرهبان
صدق المدحُ فى علاه فقل ما ... شئت فى مجـده العظيم الشان
هو فى الخير من قديم الليـالى ... خيرُ مَن قد مشت به قدمان
أثقلت كاهل الزمان أياديه ... فأمسى عيـــاله الثقلان
وعلى الأرض كلها من نداه ... أثرٌ طيبٌ بكل مكان
قد بنى للقِرى على (الـكرخ) بيتاً ... والتقى اسُّ ذلك البنيـان
شارعَ الباب تلتقى طرقُ الأر ... ض جميعاً لديه بالضيفان

رافعاً تحت ظلمة الليل للسا ... رين فيه ذوائبَ النيران
كرماً قد أعدَّ للضيف فيه ... عدد الطارقين غرَّ الجفان
مكرماتٌ ترى رضيع سماحٍ ... عندها الدهرَ لا رضيع لبان
شكرُها أعجز الأنام فأنّى ... قابلتها الأيامُ بالكفران؟
قلتُ للبحر هل تساويه يوماً ... قال كلا : لا يستوى البحران
وسألتُ الحيا أتحكيه جوداً ... قال : أين الباكى من الجذلان؟
ليس يحكيه فى سماحة كفٍ ... غيرُ من قد حكاه عزّة شان
ذاك «عبد الكريم» من قد تسامى ... شرفاً حطَّ دونه النّيران
فهما فرقدا علاءٍ ومجدٍ ... وهما ديمتا ندىً وامتنان
كلما عنّ مفخرٌ يوم سبقٍ ... فيه تلقاهما شريكى عنان
ولدا فتيةً همُ شهبُ الفخر ... وإلا جداولُ الإحسان
متساوين فى المكارم قد فا ... قوا بفضل النهى على الفتيان
ينشر الحىُّ من طوى الموت منهم ... ويعيد الباقى حياة الفانى
ما فقدت «الرضا» وذلك باقٍ ... «مصطفى» الجود يا ركاب الأمانى
فرديه خفائفاً تصدرى منه ... ثقال الخطى على الركبان
هو صبحُ الأيام سعد الليالى ... بهجة الدهر نور عين الزمان
تتلقاه من شذا حسبيه ... عطرَ الجيب طيّب الأردان
ومن البشر فى محيّاه بدرٌ ... وبكفيه للندى «جعفران»
والأغرُّ «الهادى» اذا حار وفدٌ ... فسناه دلالة الحيران
هو طلقُ العنان فى الجود طلق الـ ... وجه طلق اليدين طلق اللسان
ومزاياه فى سما المجد شهبٌ ... وهو فيها وصنوه القمران
و «أمين» التقى وهل ضمّ مثلاً ... لأمينٍ فى عصرنا المشرقان؟
طاهر النفس طاهر الجيب والأ ... براد عفٌّ فى السر والإعلان

أبداً فى تقاه لم تتغبر ... بغبار الآثام منه اليدان
وهو فى صدق لهجة «كأبى ذر» ... وتقوى تحكى تقى «سلمان»
والمرجى «محمد حسن» الطلـ ... ـعة ينضو اللثام عن كيوان
مخبرات مخايل الفضل فيه ... أن سيسموا فخراً على الأقران
يا «أبا المصطفى» وحلمك أرسى ... فى لقاء الخطوب من ثهلان
لك نفس قدسية الذات فيها ... حزت أعلى مراتب العرفان
وصف الله أن قلبك للتقـ ... ـوى مشيراً بآية الإمتحان
وأرى الصابرين فى عصرنا أنت ... عناك الإله فى القرآن
حيث لو قيل عدوهم عددنا ... ك ونعيا عن أن نجىء بثانى
هو جمع أريد بالذكر منه ... واحد وهو أنت عند البيان
فرغ القلب من جوى الثكل يامن ... هو فى الفضل ملء عين الزمان

وقال راثيا بعض الأكابر :

كذا تفقد العين إنسانها ... فتدمى المدامع أجفانها
كذا يقرع الخطب صم الجبال ... الى أن يزلزل ثهلانها
كذا للمراقب كف الزمان ... تمد فتأسر عقبانها
كذا تغمد البيض تحت الصعيد ... فتغدو الضرايح أجفانها
كذا وأبيك عوالى الرماح ... تدق يد الدهر مرانها

وقال راثيا ولده سليمان وأخاه محمداً :

لقيت من الوجد واللائمينا ... ضنى شف جسمى وأقذى العيونا
فلم أدر ماذا بقلبى أمض ... وجدى أم عذل العاذلينا؟
ألا أئمتى بعض هذا الملام ... فالامر ليس كما تزعمينا
ذرينى أدمى غروب الجفون ... واستشعر الحزن حينا فحينا
لقد جذم الدهر يسرى يدى ... فبانت وألحق فيها اليمينا

أصبراً وإنسانُ عينى يُسلُّ — بظفر الردى ساء ما تأمرينا
كفى حزناً أنَّ جسمى أقام — وقلبي استقلَّ مع الظاعنينا
أعينىَّ شأنكما والدموع — فما يترك الدهرُ دمعاً مصونا
له الذمُّ بالأمس قد بزَّنى — وشيمته الغدرُ علقاً ثمينا
فغادر حجرى منه خميصاً — وبطن الثرى منه أمسى بطينا
وغصنٌ نما فى تراب العُلى — وأينع فى روضة المجد حينا
ذوى بعدما أن زها برهةً — وراق النواظر حسناً ولينا
وكنتُ متى عنَّ لى ذكرُه — أطلتُ عليه البكا والحنينا
مضى ما نسيناه لكنْ ثنى — بآخر يذكرنا ما نسينا
أهلتُ عليه ترابَ القبور — وعدتُ اكابدُ داءً دفينا
على أننى لم أزل منذ سبعٍ — أعدُّ الشهور له والسنينا
توسَّمت منه سمات الكمال — وقلتُ يكون لبيباً فطينا
فلما مخائله بشَّرتْ — بتحقيق ما أرتجى أن يكونا
وقامت على ما تفرست فيه — شواهد حققن فيه الظنونا
رمته(١) المنونُ بسهم الحمام — من حيث لا أتوقى المنونا
فأصبحت أسمح للترب فيه — وكنت على اللحظ فيه ضنينا
بمن أتعلل فى النائبات — اذا غادرتنى كئيباً حزينا
ومن مؤنسى حيث ليل الخطوب — يمرُّ علىَّ المزيع الدجينا
فقل لليالى بلغتِ المنى — وأدركت منّى ما تأمليـنا
لقد كنت بالأمس ذا مقلتين — أرى بهما ما يقرُّ العيونا
فقأت بسهمك يسراهما — وسرعان ما قد فقأت اليمينا
قعدتُ بعمياء مستصحباً — تريني أيامى البيض جونا
ولا تحسبينى لمّا شكوتُ — صنيعك لى عاجزاً مستكينا

(١) في المخطوط والمطبوع : رماه

وقال راثيا شاباً فى ريعان الصبا بالتماس بعض الأشراف :

أما والهوى العذرى ما بتُّ ساليا ... حبيباً بعينى الكرى كان ثانيا
سلوتُ إذاً والله حتى حشاشتى ... على عزّها إن كنت أمسيت ساليا
وريّان من ماء الصبا غصنُ قدّه ... برغمى يمسى فى ثرى اللحد ذاويا
فجعتُ به حلو الشمائل بعدما ... ولعتُ به غضّ الشبيبة ناشيا
تطلّعُ نفسى من ثنايا اشتياقها ... الى طلعةٍ منه تنير الدياجيا
وأطلب فى الأحياء رؤية شخصه ... على ولهٍ منّى وأنسى افتقاديا
فكم لى على الذكرى اليه التفاتةٌ ... كأنْ لم يكن بالأمس وسّد ثاويا
ولائمةٍ لامت ولم تدرِ ما الجوى ... ولا كيف يرعى المستهام الدراريا
تلوم ولا سمعى لها فيجيبها ... الى سلوةٍ قلبى ولا قلبها ليا
ولو وجدتْ للبين ما قد وجدته ... غدا آمرى بالحزن من كان ناهيا
اميمةُ هل أدميت إلا بنانيا ... وهل غيرُ دمعى بلّ فضل ردائيا
أقلّى فلم أنضح جواى بأدمعٍ ... اكفكفها عن مقلتيك جواريا
ولا قلّبت كفُّ الأسى لك مهجةً ... حشاى على جمرٍ توقّد ذاكيا
عذلت وعندى يعلم اللهُ لوعة ... اكابد منها ما يدكُّ الرواسيا
غلبتَ وأحداثُ الزمان غوالبٌ ... وفى أىّ دار ما أقمن النواعيا
وكيف انتصارى يوم طارقة النوى ... وعند الليالى يا ابنة القوم ثاريا؟
جدت ظعن الأحباب عنّى وغادرت ... مع السقم تعتاد الهمومُ وساديا
وفى الجيرة النائين لو تعلمينها ... علاقةُ حبٍ همت فيها لياليا
فلو جمعتنا الدار من بعد هذه ... إذاً لأطلنا يا اميمُ التشاكيا
بمن أتداوى من جوى الهمّ لا بمن ... وهل دفن الأقوام إلا دوائيا؟
وغادين قد أتبعتهم يوم ظعنهم ... جفوناً يعلّمن البكاء الغواديا
وقفتُ لهم فى مدرج البين وقفةً ... تكسّر أنّى ملتُ منّى عظاميا

وقفتُ ونفسى رغبة فى لقائهم   تمنّى على كذب الرجاء الأمانيا
ومَن ذهبت أيدى المنايا بشخصه   فهيهات فيه يرجع الدهرُ ثانيا
أحبایَ حال الموتُ بینی وبینکم   فما حيلتى فيكم عدمت احتياليا؟
قفوا لا أقام البينُ صدر مطيّكم   لمستعطفٍ بالدمع يخشى التنائيا
قفوا خبّرونى عنكم هل أراكم   ولو شبحاً ما بين عينىَّ ساريا؟
وتلك الليالى السالفات على منىً   تطيب وتحلو هل تعود كما هيا؟
ليالى انسٍ بالوصال لبستها   رقاق الحواشى نيّراتٍ زواهيا
دعوا الى قلبي أو خذوه مع الجوى   فها هو خلف الركب أصبح ساريا
أحبایَ لا والله ما عشتُ سلوةً   ولا بكم استبدلت خلاً مصافيا
ولمّا سرى الناعى بكم فاستفزنى   ونادى منادى البين أن لا تدانيا
ربطت الحشا بالراحتين ولم أخلْ   تطيح شظايا مهجتى ببنانيا
وعندى مما ثقّف البينَ أضلعٌ   غدون على جمر الفراق حوانيا
وعينٌ بلا غمضٍ كأن جفونها   حلفن بمن تهواه أن لا تلاقيا
وقلبٌ متى يا برق يقدحك الأسى   قدحت به زنداً من الشوق واريا
ولى فى زوايا ذلك النعش مهجةٌ   ترفُّ رفيف الطير يفحص داميا
قضى الله أن لا أبرح الدهر أشتكى   لواعج يدمين الحشا والمآقيا
فيا عين سيلى بالدموع صبابةً   ويا نفسُ منّى قد بلغت التراقيا

التاریخیات

قال رحمه الله مؤرخا عام ولادة الحاج محمد صالح كبه[1] فى سنة ١٢٠١ ﻫ :

أتى اليوم حاتمُ أهل النهى … على أنّه للنـــدى فاتحُ
أغرُّ غدا السعدُ لمّـا استهلَّ … وهو لغرّتـــه ماسح
وهنّـا به المجـدُ وفّـاده … وبشّرها الشرف الواضح
وقالوا جميعاً وقد أرخوا : … (نرى وُلِدَ الخلفُ الصالحُ)

وقال مؤرخا عام وفاة الحاج محمد صالح كبه فى سنة ١٢٨٧ ﻫ :

إن يطوِ مصباحَ المكارم ضارح[2] … فلقـد أضاءت فى علاه مصابحُ
لُطفٌ حيث حلَّ فثمَّ جودٌ باهرٌ … وعُلىً مؤثلةٌ ، ومجد[3] راجح
ملكٌ له الشرف الرفيع مشيّعُ … وعليه حتى المكرمات نوائح
شكت البريَّة داءه[4] لمّـا شكا … فقضى وُالخد والقلوب ضرائح
مَن جاره « هودٌ » دعاه فأرّخوا : … (اسعد جوارك ذا محمدُ صالح)

وقال وقد سأله محمد باشابابان أن يصنع هذا التأريخ وهو فى سنة ١٢٩٠ ﻫ :

ذا محمد رشيدُ باشا بيـــانى … شاد للحكم دار عزٍ ومجد
تزدهى فى مقاصرلو « لكسرى » … مُثلت قال : هذه فوق جهدى
إنما « آصفٌ » أتانا بصرحٍ … مَن أتاه بجدّه جنة خلد
قد دعا الملكُ مطرباً أرخوه : … (شاد بدر البهـاء دارة سعد)

وقال مؤرخا عام ولادة الحاج مهدى كبه فى سنة ١٢١٩ ﻫ :

وليلةٍ قد وَلَدَت بصبحها[5] … شمس عُلىً تشعُّ فى سعودها

---

(١) طلب الحاج محمد صالح من الشاعر أن يؤرخ ولادته وان لم يكن قد أدركها .
(٢) الضارح : الذي يحفر الضريح الميت .
(٣) وفي نسخة : حلم
(٤) وفي نسخة : شكت العفاة لدائه .
(٥) في المطبوع : لصبحها .

سُرّت بها أهل المعالي ولها أهدت « بمهدىٍّ » سرور عيدها
قد طرب الدهرُ غداة أرّخوا : (فلتزدهى الليلة فى مولودها)

وقال مؤرخا عام ولادة الحاج مصطفى كبه فى سنة ١٢٥٥ هـ :

لقد ولدَتْ امُّ المفاخر ماجداً تضوّع من أعطافه طيبُ محتده
تربّى بحجر المجد واسترضع النهى وشبّ يُفدّى وهو ناشٍ بحسّده
وأضحى عليه الفخرُ يعقد تاجه ويلقى مقاليد المعالى الى يده
فيا مولداً فيه بنعمة يُمنـــه لنا السعدُ غنّى لا بنغمة (معبده)
به خمدت نار العدا حين أرخوا : (أتى المصطفى يا عزّ آية مولده)

وقال مؤرخا عام وفاة الحاج مهدى كبه فى ١٢٧١ هـ :

ألا بكّرَ الناعى بثاوٍ ثواه(١) توسّد والمعروف تحت ثرى اللحد
وعاش الهدى فيه ومات بموته فأرّخ (معاً غاب الهدى هو والمهدى)

وقال مؤرخا ومهنئاً الحاج محمد صالح كبه بقدوم ولديه الحاج مصطفى والحاج محمد رضا من الحج وكلُّ شطر منها تأريخ وذلك فى سنة ١٢٧٧ هـ :

عُجْ لنادى التقى وحيِّ البشيرا إنَّ فيه الزوراء تزهو سرورا
قد حباها يا سعد بشراكَ سعداً(٢) كلُّ قطرٍ لنوره شعَّ نورا
إذ بإقبال أزهريها من الكعـ ـبة قد جاءها يبثُّ الحبورا
برضاها النقىّ وابن أبيـــه مصطفاها يدعو وردتُ سفيرا
وجهُ بغداد حين أما لإنسا ن الحجى فيهما وصلتُ بشيرا
فغدا حين صبّحاه بهيّاً بل حديث الهنا حلا منشورا

---

(١) في المطبوع : بناؤه ، وفي نسخة : بنا نه .

(٢) هذا الشطر يكون بمجموعه الابجدي (١٢٩٢) وقد اتفقت النسختان عليه وأظن الصحيح (بشراه) بدلا من (بشراك) ليتم التأريخ .

أنتَ قطبُ التقى عليك لدأباً ... فلكُ العزّ قد يُرى مستديرا
بل جوادُ العليا وربُّ فخارٍ ... طيبه ضاع بالندىّ عبيرا
وقرينُ السخاء مَن جاد طفلاً ... بنداه وساد شيخاً كبيرا
عش بطرفٍ مازال زهواً قريراً ... يا أبا المصطفى فتحوى الحبورا (١)
كل عامٍ كذا لدارك طلقاً ... يُوفد السعدُ بالتهاني بشيرا
بل ومغناك طيباً كلَّ يوم ... تجتليه به سنيّاً منيرا
وكذا فليرق نديُّك مُبدٍ ... من بهاءٍ ما يخجل البدر نورا
بل كذا اعقد رواق جدّك حاوٍ ... كلَّ وقتٍ جلالة محبورا
هاك القيتَ معجزاً فانتحى يلـ ... قفُ عفواً ما زبرجوا تسطيرا
حيّ منه مؤرخا عام ردّا ... كلّ شطرٍ أبدى فعدّ الشطورا

وقال مؤرخا عام ولادة الحاج محمد رضا كبه فى سنة ١٢٤٦ هـ :

قل لامّ العُلى : ولدتِ كريماً ... شاد عليا أبيه فوق السماكِ
سخط الحاسدون مذ قيل أرخ : ... (ولد المجد يا وفود رضاك)

وقال مؤرخا عام ولادة محمد صالح كبه ومهنياً والده الحاج محمد حسن وذاك فى سنة ١٢٩٦ هـ :

بشرى بمولودٍ به ابتهج الزمنْ ... وغدت تمنّى المكرمات به «الحسن»
ولدته امُّ المجد أبلج طاهراً ... فى الأرض ترضعه المعارف لا اللبنْ
فيه مخائلُ من أبيه وجدّه ... يُخبرن أن سيطول عالية القنن
وسيغتدى للحمد أشرف كاسبٍ ... وعلى كنوز المجد أكرم مؤتمن
غصنٌ نمته دوحة الكرم التى ... منها العفاةُ كم اجتنت ثمرَ المنن

---

(١) الظاهر ان لفظة « الحبورا » وقعت هاهنا سهواً وان اتفقت النسختان عليها ، ذلك لأن مجموع الشطر يكون (١٠٢٧) أما لو وضعنا مكانها « السرورا » لتم الحساب .

تتفيأ الأشرافُ باردَ ظلها ... لتقيهمُ من حرّ هاجرة المحن
وكفاك بالحسن المهذّب شاهداً ... لقديمه بحديث مفخرة الحسن
هذا الذى ملأ الزمان عوارفاً ... بالبعض منها عاش كلُّ بنى الزمن
إن لم نوجّه مدحنا وثناءنا ... لمحمد الحسن الفعال ، فقل : لمن
هو عقدُ فضلٍ زان عاطل عصره ... لو لم يهبه اللهُ عزّ على الثمن
يفديه مَن تلقاه يرحض[1] ثوبه ... يبغى نظافته وفى العرض الدرَن[2]
إن لذّ لى فيه الثناءُ فإنّه ... لألذُّ فى عين المحب من الوسن
ندعوه يا ملكاً بكاعبة العُلى ... هو لا بكاعبة النهود قد افتتن
يُهنيك مولودٌ سررت به العُلى ... مَن سعدُ مولده بسعدكما اقترن
طربت وقد غنّى البشير مؤرخا : ... (ولدَتْ محمد صالحاً تقوى حسن)

وقال يهنّى الحاج محمد صالح كبه ويذكر السنة التى حال فيها ولداه عن الحج وهى سنة ١٢٧٦ هـ وكل شطر منها تاريخ :-

بشرى بروج الجود بشراها ... ضاء بافق المجد بدراها
وقد تجلّت فى سماء العُلى ... ، فاهنأ بذا السعد ، سراجاها
شعّ نهارُ السعد حين ابتدا ... يضىءُ فى الزورا فجلاّها
واكتست الدنيا لأنواره ... أشعةً تجلو محيّاها[3]
ثم دياجى النحس زالت فما ... أسعدها وابيضّ قطراها
بل أنست اليوم حديث الصبا ... نسمةُ بشرٍ هبّ ريّاها
فيا علمتنّ بنات الفلا ... مَن أمس أنضاك بأرجاها
وأىُّ وجهٍ لأغرٍ هو ابـ ... نُ الشمس مهما يزهُ خفّاها
فوقك مبدٍ خلف حُجب السرى ... زاهى سناً طرقكِ ضوءاها
إذ كم فرى بطنَ فلاً ملؤها ... آلٌ وإعناقاً تخطّاها

---

(١) يرحض : يغسل . (٢) الدرن : الوسخ . (٣) هذا الشطر ينقص واحداً .

المجدُ حتى احتلّ امُّ القُرى | قد حاز ما حاز بمغناها
فى شِقّ نفس وقت ميلاده | تقاهُ والطيب دثاراها
رضى النهى أنجب حىُّ النهى | أشمخها قدراً وأحباها
و «مصطفى» أعظم به أطيبا | مثل أخيه عاد أبهاها
ذا هو طرفُ العزّ إنسانه | وذاك راحُ البرّ يمناها
أنى ارتقاب الحج عاما به | مكنهما تلقى مصلاّها (١)
فأرخنّه فرحاً معجباً (٢) | فى أشطرٍ أحمدتَ رؤياها
هاك التقى البشرَ لها مطلعا | ناشِ هناهُ وقت انشاها
ألا اجلوها مزهراً وافتتحْ | بشرى بروج الجود بشراها

وقال مؤرخا عام وفاة الحاج محمد رضا كبه :

وقف المجد ناعياً عند قبرٍ | وارث المكرمات فيه حشاها
ودعا أنت جنة قلت : أرّخ | (طاب مأوى نعيمها لرضاها)

وقال مؤرخا السنة التى تشارك بها فى التجارة الحاج عبد الغنى كبه ومصطفى الباجه جى وهى سنة ١٢٩٥ هـ :

للمصطفى والحسن الفعل معاً | مرآةُ رأيٍ حسنٌ مرئيُّها
كم قد أعدّا للتجار رابحٌ | خاناً وهذا بالغنا مليُّها
باليمن فيها عقدا شراكة | لفتيةٍ مجموعها حظيُّها
كواكبٌ كلٌّ يروق المشترى | فلا تسلنى أيها دُريُّها
بعينه الرحمن قد رعاهمُ | لله عينٌ آمنٌ مرعيُّها
أهلّةٌ بورك باجتماعها | ببرج سعدٍ زانه وضيُّها
شراكةٌ جاء حميدُ فألها | للربح أرخ «مصطفى غنيُّها»

---

(١) و (٢) هذان الشطران لا ينسجمان مع البقية لزيادة في العدد .

التّقاريض

قال ـ رحمه الله ـ مقرظا تخميس همزية البوصيرى [١] فى مدح الرسول الأعظم محمد (ص) للشاعر عبد الباقى العمرى الفاروقى :

نسيت فى عرفانك الحكماءُ فقبيح [٢] أن تذكر الشعراءُ
أىُّ فضلٍ لهم يبينُ وهل للبد ر نورٌ اذا استنارت ذكاء
جئتَ فى النظم مبصر الفكر والدنـ ـيا جميعاً بصيرةٌ عمياء
فأزلت العمى بآياتِ فضلٍ أذعنت طاعةً لها البلغاء
نشرت طىءَ الفصاحة لكنْ طُويت فى انتشارها الفصحاء
حِكمٌ حلوة الينابيع عفواً سلسلتها رويّـةٌ سمحاء
يرشف السمعُ لفظها العذب راحا لجميع العقول منه انتشاء
لو تلاها مردّداً لفظها المرءُ لما احتجن روحه الأعضاء
وكفى شاهداً بفضلك ما تر ويه عنك (الهمزية) الغراء
بنتُ فكرٍ مجلوّة فى قوافٍ لم تلد قطُّ مثلها الآراء
ألِفاتٌ مثل الغصون تلتها [٣] لكَ من كل همزةٍ ورقاء [٤]
لبست من جمان نظمك عقداً ما تحلّت بمثله عذراء
أين « يا ابن الفاروق » منك الذى ابدع فى نظمها ولا إطراء [٥]
لو رأى ما أودعت فيها لأضحى هو والنظمُ « واصلٌ » والراء [٦]

(١) البوصيري : هو محمد بن سعيد بن حمادة ، من مشاهير شعراء عصره ولد بدلاص ، ونشأ ببوصير ، وأشهر قصائده البردة في مدح الرسول الاعظم (ص) وقد عارضها الشعراء كما شطرها وخمسها فريق كبير منهم ، أشغل مناصب في القاهرة ، وطبع ديوانه . توفي بالاسكندرية عام ٦٩٥ هـ .

(٢) في المطبوع : لحقير .

(٣) وفي ديوان الفاروقي : عليها .

(٤) الورقاء : الحمامة . وفي البيت تشبيه جميل للهمزة فوق الألف كالورقاء فوق الغصن .

(٥) في ديوان الفاروقي جاء البيت هكذا :

أين يا ابن الفاروق عنك البوصيـ ـري في نظمها ولا اطراء

(٦) يريد به واصل بن عطاء ، وكان يلثغ بالراء .

زبرة (١) قد أشعت في المتن منها جوهراً في فرنده (٢) يستضاء
فهي فيه عادت كمثل عصا مو سى وتخميسك اليدُ البيضاء (٣)

وقال مقرظاً (الباقيات الصالحات) للشاعر المعروف عبد الباقي العمري (٤) :

أربُّ القوافي قد غدا لك مذعناً بها محرزُ الفضل اكتساباً ووارثُه
لو «المتنبي» شاهد الحِكَمَ التي نطقتَ بها ما شكَّ أنك باعثه
هي «الباقيات الصالحات» أطايب الـ قريض، ولكن ما سواها خبائثه
فحسبُك منها معجزاً بمديح مَن معاجزُ كل الأنبياء موارثه
غدت كعصا موسى ولكنما بها قد التقفا سحر القريض ونافثه
كفى انها في امّة الشعر قبلةٌ اليها قديمُ النظم صلّى وحادثه

وقال مقرظاً كتاب (الروض الخميل في مدح آل جميل) (٥) :

هذا كتابٌ أم حديقة روضةٍ تتنزّه الأحداقُ في أورادها

(١) الحديدة الضخمة الواسعة .
(٢) في ديوان الفاروقي : افرنده ، وفي المطبوع : فريده وهو غلط .
(٣) في مخطوطة الملا : فهي عادت من نوره كعصا موسى .
(٤) لم تثبت هذه القطعة في الديوان المطبوع ، ولكنها مثبتة في العقد المفصل ج ١ ص ٢٤٢ تأليف صاحب الديوان .
(٥) آل جميل : اسرة جليلة معروفة في العراق ، نبغ منهم فريق من الشعراء والعلماء والاعيان ، وجدهم : محمد جميل بن عبد الجليل ، وأولاده عبد الغني واخوته ، هاجر من الشام الى بغداد ، وأشهر من نبغ منهم عبد الغني فقد حاز على جلالة ورفعة ومكانة سامية بين أعلام العراق وحكامه . وقد ألف السيد عبد الله بن أبي الثناء الألوسي هذا الكتاب « الروض الخميل في مدائح آل جميل » توجد منه نسخة عند المؤرخ عباس العزاوي ، وقد نشر العزاوي مجموعة عبد الغفار الأخرس في عبد الغني جميل .

وتودُّ لو شرت (١) العيون بياضه — وسوادَه ببياضها وسوادها
نظمت به غرر الكلام مصاقعٌ (٢) — روحُ الفصاحة قام فى أجسادها
غرراً بدت كالشهب (٣) إلا أنها — بزغت بليلٍ من سواد مدادها
لو شنَّف الشادىَ الحمام بها إذن — خلعت له الأطواق من أجيادها (٤)
يهوى فؤادُ المرء يغدو مسمعاً — ليحوز حظَّ السمع من إنشادها
لفظٌ أرقُّ من الصبا وفخامة — معناه تحسب قُدَّ من أطوادها
دع ما يزخرفه الربيعُ وإن زهت — أزهاره بين الربى ووهادها
وتصفح « الروضَ الجميل » فرغبةً — لتراه تنسى العينُ طيب رقادها
تحظى بكل طريفةٍ من حسنها — غدت العقولُ العشر من روّادها
ويعدُّ من « آل الجميل » مناقباً — تهوى النجومُ تكون من أعدادها

وقال مقرظا شعر العلامة الميرزا أبي الفضل (٥) أحد تلامذة الحجة السيد ميرزا حسن الشيرازى :

يا أبا الفضل كلما قلتَ شعرا — فيه أودعتَ من بيانك سحرا
واذا ما بعثتَ غائص فكرٍ — فى بحور القريض أبرزتَ درّا
كم تعاطيتَ غايةً جئتَ فيها — سابق الحلبتين نظماً ونثرا

---

(١) شرت : باعت ، واشترت : ابتاعت ، وهو من الاضداد المعروفة في اللغة .

(٢) المصاقع : واحده مصقع ، وهو الخطيب البليغ القول والجهوري الصوت ، أو الذي لا يرتج عليه في الكلام .

(٣) وفي المخطوط : كالشمس .

(٤) شنف الجارية : جعل لها قرطاً ، والشادي : المرتل .

(٥) هو الميرزا أبو الفضل أحمد بن أبي القاسم بن الحاج محمد علي بن الحاج هادي النوري الطهراني ، عالم جليل ، وشاعر معروف له ديوان طبع بطهران على الحروف . ولد عام ١٢٧٣ هـ وسكن النجف زمناً طويلا منذ النشاة الى أن اشتهر بين أعلام عصره ، رجع الى طهران وتوفي بها عام ١٣١٦ هـ ، ترجمت له في كتابي « شعراء الغري » ج ١ ص ٣٣٣ — ٣٤٦ .

لكَ حرٌ من النظام رقيقٌ ورقيق النظام ما كان حرا
إن تصفحته تجد كل شطرٍ فيه يحوى من المحاسن شطرا
لفٌ فى نشره بديع القوافى ببديع ترويه لفّاً ونشرا
كلِمٌ كله سباتك تبرٍ ما سبكن الأفكار شرواه(١) تبرا
صغته باهرَ المعانى فقلنا إنَّ لله فى معانيك سرا
قد تجلّى بدر(٢) نظمك عصرٌ جئتَ فرداً به فناهيك عصرا
وهدت قالة القريض نجومٌ طلعت فى سماء طرسك زُهرا
ذكرتنا « ذكرى حبيبٍ » فقلنا إنَّ فى هذه القوافى لذكرى
وسقتنا « غيث(٣) الوليد » فقلنا أنت بالإنسجام يا غيث أحرى
وتلت « مُعجزاً لأحمد » يدعو مَن وعاه : آمنتُ سراً وجهرا
فاجتنينا للأُنس زهرة روضٍ واجتلينا كالشمس عذراء بكرا
ينثنى العقلُ حين تتلى كأنَّ الـ لفظ كأسٌ والسمع يرتاح سكرا
فأرى « الخضر » أنت لكن لديه « عين ماء الحياة » تنبع خمرا
هى آياتُ مرسلٍ بالقوافى ربُها قد أحاط بالنظم خبرا
قد قرأنا عزائم الشعر منها وسجدنا لله حمداً وشكرا

وقال مقرظاً رسائل العلامة الميرزا محمد الهمدانى(٤) ، ومذيلاً للتقريظ برسالةٍ :

انطقتَ بارعةً يرى حتى العدوُ وفاقَها

---

(١) الشروى : المثل . يقال : « لا يملك شروى نقير » أي مثل نقير ، والنقير نكتة في النواة .

(٢) وفي نسخة : تجلى ببدر .

(٣) المعروف : عبث الوليد ، وهو شرح ديوان البحتري لأبي العلاء المعري .

(٤) شاعر كاتب أديب فقيه قطن الكاظمية وتوفي عام ١٣٠٠ هـ وله كتب ورسائل وديوان في أدب التأريخ أسماه (فصوص اليواقيت) ، ترجمت له في كتابي (شعراء بغداد) .

تأبى النزاهة أن يذمَّ ... ذوو(١) الكمال نفاقَها
فهي الهدى لكفؤها(٢) ... والصدق كان صداقها
عذُبت مقالتها فما ... أحلى الغداة مذاقها
إنّى رأيتُ «محمداً» ... فضَلَ الأنام وفاقها
فات الأفاضلَ لاحقاً ... حتى شأى سبّاقها
ورقى معارج ما امتطى ... أحدٌ سواه بُراقها
ما زال يخرق من سما ... وات العلوم طباقها
حتى لقد(٣) ضربتْ على السبع الطباق رواقها
وغدت لخدمة سعده الـ ... جوزا تشدُّ نطاقها
هذا الذي راقته أبكار ... رُ العلاء وراقها
بمناقبٍ غرّ أهلّـ ... تها أمِنّ محاقها
زهرت سماءُ الفضل(٤) لمـ ... ـا زيَّنت آفاقها
يا من لحلبة فضله ... أجرى يروم لحاقها
[قف حيث أنت وخلّ ... محرزة المدى وسباقها
قد أحرز الغايات مَن ... أجرى لهن عتاقها
فإليك عن لججٍ نهيـ ... ـتك أن تخوض عماقها](٥)
هذى رسائله فقف ... متصفحاً أوراقها
ترَها عقائل فكرةٍ ... أخذ النهى ميثاقها

(١) في المخطوطتين : أن تذم ذوو الكمال .
(٢) في المطبوع : فهي الهدى لكفورها .
(٣) وفي مخطوطة الأصل :

حتى له ضربت بأفـ ... ـنيه النجوم رواقها

(٤) في مخطوطة الاصل : العلم .
(٥) الأبيات الثلاثة لم تثبت في المطبوع .

وحـــدائقاً فيها المعا لى نزّهت أحـداقـها
وشدت بها ورقُ الثنـا مذ(١) شـاهدت ايراقـها
وتلذذ الذوقُ السليم بهـا عشية ذاقـها

ولعمرى إن هذه الرسائل ، المزرية بنورّ الخمائل ، كلها آيات فضل مبهره ، قد تنزلت من سماء فكرةٍ نيّره ، أينما تليت فهى تشهد ، أنها معجزات من هو كاسمه محمد ، ولا ملامة ، إن قلت : ختم به العلم أفاضله وأعلامه ، فإنه علاّمة العصر بل نسيج وحده ، وزينة جيد الدهر بل واسطة عقده ، ومركز دائرتى المناقب والمآثر ، وجمّاع سلسلتى المحامد والمفاخر ، ولقد حلّ من أفاضل الزمن ، محل الروح من البدن ، وكفى بمؤلفاته الآخذة بأطراف الفضل ، شاهداً وناهيك بها شاهد عدل ، فلنمسك عنان المقال عن الثناء عليه ، ببنان الدعاء له فى نموّ أغراس نعم الله لديه ، فالشمس غنيّـة بإشراقها ، وحسب الحمائم زينـة بأطواقها ، (وهل ينفع التحجيل من هو أشهب) .

وقال مقرظا (الرحلة المكية) منظومة العلامة الشيخ محمد حسن كبه :

طرح الدهرُ فى حمى المجد رحله عند مولىً يميرُه اليوم كلّه
ولدته العُلى وآلت بأن لا تلدّ الدهرُ فى بنى الدهر مثله
سيفُ عزٍ لقد تقلّده المجـدُ وبالجود أحسن الفخر صقـله
ملكٌ تطلـع العُلى منه بدراً فى عيون الحواسد اشتبّ شعله
أفرشته الخدود منهم ولـكن حسدت فوقها الـكواكبُ نعله
لم يعب من خصاله الغرّ شىءٌ غير بشرٍ ينسى(٢) به الضيف أهله
خفر الناسُ ذمّة الجود لـكن حسنُ الفعل قد رعى اليوم ألّه

---

(١) في المطبوع : اذ . (٢) و في المطبوع : ينمى .

وحّد المدح منه للفضل ربّاً والثنا فى سواه يحمد عجله
درجت فى العُلى أماجدُها الغـ ـرُّ وكانوا شيخ العلاء وكهله
ثم أبقت «محمداً حسن» الفعل على فخرها بها مستدلّه
ولعمرى لا يكمل الفخرُ حتى يصف الفرع طيباً لك أصله
فى لسان الثناء رحلةَ ندبٍ كلُّ يومٍ له الى الفخر رحله
وصفَ البيد كيف أنضى المطايا فطوى رحبها لينشر فضله
يا مبارى الصَّبا بصُغرى بنانٍ بالعطـايا سماؤها مستهلّه
عجباً يبتغى عُلاك ابنُ نقصٍ ما حوى من خصالك الغرّ خصله
رفعت قدركَ المعالى عليه فلها أنت عمدةٌ وهو فضله
وقوافٍ منظومةٍ لقبوها رحلةً حطّ عندها الشعر رَحله
منك ألفاظها مجاجة مسكٍ مُزجت حلوةً بشهدة نحله
كم جلت لامرىءٍ عقيلة معنىً أمهرتها يدُ التعجب عَقله
ليت من مقلتى بدت بسوادٍ فى بياضٍ لكن بخط (ابن مقله)
كلماتٌ فى وصف حجّكَ جاءت كمطاياك فى المكارم جزله
قد روته لنا فناديت أرّخ (حىّ حجّا يتلو مساعٍ برحله)

وقال مقرظا كتاب العلامة الميرزا محمد الهمدانى :

هو طِرسٌ أم خدُّ عذراء تُجلى خطُّ فيها الإبداعُ ما كان أملى
وسطورٌ تلألأت أم ثغورٌ من غوانٍ يبسمن زهواً ودلاّ
بل كتابٌ «محمدٌ» جاء فيه بلسان الإعجاز فى الناس يُتلى
لا تُشبِّه عقوده بفصولٍ ناعماتُ الصبا به تتحلّى
فمن الدرّ نظم كلٍ ولكن درّ هذى الفصول أحلى وأعلى(١)

---

(١) في المخطوطتين : أعلى ، كما في المطبوع أيضاً ، ولعلها : أغلى .

إن تصفّحته بعقلٍ تجده   كيف يهدى لمن تفهّم عقلا
يا صناع اليراع بل يا إمام الـ   حرمين استطل على الناس فضلا
إنّ من بعض ما بنانك خطّتـ   ـه كتاباً حوى المحاسن كلا
ولدته رويّـــة لك يقظى   إنها لم يلد لها الدهرُ مثلا
غير بدعٍ اذا تحلّى به العصرُ   فأنت السيفُ الصقيل المحلّى
بل ذكاء الهدى واقسمُ حقاً   بنهارٍ للفضل منك تجلّى
إن هذا الكتاب روض فنونٍ   يجتنى مثمراً كناناً ونبلا (١)
ظلّ أوراقه النهى فتصفحـ   ـنا عليها منثور لفظك طلاّ
فنظمنا له وقد راق حسناً   عقد مدحٍ وكان للمدح أهلا (٢)
فشممنا ريحانة النُقل منه   وهجرنا سواه إذ كان بقلا

(١) في المطبوع : كالا ونبلا .
(٢) في مخطوطة الملا : أحلى .

متفرقات

قال رحمه الله هاجيا :

اكرّر الطرف [1] لا أرى أبداً	إلا غبيّاً أنى تلفّتُ
من كل مَن ذقنُه (كعانته)	والفمُ منه كأنه استُ
ومعجباً كلُّ مشيه مَرحٌ	ومترفاً كلُّ أكله سحتُ

وقال :

وحشٌ من الإنس من يعلق بصحبتهم	يكنْ كمستبدلٍ سقماً بصحته
كأنني بينهم مسكٌ أحاط به	ريحُ البطون فأخفى طيبَ نفحته

وقال :

كم تراني أستولد الأوقاتا	فرجاً في انتظاره الصبرُ ماتا
واذا هبَّت الحظوظ لحظّي	يقطعُ الليلَ والنهار سباتا

وقال يهجو أهل زمانه :

ما أكثر الناس لولا أنهم بقرٌ	تأتي المثالب أفواجاً اذا ذكروا
لو شام آدم بعضاً من فضائحهم	لما أحبَّ له أن ينسبَ البشرُ

وقال :

إن يبلغنّك عن جود امرئٍ خبر	فكذّب السمعَ حتى يشهد البصرُ
ولا يغرّنّك إن راقت ظواهره	فربَّ دوحٍ نضيرٍ ما له ثمر

وقال هاجيا بعض الناس :

أفلانُ لا تبغي الثناء فما	لكَ في الثنا من نعمةٍ تُجزى
إن الذي يثني عليكَ كمن	دون المهيمن يعبد الرجزا

(١) في المطبوع : اكرر طرفي فلا أرى أبداً .

وقال هاجيا بعض الشعراء :

فويلٌ القريض لقد أصبحتْ ... بـــه أغبياء الورى تدّعي
بقيـــةُ عارٍ دنيّ الهجاء ... ترفّع عن قدرها الأوضع

وقال مشيراً الى زيارة أحد أصدقائه فى ليلة هبت فيها عواصف ورياح(١) :

سعدت من عشيّـة زار فيها ... قمرُ المجـد ربعنا فأضاءا
وأظن الرياح قـد حسدتنا ... فهى وجداً تنفّس الصعداءا

وقال يصف خيمة ضربت لمـأتم الإمام الحسين (ع) والفرش فى دار العلامة السيد مهدى القزوينى فى العشرة الاولى من شهر المحرم :

أهذا نبيُّ الهـــدى أحمدُ ... وهذا الذى ضمّـنا المسجدُ
من الدمع محمرّةٌ أرضه ... وسقف السماء به أسودُ
وجبريل إذ قام ينعى الحسين ... وتبكى الملائك إذ تنشدُ
نعم وأبيك بها أحمـد ... وأملاك ربّ السما تشهدُ
فما عذر عينـكم فى الجمود ... وعين الملائك لا تجمد

وقال وقد التمسه بعض الرؤساء أن يعمل تلغرافاً الى النقيب وهو فى استانبول :

ليت منّى نياط قلبى الى قسطنط ... ين يمتدُّ من أقاصى العراق
فيؤدى اليك أضعاف ما أدّ ... يت بالتلغراف من أشواقى
أنت بدر العُلى فما برحت فيـ ... ـك الينا مضيئة الآفاق
فعلى البـدر نالنا منك ما نـ ... ـلنا على البعد منك بالإشراق

---

(١) لم يثبت البيتان في المطبوعتين .

وقال فى كتاب كتبه لبعض الأكابر :

قل للنسيم وقد سرى ... سحراً بأنفاسٍ رقيقه
يا مشبهاً عندى « أبا ... محمود » فى طيب الخليقه
إحمل اليه رسالة ... تحكى سجاياه الأنيقه
من شيّق فى لجة الأشـ ... ـواق مهجته غريقه
ولأنت والبرقُ ازويا ... عن قلب وامقه خفوقه
شوقاً لحضرته التى ... كل النفوس لها مشوقه
هو فرع أصلٍ قد غدت ... يثرى(١) على الجوزا عروقه
من دوحةٍ فى رىّ ماء الـ ... مكرمات غدت وريقه
يا من تمنّى النجم حين ... سما الى العليا لحوقه
مَن ذا لمجدك يرتقى ... وسواك لم يسلك طريقه
إنّ الكرام هم المجاز ... وأنت للكرم الحقيقه

وقال فى رسالة لبعض الأشراف :

سلامٌ برقّته قد حكى ... ونفسك رقّة أخلاقها
حباك به مغرمٌ أحكمت ... مودّته صدق ميثاقها
ترفُّ بمهجته دائماً ... اليك نوازع أشواقها
رآك تفرّعت من دوحةٍ ... زكا فى العُلى طيب أعراقها
وأيكة مجدك قد غرّدت ... حمامُ الثناء على ساقها
وغرُّ مساعيك فى المكرمات ... تطول بزينة أعناقها
ونخرك لم تحك شمس السما ... سناه بباهر إشراقها
فأهدى كأخلاقك الزاهرات ... اليك تحية مشتاقها

---

(١) كذا جاء في المخطوط . وفي المطبوعتين : يثرى ، وفي المعنى التباس .

وقال فى وصف خيمة ضربوها فى دار العلامة السيد مهدى القزوينى فى شهر المحرم قد بطنت فى بياض :

اليوم قد صوّت ناعى الهدى يفصحُ بالنعى ولا يكنى
ينعى قتيل الطف عند ابنه للمهدىّ مولى الأنس والجن
وقائلٍ ذا السقف ما باله ابيضٌ وعهدى فيه كالدجن
قلت : رأى المهدى مستشعر ال سواد حزناً باكى الجفن
فصار عيناً كله للبكا فها هو ابيضٌ من الحزن

وقال رحمه الله :

خذى قلبي اليك فقلّبيه ترى لا موضعاً للصبر فيه
وهل للصبر منزلة بقلبي باسهمها النوائب تدّريه

الرّسائل

مدح ، رثاء ، عتاب

١ ـ قال مقرظاً كتاب (الرحلة المكية) للحاج محمد حسن كبه :

أيها الرائد خميلة الآداب ، الماخض ثميلة الأفكار والألباب ، إمعن سير رواحل فكرك ، في شعاب هذه الرحلة ، وذق بذوقك السليم في استعذاب هذه النحلة ، واعرف كيف يُجتنى الوردُ ، وبأي عين يرادُ ، وكيف يجتنى الشهد ، ومن أين يشتار ويستجاد . فلقد بهرني هذا الكامل ، الذي ما كشفتْ عن مثله ذيولها الحواضنُ من العقائل ؛ ولا علقتْ بمثله من النطف الغر أرحام الحوامل ؛ ولا اتفقت ألسنة المدح إلا على فضله ، ولا قلَّب الدهر أجفان حائرٍ قبل هذا في مثله . فابعث رائد نظرك في نجع شمائله ، ولمع مخائله ؛ وقلِّبْ أجفان التوسّم ، والحظْ كيف جمع بين التبذخ في معاليه ، وبين التواضع في شرف التكرُّم ، وتصفّحه بعين الفراسة ، وتعجبْ من ماجدٍ كملت في شرخ شبابه فيه معاني السؤدد والرياسة ؛ فأصبح كعبة الفتوّة ، ومروة الإحسان والمروّة ؛ تتعرف للناس عرفاتُ جوده ونداه ، فما دعا طائف الرجاء به إلا ولبّاه ، فكل أيامه ولياليه نحرٌ وتشريق ، وكل آناته مباهلةٌ بالجود وتصديق ؛ قد جمع في حجه بين مشعر الحرم ، ومشعر الجود والكرم ؛ في رحلة شرفٍ راقتْ منه بأميرها ، ونحلة ظرفٍ شاقتْ منه بابن أثيرها ، تارةً تجدُه ابنَ مفازة ، وتارة ملكاً جعل الى العليا على النجوم مجازه ؛ يتنقّل في تلك الأودية ، وتخفق عليه تلك الرايات والألوية ؛ في فلوات مجاهل عميّة الإيضاح ، خرساء صدى الصحاري والبطاح ؛ يتلون خرّيتها تلون آلها ، ويمور من المجير مور أنقائها ، أو قبٌ صلالها ؛ وتارةً يصف لك تلك المنازل ، وما حوتْ رياضها من المها الخواذل ، والجواري المطافل ؛ فيدُعك آنساً بتلك الخمائل ، كأنك بينها نازل ، وينعت لك شقائقَ وردٍ كأنه أبو قابوسها ؛ ويأخذ في نشر حديث أزهارها كأنه وشيُ حلية طاووسها ، ويحدّث عن مناهل كان

ابن فراتها ، وعن صواهل كما قيل : كأنما نتجت تحته قياماً ، أو كأنه ولد على صهواتها ، وعن إبلٍ ما اعجب ما وصف به رواحلها ، كأنه لا سواه نتج قادحها وبازلها ، ثم يذكر فى أثناء ذلك مساءه وصباحه ، وغدوه ورواحه ، وعشيه وأبكاره ، وأصيله وأسحاره ، بمنطق عذبٍ ، وكلامٍ أرقّ من خدّ المحبوب وحشاشة الصب ، وينتقل فى خلال ذلك فى وصف طلوع الشمس وغروبها ، وبزوغ الكواكب ومغيبها ، ويتشوق الى أحبته ، وأهل مودته ، الى غير ذلك مما اشتملت عليه أبيات تلك الرحلة . وكلمات هذه النحلة ، فى نظمٍ كالذهب الإبريز ، اخلصه السبك ، أو كاللؤلؤ الرطب ، تتوالى فرائده فى أحسن سلكٍ ، وحيث راقنى بها الإعجاب ، وأخذت منى ما تأخذه محاسنُ بارعة الجمال من القلوب والألباب ، قرضتُ كعابها ، وقرطتُ من أبياتها أترابها ، لحليتُها بهذا الوقف ، وشنّفتها بهذا الرعاث والشنف ، وذلك قولى فيها ، وفى منشيء معانيها :

طرح الدهرُ فى حمى المجد رحله عند مولىً يميرُه اليومَ كلَّه (١)

اقول ولعمرى أين يقع هذا التقريض ، من مدحه على هذا النظم ، الذى عادت به حياة القريض ؛ وإنى لأحمدُ الله على ما أولانا من عظيم المنن ، إذ رُفع يتمُ الشعر فى هذا الزمن ، بخلف آبائه الحسن ، وحقيقٌ أن أقول فيه ، وإن لم اوفّه من المدح حقّ معانيه(٢) :

ما حليةُ الدنيا سوى أمجادها يزهرُ فى بهائهم نديُّها
واليوم قد زينت ومن محمدٍ لا من سواه حسن حليُّها
قد نسج الفخر له مطارفاً مطــرّزٌ بصنعه بهيُّها

فلا أدرى أوسط الزوراء ، أم قمرٌ توسط منها فلكاً ، تباع جواهرُ الحمد ،

(١) تقدمت في حرف اللام . (٢) وفي المطبوع : معاليه .

وتجلَّتْ لطائمُ الثناء ، أعبق من لطائم المسك والند ، الى عالمٍ منه بأثمانها ، وخبيرٍ بتفاوت حسنها وإحسانها .

* * *

٢ ـ قال وقد كتب بها الى الحاج محمد حسن كبه جواباً على رسالةٍ وردت منه :

ما عقدَ الحمدُ خنصره ، ولا فتح المجدُ بصره ، على أنضر عود مكارمٍ ، وأزهر طلعةٍ لشائم ، من أبلج بسّام العشيّة فى الزمن البهيم ؛ سيماء الشرف الوضّاح على قسمات وجهه الكريم ؛ يسفرُ للجود عن محيّاً أنور من بدرٍ تم ، يقرأ الوافدُ عنوان صحيفته هذا قبلة الكرم :

وجهٌ كأنَّ البدر شا ... طره الضياءَ أو النجوما

لو قابل الليلَ البهيم ... لمزّق الليل البهيما

يجلو الهموم وربَّ وجهٍ ... إن بدا جلب الهموما

فبوركتْ طلعة ذلك الأغرّ ، وحياه اللهُ ما تعاقب الأبيضان الشمس والقمر . فلعمرى كم اطلقت يده البيضاء ، من صنيعةٍ غرّاء ، قد عُقلتْ نعمُ الشكر بأفنية نعمه ، وملكتْ أعنّة سوابق النظم والنثر فلا تستبق لغاية سوى الثناء على أخلاقه وكرمه ؛ حتى مكث ركابُ الشكر على تلك المواهب حبيساً ، وأقسم الثناء بتلك المناقب لا لمستْ يداه سواها لموسا ؛ وأين بركاب الشكر من تلك الرحبة الخضراء ، وماذا تلمس بعد تلك المناقب يدُ الحمد والثناء ، وهل فى هذا الزمن إلا (محمد حسن) ماجدٌ ما اسودَّ ليلُ الظن لطامع ، إلا ابيضَّ من أشعة وجهه القمر الطالع ؛ وإنّى وإنْ احكمتْ منّى يدُ الإخلاص عقد ودّه ، وأمنتُ عليها أن تحلَّ بيد هجرانه وصدّه ، لمعتذرٌ اليه ، من ابطائى عليه ، فلقد ساورنى الدهرُ ، بشواغل هى قيدُ الفؤاد والفكر ، فأصبحت قليل الحظوة ؛ ثقيل الخطوة ، عاثراً بذيل التقصير ، ناظراً من الخجل على البعد بطرفٍ حسير ، قد بعثت العذرَ على

لسان هذه الغادة الكعاب ، التى ربما وقف الحياء بها دوين الباب ، والرجاء من كرم أخلاقه ، وشرف أعراقه ، أن يعيرها سمع مسامح وهاب :

إحدى الغوانى الى الزوراء   جاءتك تمشى على استحياء (١)

* * *

٣ - وكتب اليه أيضاً يعتذر اليه :

قد جنى لى الزمان أعظم ذنب   وغدا عنه شاغلى ان يتوبا

فلقد أقعدتنى العلل ، حيث أقامنى الخجل ، ومثلت بى الأمراض ، فى هيئة من غيره الصدود والإعراض ، إلا أن أعناق الآمال ، لم تزل متطاولة الى هبوب نفحات الإقبال ، بقبول العذر ممن نزل به السقم منزلة الصحة من جسده ، وحنى اللحد أضلاعه على بعض أولاد أخيه وكان أعز عليه من أفلاذ كبده ، ومع طوارق اخر ، كل طارقة منها تقول لا وزر ، أيسرها ابتلاء الدهر له بحبسه ، مع غير أبناء جنسه ، لأنى منذ فارقت ذلك النادى ، وحللت ولكن فى غير بلادى ، الى الآن مقسم الفكر بين معالجة الأوصاب ، ومعالجة انتساخ ذلك الكتاب ، فاذا انحسرت عنى آونة غمرة الألم ، وأفقت قليلاً من سكرة السقم ، أقبلت على التحرير ، قائلاً لا يحمد ترك القليل لفوات الكثير ، وبينما أنا كذلك : إذ وردت إلى تلك الرسائل ، وأنا فى حال ، كأنى المنعوت فيها بقول القائل :

أهم بأمر العزم لا استطيعه   كما حيل بين العير والنزوان

فلولا أنها تابعت الى طروقها ، وشفعت برعدها بروقها ، حتى خفت أن ينصب على سوط عذابها ، لما ألهانى عن تنميق الكتاب تنسيق جوابها ، لأنها يا عافاك الله مما اشتكيه ، ومتعك من الصحة بأكمل ما ألتمسه من الله وارجيه ، وإن كان ورودها إلى منك ، فإنى قد آثرت الإشتغال بك

---

(١) تقدمت في باب الموشحات .

حتى عنك ، هذا عذرى إليك ، وأنا على ثقةٍ من قبوله اذا نشره بنانُ الاستعطاف لديك ، ولقد وشحتُ هذه الألوكة ، بنظم هذه الأبيات التى جاءت أرقَّ من ريطة وشى محوكة ، وجعلتُ معانيها السحّارة ، كفارة ما سلف من الذنوب وأىَّ كفارة :

يا مَن لويتُ به يد الخطب ... وبه ثنيتُ طلايعَ الكرب (١)

* * *

٤ - وقال وقد كتب بها اليه جواباً على كتابٍ أرسله أيضاً :

فى فمى لم يزلْ لذكركَ نشرٌ ... طيِّبٌ واختبرْ بذاكَ النسيما
وبمرآة فكرتى لم يزلْ شخـ ... ـصُك نصب العينين منّى مقيما
وعلى النحر من عُلاك ثناءٌ ... ليس ينفكُّ عقده منظوما
لا تظن البعاد يحجبُ عنّى ... منك ذيالك المحيا الكريما
أنت عندى بالذكر أحضر من قلـ ... ـبى بقلبى فكنْ بذاك عليما
لستُ أقوى لحمل عتبكَ يا من ... حملتْ فخره المعالى قديما
فاثنِ عن غرب عتبك اليوم عنّى ... فبه قد تركت قلبى كليما

إنّى ومَن جعلك ريحانة الأديب ، وسلوة الغريب ، لم استوجبْ منك هذا العتاب ، ولم استجلبْ بمساءةٍ كل هذا الخطاب ، فهبنى أسأت فأين العفوُ والكرم ، ولعمرى لقد تجرمتَ علىَّ ولا جرم ، إنّى اعتذر الآن فأقول : إنْ هبّت من ذلك الجناب نسماتُ القبول ، ما حلّتْ ازرار جيبها الصّبا ، ولا فتحت أكمام النور على الرُبى ، عن أطيب من تسليمات كأنما تحدّثتْ بها أرواح النسيم فعطّرتْ أنفاسها ، وعن أبهى من تحيات كأنما باهت بها الرواةُ أنوار الربيع فعطّتْ خجلاً بالأكمام رأسها ، ولا ملاطفة غادة كعاب ، لم تعرفْ إلا العطر والخضاب ، بأوقع فى النفس ، واشغل للحواس الخمس ،

---

(١) تقدمت فى باب المدائح .

من بديع بيان ، كله قطعُ جنان ، يجلو بواضح الإعتذار ظلمة العتب ، ويمحو بصادق التنصل كاذب الذنب ، من محبٍ صدع التقريع منه الأحشاء ، وأرمضتْ قلبه هواجس الاستجفاء ، الى مَن حنوتُ عليه ولا حنوٌ المرضعات على الفرام ، وغذوتُ له الحبٌ ولا غذاء الآباء طرائف الهيام ، حتى شبٌ وليد شوقى اليه على الشغف ، ونشأ طفل ولعى به فى حجر الصبابة والكلف ، حتى سكنتْ نفسى الى هواه ، سكون الجفن الساهر الى كراه ، وعقدتُ خنصر التعويل عليــــه ، حين توسمت عنوان النهى بين عينيه ، وسبرتُ فى مباديه ، وتفرستُ فى معانيه ، لأعلم أين يكون موقعه من فخر أبيه ، فرأيت الخيرَ كله فيه بعد أخيه ، حيث أنبأتنى شمــائله ، وبشرتنى مخائله ، أنه سيكون إنسان تلك المقلة ، وطراز تلك الحُلة ، ولا عجب ، والأمر ليس بمستغرب ، ممن ترشحُه معالى هممه ، وتؤهله محاسنُ أخلاقه وكرائم شيمه ، لمعارف أبيه وعوارف كرمه ، أن يتشح ببردة فخره ، ويتوشح بمناقبه بين أبناء دهره ، ولعمرى لئن حكتْ أخلاقه خلائقه ، ووصفتْ مخائله بوارقه ، ففى الشبل من ابن الغيل شمائل ، وعلى ابن ذكاء من الغزالة دلائل ، والفيء ناشىءٌ من الظلّ ، والفرع مبنىٌ على الأصل ، وذكاء النبت بقدر ذكاء تربه ، والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربه ، وهذه الصلصالة من ذلك الطين ، وهذه السلسالة من ذلك الماء المعين ، قد استهلٌ معه سعده ، حين وُلد مجده :

عفٌ السريرة طـاهر الـ أبراد معصومُ البصيره

يقتدى به مشايخُ الحزم فى عنفوان شبيبته ، وتعرف الإصابة كلما رمتْ عن قسيّ روّيته ، زاده اللهُ عليهم فى الحزم بسطه ، وجعل له فى الـكرم أنامل سبطه ، قـــد مشى فى ديار التجارب فجاس خلالها ، وقاس بفتره أشبار الـكرماء فطالها ، يضرب بعرقٍ نسبه ، ويمتٌ بطرفى حسبه ، الى أبوين لا يجاريان شرفا ، أبٌ مرتضىً وأبٌ مصطفى ، قد صعد الذروة من هاشم ،

واقتعد الصهوة من مجد قبيلة المكارم ، فهو من أهلِ - قلْ لا أسألكم عليه أجراً - ، ومن اسرةٍ جعلوا الإنفاق لوجه الله ذخيرةً وذخراً ، ليس على (الزوراء) وباهر نداها ، اسرةٌ للشرف الواضح سواها ، بل ولا على فقارة جميع ظهر الأرض ، عترةٌ غيرها للكرم المحض ، قبيلةٌ صوّرها اللهُ من طينة المعروف والإحسان ، وحدّرها من صلب الشرف الأقدم على اولى الزمان ، وأقرّها فى أرحام النجابة ، وأولدها فى رباع السماحة والمثابة ، ولفّها بأبهى مطارف الحمد ، وربّاها فى حجر السؤدد والمجد ، وأرضعها لبان العلياء ، وفطمها إلا عن رضاع الحمد والثناء ، وجعل بها سماحة البحر الذى لا يُخاض فى عبابه ، وأبرزها بهيبة الهزبر الذى لا يواجه فى غابه ، وكفى طيبُ اصلها ابّانه ، انّ فى حدائق احسابها ذلك الحبيب اطيب ريحانه ، أعنى به جوهرة الزمن ، وغرّة وجهه (الحسن) ، انمى اللهُ غصن شبيبته على الفضائل ، وشدّ أزر المعروف من عطائه بواصل ، وأرسى قواعد مجده على الأبد تخليدا ، وورّد بمكانه من حسان الآداب خدودها توريدا ، وأقرّ نواظرنا وناظره ، بشفاء أبيه الذى عقد على الكرم مآزره ، مولىً أهلُ الفضل من بوارقه ، وزهرةٌ من حدائقه ، وأهل البذل قطرة من أمطاره ، وغرفة من بحاره :

فله أيادٍ لا تزالُ	سماؤها كرماً مخيله
ونقيبةٍ ما غيّرتْ	فى الجود عادتها الجميله
ويدٌ كضرع الغيث يُـ	ـخضنها الرجا مخض الثميله

أما بعد : فحين وصلتْ إلىّ عقيلة فكرك ، وجميلة نظامك ونثرك ، طرحتُ عنها الأزار ، وحللتُ من غلائلها الأزرار ، ثم قبّلتُ منها فتاتاً تزرى بفتات المسك بخلوقها ، وبابنة العنقود فى راووقها ، فشفتْ بعذب كلامها غلة صدرى ، ونفثتْ بسحر بيانها فى عقد صبرى ، قد نشرتْ لدىّ

حديثَ واصل ، ثم بسطتْ عليَّ لسان عاذل ، فأباتنى تأنيبها مبيت نابغيٍّ ، وقلَّبنى توبيخها فى مضجع ابن هانى المغربى ، بل كلما ضرب الليلُ على الافق رواقه ، وعقد على الشفق ازراره ونطاقه ، أمسى وهمومى القارعة ، وأفلاذ كبدى الواقعة ، وفاتحة الرعد سائغ ريقى ، وخاتمة الأعلى فى شرايين أوردتى ووشائج عروقى ، وآراثى فى الشعراء ، وأحشائى ما جعله الخليل فى وسط الأنبياء ، تقريباً بلا استثناء ، وكلما فلق الصبحُ بعموده هامة الغسق ، وشهرَ خاضباً من وريد الظلام سيفه الشفق ، اصبح ولسانُ حالى ، يترجم عن لسان مقالى : اذا رأيت قوماً ، إنّى نذرتُ للرحمن صوماً ، فواعجباه والدهر سلكُ عجايب ، والأيام مثريةٌ من الغرايب ، كيف ينصرف الى وهم ، أو يتصور فى خيال أخى فهم ، إنّى فى تيتّاك المودَّة أشق ، بعدما تمسكتُ منها بالعروة الوثقى ، لا وعافاك اللهُ من العلل ، وبلّغك منتهى المجد وقد فعل ، لا يلهو عن تلك المحبة عميدها ، ولا يخلق على تعاقب الليالى والأيام جديدها ، وليت شعرى اعتاض عنك ، بأىّ بدلٍ منك ، ولمن اربّى مولود الوفاء ، ولمن أزفُّ عروس الإخلاص والصفاء ، وملتمس الثقة ، لإيداع الملقه ، كالمرتبع بواد غير ذى زرع ، والمنتجع فى بوارِ خالبةِ اللمع ، والمغترف من السراب الخادع ، والقابض على الماء خانته فروجُ الأصابع ، فهم ومن جعلك جوهرة الزمن ، حريّون بقول المهيار أبى الحسن :

خُلقٌ اذا حدثت عن أخلاقها فكأنما كشَّفتَ عن سوءاتها

وأما وعليا أبيك ، وخلاله الصالحة التى اجتمعت فى أخيك وفيك ، وسماء مجده التى انتما قمراها ، وعبقات فخره التى ينفح عطفا كما برّياها ، لأنت على بعدك ، يا نسيج وحدك ، ثانى النفس لدىّ ، وثالث عينىّ ، بل أعزُّ منهما علىّ ، وما تركتُ المواجهة ، رغبة عن المشافهه ، ولا المراسلة ، رغبةً عن المواصلة ، كلا بل لعوائق طارية ، وشواغل غير متناهية ، تلهى

الحليم عن نفسه ، وتنسيه يومه فضلاً عن أمسه ، ولولاها :

لنثرتُ حبّـات القلوب ألوكةً ونظمتها شوقاً اليك قريضا

* * *

٥ - وكتب الى الحاج محمد رضا كبه بهذه الرسالة وصدّرها بهذه الأبيات :

أغضَّ النسيم تحملْ سلامى فحيّ بريّاهُ (دار السلام)
سلامُ محبٍّ غريق الوداد غريق الفؤاد ببحر الغرام
يُميتُ بشوقٍ بياض النهار ويحيي بشوق سواد الظلام
وتهـــفو نوازع أشواقه بلبّ حشاشته المستهام
يطالع بالفكر وجهَ الحبيب فيحظى برؤية بدر التمام
حبيبٌ اروّحُ قلبي العليـل من ذكره بنسيم المدام
وشوقى الى درّ الفـــاظه كشوق الرياض لدرّ الغمام

بمن سكن روُحه بمحانى (الزوراء) ، وأقام جسمه بمغانى (الفيحاء) ، إقامة المغترب عن وطنه ، اللابث فى غير عطنه ، لا يملك على الخفوق ، أثناء قلبه المشوق ، ولا يُلقى سمعه الى نديم ، ولو كان أفصح الأنام ، ولا يرتاح الى مفاكهةٍ ولو كان من ولدان النعيم ، عبقُ الـكلام ، ولا ينظر إلا بعين انسيّـة الأجفان ، وحشيّـة الإنسان ، قد عرفتْ آماقها الأرق ، وأنـكرت أحداقها الرفق ، لم تفتحْ على اناسٍ بصرها ، إلا استوحشتْ عنه فغضّتْ عنهم نظرها :

أتأنسُ فى فتح أجفانها عيونى فى غـير إنسانها
ويَخلصَ يوماً انفسى السرورُ اذا وصلت غـير خلصانها
اذا كذبتْ بادعاء الوداد نفسى وما الـكذب من شانها
نعم عندها الغدر بعد الوفاء هو الـكفر من بعد ايمـانها

على أننى لم أبرح مسائى وصباحى ، وغدوّى ورواحى ، وعشيتى وأبكارى ،

وأصيلي وأسحاري ، حرج الصدر ، متشعب الفكر ، ملوىّ الحشاشة على حسرات متعالية ، طوىّ الجوانح على زفرات الى التراقى متراقية ، من لوعةٍ غير ماضية ، أقتل من ماضية الحدّ ، وصبابةٍ كأنها جمرةٌ ذاكية الوقد ، فاذا غشيني الدجى بغياهبه ، ورقدت الورى أحصيتُ عدد كواكبه ، بعين ابن شوقٍ نسيتْ أجفانه الكرى ، واذا نضا الليـــلُ عنّى ثيابَ ظلمائه ، وألبسنى النهارُ جلباب ضيائه ، أقبلتُ على نفسى اعللها بوشيك التدانى ، واسلّى غلة شوقها بسراب الأمانى ، فتذمُّ من أمسها ما استدبرتْ ، وتحمدُ من يومها ما استقبلتْ ، حتى يأكل فمُ الغروب قرصَ الشمس ، ولم تحصل من الرجاء إلا على اليأس ، ولما لم يبقَ لى فى قوس الأمانى منزعٌ ، ولا فى مطمعات الأمانى مطمعٌ ، سبرتُ بعين البصيرة والعقل ، مذاهب طرق الوصل ، فوجدتها على ثلاثة انحاء ، بين أهل المودّة والإخاء ، إما بمشاهدة العيان على القرب ، أو حضور الحبيب فى مهجة المحب ، أو بثّ الشوق اليه والوجد ، بالمراسلة على البعد ، فألفيتُ أولها مستحيلاً ، بعدان طلبته بكرةً وأصيلا . وأما الثانى فما عدانى وحين وصلتُ بالنظر الى طريقها الثالث ، وقطعتُ عن أولها قرينة البواعث ، وجدتُ نفسى مقصّرةً فى عدم إتيانه لإقتدارها عليه مع شدة إمكانه ، فلم أزلْ اوبخُها فى ذلك وألومها وأعذلها والندم فيما هنالك نديمها ، الى أن تمنّت من شدة الخجل ، لو سبق السيف اليها ذلك العذل ، وقد أخرسها الذنبُ ، وأفحمها العتب ، لأنها قطعتْ اسنان عذرها ، فى شبات هجرها ، حيث أنها وإن طلبتْ من أنواع المواصلة أطيبها ، وأكملها لذةً وأعذبها ، إلا أنّ ما لا يُدرك جلّه ، لا يترك أقله ، ولكنّ منها هذه الزلة ، صدرتْ بعد ماجدٍ شابهَ فرعُه أصله ، ووصفَ طيبُ أخلاقه ، كريمَ أعراقه ، ولذا نهضتْ بعد كبوتها ، بأذيال هفوتها ، وسلكتْ الى المواصلة ، بطريق المراسلة ، والى المخاطبة ، بالمكاتبة ، ولم تزل تمحضُ غزير درّها ، وتمخض ثميلة فكرها ، حتى استخلصتْ زبدة سلام

رائقه ، يستعذبُ بها حتى مَن لم تكن له ذائقه ، لو وضعتْ فى لهاة مَن حشرجتْ من الموت نفسه لا انساغت بفيه ، أو تنفَّستْ أرواحها على بدنه لقرَّت الروحُ فيه :

فما روضةٌ مرشوقةٌ عن عبيرها　　تحدَّثنَ أنفاسَ الصبا والجنائبِ
بأطيب عرفاً من سلامٍ بنشره　　يعطِّر فاه كلُّ راوٍ وخاطبِ

ترفعه عواملُ شوقٍ تنازعتْ جلدى ، وجلبتْ السقمَ فى تصرُّفها الى كبدى ، فنسختْ جميل صبرى ، وأطالت اشتغال فكرى ، الى من نصب الله على التمييز علمَ فخره ، فانخفضت بالإضافة الى عزّه جميع أبناء دهره ، وجزمتْ بنو الدنيا أنه فى السماحة البحر المحيط ؛ اذا بسط لها بالعطاء كفاً استغرق وافرجودها ما حوته دائرة البسيط ، فأقال به من كبوة الجد عثارها ، حتى سلمتْ له بالفضل اقرارها ، فهو فى أصله الذى عرقت به العليـاء ، كما قلتُ فيه مخاطبا له بهذا الثناء :

يا أمجد الناس فرعا　　ينمى لأكرم أصل[1]

ولعمرى كيف ينالها بهمة جسمة ، مَن ليس ينالها بها حسُّ فهمه ، إذ هى علاءُ مجدٍ تفرَّع من دوحةٍ ضربت فى طينة المجد اروُمها ، وأُخذ بأطراف الشرف حديثها وقديمها ، فهو ينتمى منها الى نسبٍ كريم الطرفين ، وحسبٍ لم يزلْ معشارُ فخره فخار الثقلين ، ذاك صفوة المكارم ، فى أبنائها الأكارم ، وأنجبُ مَن ضمَّه الفضا ، (محمدٌ الرضا) ، رفع اللهُ قواعد مجده ، وخفض حواسدَ جدّه ، وجعل كوكب سعده طالعاً فى سماء الفخار ، ما استدار الفلك الدوّار :

دعاء إخلاصٍ اذا رفعته　　قال الحفيظان معى آمينا

(١) تقدمت فى باب المدائح .

أما بعد فالغرض من توشيح هذه الألوكة وتسهيمها ، وترصيف منثورها ومنظومها ، بثُّ وجدٍ حركتْ ساكنه الذكرى ، وترويحُ كبدٍ أرمضتها هواجرُ البعد فغودرت حرّى ، وتعليلُ نفسٍ لم تزل من ثنايا الشوق اليكم متطلعة ، ولأخباركم من فم الصادر والوارد لم تزل منتجعة ، ليرد عليها في ارتيادها ، ما يجلب المسرّة الى فؤادها ، من صحة أجسادكم التي هي لجسم الزمان أرواحٌ تدبّره ، وصفاء أيامكم التي هي أوضاحُ هذا الدهر وغرره ، وصل اللهُ عزّكم بيمن إقبالها ، وقرن لكم بعمر الدهر غضارة اقتبالها ، فلستُ اسأل غير ذلك من محقق الحقايق ، في كل غاسقٍ وشارق ، والسلام عليكم ، ما رفَّ قلبي بأجنحة الشوق اليكم ؟

* * *

٦ - وكتب بها الى الحاج محمد رضا كبه أيضا :

نسختُ ولم يُحصِ اشتياقي ألوكة (١) جميع الذي قد ضمّه الكون ناسخُ
لقد دان قلبي في شريعة حبّكم فليس له حتى القيامةِ ناسخُ

سلامٌ فتّقتْ نورَ زهره صبا الحبّ ، وأعربتْ أنفاسُ نشره عن طيّ سريرة الصبّ ، ورقّت ألفاظه حتى سرق النسيم طبعه من رقتها ، ونفحتْ ريّا الإخلاص فقراته حتى استعار العبيرُ المحض طيبه من نفحتها ، وما هي فقراتٌ في الطروس قد وسمتْ ، بل روحُ محبٍ أذابها الشوق ، وفي قالب الألفاظ تجسّمت ، فلو نشق أرواحَ عرفها مَن غشيتهُ سكرات الموت لصحا ، ولو سرّح النظر في لؤلؤ ألفاظها ذو الطبع السليم لسحرتْ عقله وماس منها مرحا ، فحقيقٌ أن اوشّح خصورَ عرائسها الأنيقة ، بدرّ من الفاظيَ التي تحتوي من المعاني على نفائسها ، الدقيقة :

عرائسُ لفظٍ حكى مسكُها على الطرس أنفاس ريح الصَبا

(١) الألوكة : الرسالة . وفي نسخة : والهاً .

رقاقٌ كرقّـة قلب المحبّ وخدّ الحبيب بعصر الصبا
حكتْ فى العذوبة أخلاق من لها أُهـديتْ واليها صبا

من محبٍّ قطع قلبه الشوق الملحُّ ، وترّح به الغرامُ المبرّح ، وحال من البعاد بينه وبين حبيبه ، ما أوقدَ فى أحشائه سعيرَ وجدٍ اذا انحنت عليه أضلاعه تجافت من لهيبه ، وغودر جنباه من تلهُّب أنفاسه الحرار ، يُرسَل عليها شواظٌ من نار ، وكاد فى تصاعد حريق زفرته ، يضرم الهوى ناراً فى كرته ، وحشدت جحافلُ الغرام فى منحنى ضلوعه ، وانتجعت سفحَ عقيق دموعه ، فهى تستدرُّ عينه دموعها فى كل آن ، فتنبعثُ كأنهن الياقوت والمرجان ، وأوطنت الصبابة فى غوير لبّته ، وقوّض السلوُّ عن غضى قلبه ، وحال من مترادفات الأشجان ، بينها برزخٌ لا يبغيان ، واوشك الفراق أن ينسف طود حلمه بريح عقيم ، ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، فلا يتناهى فى تحرير نعت شوقه الكلام ، ولو أن ما فى الأرض من شجرةٍ أقلام ، الى من حلّقت به قدامى شرفه ، فقصّر كلُّ محلّق عن شأو عُلاه التى أحرزها عن سلفه ، وتسنّم غاربَ كل فخرٍ ، ووطأ بأخمصه رقاب الأنجم الزهر ، وناصى برفيع مجده أعنان العلاء ، ورقى ذروتها بسلّم شرفه المطلّ على الجوزاء ، ولطُفتْ شمائله ، ولم يوجد فى الكرم من يساجله ، وغذىّ بلبان العلياء الى أن بجحرها نشا ، وارتشف مدامة حبها الى أن نشا ، وطابت منه الخليقة ، فكانت مما قلتُ فيها خليقة :

يا طيب أخلاق كريم روى الـ سامعُ منها ما روى المبصرُ
بأنها أطيبُ من روضةٍ طينتها مازجها العنبرُ
لو مزج الماء بها شاربٌ ما شك فيه أنه الكوثر
ندبٌ له فى حلبات العُلى دون الأنام الورد والمصدر
كأنّ من يأوى الى بشره من وحشةٍ فى روضةٍ يحبر

معارجُ العليــاء مرصودةٌ ليس عليها غيره يظهر

الفصيح الذى عقدت عليه الفصاحة حبُك نطاقها ، والبليغ الذى مدّت فوقه البلاغة رفيع رواقها ، والماجد الذى سمح الدهر بجوده ، فدل على نفي بخل الدهر واثبات وجوده ، وأحيا به روضة الأدب بعدما ذوت ، وأجدَّ به ربوع الفضل بعدما عفت ، ورفع به سماء المجد بعد هبوطها ، وأقام به أعمدة السؤدد بعد سقوطها ، واقرَّ عيون السماح منه بإنسانها ، ووصل يمين المعروف منه ببنانها ، ونشر به جميع ما طوى من المحاسن العجيبة ، وأظهر فيه ما اخفى من بدايع الكمالات الغريبة ، فهو من أهل زمانه بمنزلة الروح من الجسد ، والواسطة من العقد المنضد ، فأكرم به من ماجدٍ بهيجٍ تعشو من ضوء صباح محيـاه نواظرُ الرائين اذا ملأتْ من نوره البصر ، وأعجبْ به من فطنٍ تعشو فى ظلام الإشكال الى مصباح ذكاه بصائرُ ذى النظر ، الصفىُّ الذى أخلصته نفسى من جميع ما ضمّه الفضا ، (الحاج محمدٌ الرضا) . لا زالت شمس إقباله طالعةً فى أعلى بروج المراتب ، وكوكب سعده ثاقباً فى سماء شرفه التى يتمنى أن يحلَّ فيها سعدُ الكواكب ، ولا برح طائر اليمن له مزجوراً ، وروض مسرّته غضاً مونقاً نضيراً ، بمحمدٍ وآله المبرئين من الزلل ، وصحبه الذين ما لهم فى التقى من مثل .

أما بعد : فإنى لم أزل للغرام فيك نديما ، وعلى الصبابة حيثما رحلتُ مقيما ، تذهب بيَ الأشواقُ كلَّ مذهب ، وطرف عينى لم يزل فى آفاق السماء مقلَّب ، فكان عينيَ قد جنّت عن اغضائها ، وكانت بعدّ النجوم وإحصائها :

أنا أحصى النجوم فيكَ ولكن لذنوب الزمان ليس بمحصى

غير أنى كلما ألحَّ على قلبي الجوى فأضناه ، روّحته بذكراك فتنتعش بعد الضعف قواه ، وبينما اعللُ نفسي بذكر الوصال ، وهى من شدة الشوق

تتمثل بقول من قال :

ولم ارَ مثلى قطَّع الشوقُ قلبه   على أنه يحكى قساوته الصخرُ

إذ وردتْ منك إلىَّ رسالةٌ بديعة الكلام ، حسنة النسيج والإنسجام ، قد افتتحت بزهر السلام روضة كلماتها ، وختمت بمسك الثناء عقود فقراتها ، فنشقت منها نسيم المودّة حين نُشرتْ لدىَّ ، واقتطفتُ منها نور المحبة حين قرئتْ علىَّ ، وهزَّنى اليها الطرب ، وملكنى منها العجب ، ولما استوقفتُ النظر فيها ، وأجلت الفكر فى ألفاظها ومعانيها ، سكرتُ من ألفاظها ولا جام ، بمدامة معانيها ولا مدام ، فحينئذٍ ثنيت عطفَ ذى نشوة ، وذبت بها صبابةً وصبوة ، لكنَّنى كلما فوّقت سهام فكرى لم أصب الغرض فى تفويقها ، حين غلب علىَّ الشك فى تحقيقها ، أهىَ السلافة مُزجتْ بالغيث الذى انسجم وانسكب ، أم (المستظرف) من ارواح الكتب ، أو زُفّتْ إلىَّ دمية القصر ، أو يتيمة الدهر ، وجُليت لى بين أنوار الربيع فى المعاهد ، حاليةً بدرّ القلائد ، وغرر الفوائد ، فيا لها عرائس فكرٍ أغرب مبتكرها وأبدع ، ولآلى ألفاظٍ أحسن ناثرُها حين جانس بينها وسجَّع ، وجمع فيها فصاحة الألفاظ وبلاغة المعانى فسحر الألبابَ بيانها ، وألَّف بين الإيجاز والإطناب فبهر العقولَ تلخيصها وتبيانها ، ووالى فى سلك الطروس بين فرائد منظومها ومنثورها ، وقابل بين التدبيج والتطريز فى وشىِ رياض سطورها ، قد ابتدأتْ برفع خبر الشوق عند الخليل ، وأنهت اليه الجزم فى تمييزه فيما بنيتْ عليه من مضمر الحبّ وظاهر المدح الجليل ، وانبأتُ فيما اكدتْ من الشوق أن لا بدلَ من الصب عند صبّه ، وأن لا عوض عنه فيما نعتت من اشتغال قلب الحبيب بمحبه ، وانَّ هوى الخليل مقصورٌ على خليله فى كل احواله ، بالإضافة الى الإستثناء فى حذف عذاله ، وصرّحتُ عن إلغاء مقالة الحسّاد ، واثبات ما راموا نفيه من المحبة والوداد ، فطفقتُ

اكسوها من استبرق المدائح بُرداً أحكم فكرى نسجه ، واحليها بعقود الثناء وإن لم تزدْ حسنها بهاءً وبهجة :

أطرسكَ أم خدُّ عذراء بكرٍ ... وذا درُّ لفظكَ أم لفظُ درِّ

سحرٌ غداة فضضتَ الختام ... عنه كأن لفظه نفثُ سحرِ

وشككنى حسنُ تنميقه ... أوشيُ بنانك أم وشيُ زهرِ

فناهيكَ بها مبلغةً أوغرتْ فأوجزت ، ومفصحةً بما فيه لكل منطيقٍ أعجزت ، قد حملت جزيل الحمد من مبادرٍ لشكره ، الى من تقدّم اليه بمدح مجده وتنويه قدره ، فللّه أبوكَ وأنت ، أتشكرنى على مديحٍ به الى نفسى احسنتَ ، لأن النفس منّا ومنكم فى الحقيقة واحدة ، وإن كانت الأجساد متعددةً متباعدة ، على أنكم فى غنىً عن جميع المدايح ، بما احرزتم من المكارم والشرف الواضح ، وبنشر فخركم طبق مجدكم سائر الأرجاء ، لا بما نشرت لكم من الثناء ألسنُ الشعراء ، غير أنّى كلما فكرتُ فى نفسى ، لم أجد إلا المحبة الخالصة ، دعتكَ الى شكر مدايحى التى هى بالنسبة الى كمال شرفكم متناقصة ، فنسأل الله سبحانه وتعالى : أن يجعل عزّكم ملازماً للدوام ما بقىَ الدهر ، ويصل بالبقاء ما خلع عليكم من مطارف الوقار والفخر ، إنه على كل شيءٍ قدير ، وبالإجابة .

* * *

٧ - هذه صورة ما كتبه حول قصيدة المرحوم عمه السيد مهدى السيد داود :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على أشرف أنبيائه محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين . أما بعد : فيقول الراجى عفو ربّه الغنىّ (حيدرٌ بن سليمان

الحسيني) إني لما جاري عمنا وسيدنا السيد مهدي السيد صالح القزويني (١) في قصيدة مدح إنسان عين الزمان ، وواحد الأبدال والأعيان ، من حط عن أدنى مراقي علاه الفرقدان ، وأشرق في سماء فخره المشرقان ، زعيم الفضلاء الجحاجح ، الحاج محمد صالح (كبه) . أحببتُ أنْ أتصدى الى تشطير قصيدة سيدنا السيد مهدي ، كما تصدى الى تشطير قصيدة السيد المشار اليه الشيخ ابراهيم العاملي (٢) فوجدتها في دقايق معانيها وسلاسة الفاظها ورقة قوافيها فوق ما قلتُ فيها :

ومُعربةٍ عن فضل مَن صاغ لفظها	وأودع فيها من بدايعه اللحنا
بديعه حسنٍ لو سواه يرومها	لكان التقاط الشهب من مثلها أدنى
تودُّ قلوبُ السامعين لو انها	اذا انشدتْ في محفلٍ كانت الأذنا
فما هي إلا وردةٌ ما تفتّقت	كمائمُ زهر الشعر عن مثلها حُسنا
ولا ولدت امُّ القريض نظيرَها	ولا فتحت يوماً على مثلها جفنا
فما روضةٌ غنّاء راقت بزهرها	وما برحت ازهارها ترضع المُزنا
بألطف من مدحٍ بها (لمحمدٍ)	وأنى وفيه فاقت الروضة الغنا
فتىً قبل دحو الأرض بيتُ علائه	بناه إله العرش للملتجي أمنا
وقام بنصر الدين لله ناصراً	وفي علمه للخلق نهجَ الهدى سنّا
فما المجدُ إلا صورةٌ وهو روحها	وما الفخرُ إلا لفظه وهو المعنى
فتىً في معاليه وفي مجده يُرى	أجلَّ بني الدنيا وأمنعهم ركنا
واكرم به من ماجدٍ سيبَ جودُه	لوفّاده عن طيّب المزن قد أغنى
أيا مَن لعيدان الندى ردَّ ماءها	بعيدَ ظماً لم يُبقِ في دوحها غصنا
وقد عاد منها ما ذوى فيه مورقا	وما قد عسى أمسى لعاطفه لدنا
بمدحك امَّ الساريات حسودُها	اذا تليت من سحر الفاظها جَذّنا

(١) مر ذكره في باب المدائح . (٢) ترجمت له في شعراء الغري ج ١ ص ٦٨ .

ومن حسنها وافى معنًى قد اغتدى · وسيعُ فضاء الأرض فى عينها سجنا
يودُّ اذا ما انشدوها بمحفلٍ · له منشىءُ الأجساد ما خلق الأذنا
مسدَّدة الأقوال يمسى معيبُها · لخجلته بين الورى يقرعُ السنّا
ولو رزقَ اللهُ السكوت معيبَها · لكان له من نطق مذوده أهنا

ثم إنى اعرضتُ عن تشطيرها وقلتُ ما يمنعنى من تخميسها وقد انحلنى أدبه ، وشربتُ من نطاف هذا النظام مشربه ، فأطلقت عنان فكرتى فى مجاراته ، وقابلت بتخميسها جميع بدايعه ومخترعاته ، فقلت :

لذا عنَّ لى برقٌ يضيء على البعدِ
نزت كبدى من شدة الشوق والوجد (١)

ولما قدم حضرة قطب دائرة الوزارة ، ومؤمّل الإمارة ، والى بغداد جناب أحمد مدحت باشا ، نظمَ بيتين يتحمس بهما وذلك قوله :

فلا والقنا والمرهفات البواتر · فلا ترةً أبقيتَ لى عند واتر
أيذهب خصمٌ فى دمٍ لى مضيّع · ولستُ اذيق الخصم حدّ البواترِ

فكتب إلىَّ الحاج مصطفى كبه الى الحلة يستحثنى بعد الإلتماس على تشطيرهما وتخميسهما وأن انثر مع ذلك نبذة من مدح الوالى المشار اليه ، وأن انظم من الشعر مما يحسن به الثناء عليه ، وذكر انه حضر فى تلك المجالس ، وجرى ذكر البيتين فضمن التشطير والتخميس ، ثم ألزمنى بذلك وحثّنى على الاستعجال ، فأجبته وقلتُ مصدّراً للنثر بهذين البيتين مورّياً فيهما باسم الوالى المتقدم ذكره :

لى قوافٍ فى جنبها البحر رشحه · سلسلتها رويَّةٌ لى سمحه
مدح الدهرُ حسنها غير أنى · لستُ أرضى بها لأحمد مدحه

ذلك من ألحف بيضة الإسلام جناح ظله ، وأقام دون حوزة المُلك سداً من

---

(١) ذكرت في باب المدائح .

زبر آرائه ونصله ، ومدّ غطاء الأمن على الدين ، وبسط العدلَ على جميع المسلمين ، قد اصطفاه حضرة صدر التأمير الرياسة ، وأرسله على حين فترةٍ من التدبير والسياسة ، فجاء بعدما غاضت بحيرة البراعة ، وخمدت نيران البأس والشجاعة ، جامعاً بين آية النصل ، ومعجز المقال الفصل ، تتفجر من بنانه ينابيعُ الكرم ، وتفرق عن بنانه جوامع الحِكم ، حتى هتف لسان العراق ، الآن بزغت شمس العدل باهرة الإشراق ، ودرّ حلبُ البراعة ، ونطق بعد الإفحام لسان اليراعة ، واستطيب نفحات غوالى الفضل ، بعدما منع من شمّها زكام الجهل ، وقام وزن الآداب ، بعدما كسدت منها البضايع ، حين نجم مشترى زهرة الكمال فى حضرة فلكية المطالع ، كما قلتُ فيها :

حضرةُ مولىً سواه ليس يُرى ... فى غير هذا الزمان(١) إنسانْ
مذ شبّ يُكسى العُلى ومرهفه ... شابَ به الدهر وهو عريانُ

فأرض أفنيتها الشرفُ ، ونديم أنديتها الظرفُ ، وخلّتاها الشجاعة والكرم ، وخادماها السيف والقلم ، وسفيراها العلاء والمجد ، وسميراها الثناء والحمد ، والهيبة حاجبُ طرّاقها ، والعزّة خفيرُ رواقها ، ويحقّ لى هاهنا الإنشاء ، وإن كان قاصراً لسان الثناء :

رواقكَ ذا لا بل وليجة خادرٍ ... بل الليثُ يخطو دونه خطو قاصرٍ(٢)

هذا ولقد رعدتْ سماءُ ذلك الفكر المدرار ، فقرعتْ سمع الأعداء بصاعقتين يخطف منهم برقهما القلوب والأبصار ، قد اوشكت أن تطلّع على نفوسهم منهما الآجال ، إذ تحمّس بهما فقال :

فلا والقنا والمرهفات البواترِ ... فلا ترةً أبقيتَ لى عند واترِ
أيذهب خصمٌ فى دمٍ لى مضيّعٍ ... ولست اذيق الخصم حدّ البواترِ

(١) وفي المطبوع : في عين هذا الدهر . (٢) ذكرت هذه القصيدة في باب المدائح .

هذا والله الشعرُ الذى تقطر منه الحماسة دما ، وتجبن عن إنشاده الثريا حتى لو كانت للأسد فما ، وحيث فاض على الأسماع صوبُ هذين العارضين ، وصقل الخواطرَ والطباع لمعُ هذين البارقين ، رجوتُ على قلة البضاعة ، ونزارة الإطلاع على[1] هذه الصناعة ، أن انخرط فى سلك مَن شكرَ ، وأكون فى نظم من خمّس وشطّر ، فقلتُ لا متحمساً ، بل على سبيل الحكاية عنه مخمساً :

أثرتُ الثرى نقعاً بكرّ الضوامرِ ... الى أن تركتُ الدهر أعمى النواظرِ
فقلْ للعدى أمناً شفى الكرُّ خاطرى ... فلا والقنا والمرهفات البواترِ
فلا ترةً أبقيتَ لى عند واترِ

أبحتُكمُ للعفو أبردَ مشرعِ ... غداة غسلتمْ كلَّ جرحٍ بمدمعِ
طمعتُمْ لعمرُ الله فى غير مطمعِ ... أيذهب خصمٌ فى دمٍ لى مضيَّعِ
ولست اذيق الخصمَ حدَّ البواترِ

ثم أقمتُ الى جنب كل شطرٍ جليلٍ ، خادماً له من نظام جميل ، فقلتُ مشطراً :

فلا والقنا والمرهفات البواترِ ... عن الخصم لم أصفح سوى صفحِ قادرِ
لقد صلتُ حتى قلت حسبي من الوغى ... فلا ترةً أبقيتَ لى عند واترِ
أيذهب خصمٌ فى دمٍ لى مضيَّعِ ... وسيفُ حفاظى فلَّ صرف الدوائرِ
فكيف تذوق النومَ عيناى لحظةً ... ولست اذيق الخصم حدَّ[2] البواترِ

ثم رأيت أن اخمّس التشطير ، تلذذاً بمعاودة الفكر الى ذلك النظام الخطير ، فقلت :

سطوتُ فلما لم أدعْ غيرَ صاغرِ ... عفوت الى أنْ لم أجدْ غير شاكر

(١) فى المطبوع : فى هذه . (٢) وفيه : طعم

رعى اللهُ صفحى عن عظيم الجرائرِ فلا والقنا والمرهفات البواترِ
عن الخصم لم أصفحْ سوى صفح قادرِ

حملت له أثقالَ عزمى وقد طغا(٢) على عود هذا الدهر حتى بها رغا
فلا وأبى لم يبقَ لى بعدُ مبتغى لقد صلتُ حتى قلت حسبى من الوغى
فلا ترةً أبقيتَ لى عند واترِ

ضمنتُ على سيفى بهمة أروعِ دمَ المجد من خصمى لأكرم مودعِ
فلست له ابناً إنْ يضع عند مودعِ(٢) أيذهب خصمٌ فى دمٍ لى مضيَّع
وسيف حفاظى فلّ صرف الدوائر

أبى حدُّ سيفى أن اكلم لفظةً بغير شباهُ من أجدْ فيه غلظةً
لقد أطعمتْ عينى الحفيظةُ يقظةً فكيف تذوق النوم عيناى لحظةً
ولست اذيق الخصمَ حدَّ البواتر

ثم شفعته بهذه المقطوعة ، وإن لم تكن لائقة لتلك الحضرة الرفيعة :

أثنتْ عليك بأسرها الدولُ وتشوقتك الأعصر الاولُ(٣)

* * *

٨ - قال رحمه الله : وقد جرى لى مع أخى النقيب فريد الزمان ، حضرة السيد عبد الرحمن أفندى . وذلك أنه بعث الى جناب الحاج مصطفى كبه زاده ، أن يرسل اليه (نهج البلاغة) و (مقصورة السيد الرضى) التى قالها فى رثاء الحسين عليه السلام ، فأرسلها اليه ؛ وكانت المقصورة غير تامة ، ثم بعد ذلك وجدتُ المقصورة تامة ، فكتبها وأرسلها اليه والتمس منّى أن اكتب معها على لسانه ، فقلت :

يا من تفرع من ذؤابة معشرٍ غدت النقابة منهمُ فى آلها

(١) في المطبوع : صفي . (٢) وفيه : عند مدع .
(٣) ذكرت في باب المدائح .

هذى بديلة اختها المقصورة الـ اولى أتتك تفوقها بكمالها

فلما وصلت اليه نظم أبياتاً يلتمس بها من الله نصر المسلمين وسلطانها ، وخذلان المشركين وأعوانها ، ثم أرسلها إلىّ يريد تشطيرها وتخميسها ، وكتب معها هذه الفقرات يقول :

هذا ما سنح به الخاطر الفاتر ، ونطق به اللسان الكليل العاثر . وتجاسر على ارساله إليكم[1] مع اعترافى بأنى لست ناظماً ولا شاعراً ، فإن لم يكن جديراً بالإعراض ، وكانت أبياته عامرة غير حقيقةٍ بالانتقاض ، وكان راجحاً عندكم فى ميزان القبول ، أيها السيد الحيدرىُّ وابن البتول ، أرجوك أن تزيّنها بالتشطير والتخميس ، لتكون سلوة للمكروب وسبباً للتنفيس ، والسلام عليكم . والأبيات هذه :

يا إلــه الخلق يا بارئنـا نحن فى ضيق فكنْ عوناً لنا
وانصر الغازينَ وارحم حالهم وتلطَّفْ بهمُ فى ذا العنا
فهمُ المفدون أرواحهمُ وهم الموفون فرضاً بيّنا
فاجزهم خيراً وضاعفْ أجرهم أنت فيّاض العطايا والغنى
واخذل الكفار واخرب دارهم واهلكنْهم واشف فيهم قلبنا

قال السيد : فنشطتُ لما ندبنى اليه ، وأنا المعترف بأن له المنّ علىَّ لا لىَ المنُّ عليه ، لأنه إنما دعانى للأخذ بحظى من الانتظام فى سلك الداعين ، بالنصر لحامى حوزة الإسلام وبالتأييد لجنود المسلمين المرابطين ، فى سبيل الله فى جهاد الكافرين ، وقلت مشطراً :

يا إلــه الخلق يا بارئنا لكَ نشكو اليوم ما حلَّ بنا
كظَّنا حشدُ الملمات فها نحن فى ضيقٍ فكن عوناً لنا
وانصر الغازينَ وارحمْ حالهم فلقد أبلوا بلاءً حسنا

---

(١) في مخطوطة الملا : عليكم .

حيث عانوا فيكَ ما عانوا لجِدْ ... وتلطَّفْ بهمُ فى ذا العنا
فهمُ المفدونَ أرواحهمُ ... ليقوا فيها الهدى والسُّننا
لك قد دانوا فمَنْ يفضلُهم ... وهم الموفون فرضاً بيِّنا
فاجزِهم خيراً وضاعفْ أجرهم ... واجعل النصرَ لهم مقترِنا
ومن الفىءِ فوفِّرْ حظَّهم ... أنتَ فيَّاضُ العطايا والغنى
واخذل الكفار واخرب دارهم ... وأبِحْنا أرضهم والقننا
قد تشفَّوا فأدِلنا منهمُ ... واهلكْنهم واشف فيهم قلبنا

وقال مخمساً :

نشأتْ نكباءُ يا رازئنا ... إنْ تذرْها أهرمتْ ناشئنا
خذْ بأيدينا وكنْ كالئنا ... يا إلــه الخلق يا بارئنا
نحن فى ضيقٍ فكن عوناً لنا

واخذل الغاوينَ واشغلْ بالهم ... وابِحْهم واخترمْ آجالهم
واصطليهم ليرَوا اعمالهم ... وانصر الغازينَ وارحمْ حالهم
وتلطَّفْ بهمُ فى ذا العنا

قوَّموا للحرب أشباحهمُ ... ثم باعوا الكرب أفراحهمُ
فزدِ اللّهمَّ أرباحهمُ ... فهم المفدونَ أرواحهمُ
وهم الموفونَ فرضاً بيِّنا

عنهمُ ضعْ يا إلهى إصرَهم ... وبنصرٍ منكَ فاشددْ أزرَهم
محضوك اليوم حقاً صبرَهم ... فاجزِهم خيراً وضاعفْ أجرَهم
أنتَ فيَّاضُ العطايا والغنى

فى حمى الإشراك أوقدْ نارَهم ... واقتساراً اولِهم إدبارَهم
ولئلا يُخذلوا كنْ جارَهم ... واخذل الكفار واخرب دارهم
واهلكْنهم واشفِ فيهم قلبنا

وقال : ثم كتبت اليه مع هذا الشعر بهذه الفواصل من النثر ، والأبيات التى فى اثنائها لى قلتها فيه ، بمنْ وقع فيه طائر القلب ، حيث يلتقط الحُبَّ لا الحَبَّ :

الى فتىً من قبيلةٍ أبداً ... قبيلةٌ فى الفخار واحدُها
لم تنمِه هاشمٌ لذروتها ... إلا وغيظاً يموت حاسدُها
روضة علمٍ تروق والفضل وال ... مقل معاً وردُها ورائدها
جلا على[1] الطرس من فرائده ... عروسَ فكرٍ زهت فرائدها
خلوقها من شذا حجاهُ ومن ... جوهر ألفاظه قلائدها

قد انتظمت بسلك الإيجاز ، وانتظم فى سلكها الإعجاز ، فبرزت تخطر دلالاً ، وتسحب أبراد البلاغة اختيالاً ، تجرُّ تلك الأذيال ، على نثر هو السحر الحلال ، قد تنزلت من سماء ذلك الجلال آياته الباهرة ، واستغرقت من الصبّ حواسه الخمس ، بما اقامه فى مقام الذهول ، فجديرٌ أن يتلى عليهم[2] فاذا هم بالساهره ، وحيث أن الداعى ، لمالك رقابَ المناقب والمساعى ، وإن كان ليس ببعيد الغور ، يرى الأمر الصادر من تلك الحضرة للفور ، فبادر الى الامتثال ، راجيا أنّ ينظمه القبول فى سلك من حظىَ بالإقبال ، عقد اللهُ عزّ ذلك الجناب بناصية الدهر ، ولا برحتْ تأرج بعبير ثرى تلك الأعتاب مفارقُ الملوك الغر ، ما ضرب الليل رواقه ، وحلّ بيد الصبح عن الغزالة نطاقه ، وهذا دعاءٌ للبرية شامل .

فأجابه بهذه الرسالة :

أخذتُ بكف الشوق والاحترام ، أدام الله بقاك مدى الدهر والأعوام ، ما تفضلتَ به من نفيس التخميس ، المهزم بسطوته البليغة من أرباب الفصاحة

(١) في المخطوط : عن الطرس .
(٢) في الديوان المطبوع : عليه .

ألف خميس ، ورقيق[١] التشطير ، الآخذ بشطرى الحسن ، ولم يكن له شبيهٌ ولا نظير ، فوجدتهما لعمرى قد ارتقيا الطرفَ الأعلى من البلاغة ، وارتفعا بعد أن انتصبا بمقام من الإحسان انخفضت دونه أكابر الصناعة ولم يبلغ أحدٌ بلاغه ، فما أعذب ألفاظها ، وأدقَّ معانيها ، وأعمر أبياتها ، وأحكم مبانيها ؛ فلو رآها (أبو تمام) لاعترف بانحطاطه من ذيّالك المقام ، أو (الشريف الرضى) لارتضاها وأقرَّ طايعاً بحسن السبك والنظام ، أو (امرئ القيس) لما امترى أنها[٢] ابلغ من شعره ، أو (عمر بن أبى ربيعة) لما شك أنها[٣] أرقُّ من سلوكه فى نظمه ونثره ، أو (حسان بن ثابت) لاستحسنها وثبت عنده أنك إمام البلاغة ، أو (زهير بن أبى سلمى) لتاه عجبا من رونقها الأزهرى وعلم أنك مصدر الحكمة فى هذه الصياغة[٤] ؛ وأما ما رصعتها به من جواهر نثرك الذى انتظمت دراريه ، وعذبت الفاظه واستحكمت معانيه ، فهو وهبىٌّ سمتِكَ ، ورقَّة طبعك ، كما قيل : السحرُ الحلال ، والماء العذب ، تُجلى به الأبصار والبصائر ، وترتاح بسماعه القلوب والضمائر ، فلو رآه (الصابى) لصبا اليه ، وتنسَّم من عبير صَباه ، وعلم أنه لو باراه ، لما أتى بمثله ولا جاراه ، أو رئيس الخطباء (قسُّ بن ساعدة) لفارق المواسم وسلَّم أن ذلك خارجٌ عن طوقه ولو ألف بليغ من قومه ساعده ، أو كافى الكفاة (الصاحب بن عباد) لاستصحبه وما فارقه واكتفى به وما زاد ؛ ثم إنّى ورفيع قدرك ، وسنّى فصاحتك ، وعلىّ بلاغتك ، قد صرتُ غريق بحار الحيرة ، لا ادرى بأىّ كيفية اؤدى شكركَ ، وبأىّ لسان أصفكَ ، فاكافى فضلك ، بما تنزلت به[٥] من تخميس أبياتى اللواتى من الحسن عاريات ، وتشطيرهنَّ مع أنهنَّ غير عامرات ولا لائقات ، وكلما ابرمتُ الاعزام ، وشددتُ حيازيم الإهتمام ،

(١) فى المخطوط : ودقيق . (٢) و (٣) وفيه أنهما .
(٤) فى الديوان المطبوع : الصناعة . (٥) وفيه : تنزلت له .

ونقلتُ الأقدام ، لأداء هذا المرام ، قصَّر بى ضعفُ قوى الفكر وعىُّ اللسان ، وضيق الجنان ، وكبا أدهم القلم فى هذا الميدان ، لعلوّ شرفك الذى لا يبارى ، ووفور محاسنك التى لا تجارى ، غير أن العدول عن ذلك بالكلية إخلالٌ بالواجبات ، لأن شكر المحسن من المفروضات ، وبناءً على أن ما لا يدرك كله ، لا يترك أقله[1] ، أقول : وليس سواءً عالم وجهول ، لأشكرنَّك شكراً يليق بجنابك ، ويفى باحسانك ، ما كرَّ الجديدان ، وما تعاقب[2] الملوان ، والسلام عليكم ، بعد[3] شوقى اليكم .

قال السيد : فأجبته بهذه الرسالة على أثرها ، بكل نظمها ونثرها ، وقلت : لاطفتْ الصبّ جميلةُ برّك ، وتلطفتْ بالمغرم المشوق عقيلةُ نثرك ، قد زارت محباً رفعها على الأحداق ، واجتنى من[4] محاسنها ثمرات الأوراق ، ثم حلّ عنها النطاق ، ببنان فكرة المتأمل ، ونضا عنها أبرادها الرقاق ، إلا لبسة المتفضل ؛ فوجدها آخذةً بأطراف النباهة والفكاهة ، ووجد نفسه عن منادمة مثلها على طرف من العىّ والفهاهة ، فترك مفاوضتها المدح ، وعدل عن مقارضتها الثناء ولا قدح ، ورأى الالتحاف بشملة التسليم بالقصور والاعتراف ، أليق بكليل الذهن واللسان ، من مقاومة شواهد الاختبار والامتحان ، فبادر بأنامل العذر ، يفض لطايم الشكر ، ويهدى من نسمات الحمد ، ما هو أطيب من نسمات الورد :

لىَ العذرُ كلٌّ لسان القلمْ ... وجفٌّ بما هو طرسى رسمْ[5]

إى وعلياك ، وما انتظم على جيدها من عقد مزاياك ، لا تنشطُ منّى النفسُ ، للقيام بأعباء وصفك ولو نهضتْ بقواها الخمس ، إذ لا يعلق طائرُ فكرها ، بشأو من ارتفع عن مركز وكرها :

(١) في الديوان المطبوع : جله . (٢) وفيه : وتعاقب .
(٣) وفيه : بعدد . (٤) وفيه : في لثم .
(٥) ذكرت في باب المدائح .

يا همــاماً بفضله يشهد السمع والبصر[1]

هذا والرجاء اسبال ستر التكرّم والاغضاء على عيوب هذه الألوكة ، لئلا تكون فى أندية الأشراف اضحوكة ، لا زال قمرُ تلك السماء موفيا ، ما نبت السعدانُ مستلقيا ، والسلام عليكم ، ما رفّ فؤادى بأجنحة الشوق اليكم ، ورحمة الله وبركاته .

* * *

٩ - قال وقد أرسلها الى صبحى بك فى استانبول عن لسان الميرزا جعفر القزوينى :

بيان براعة الفصاحة ، ولسان يراعة البلاغة ، لا ينبسطان للإحاطه ، بمزايا مَن اوضح لأهل الفخر نهجه وهداهم صراطه :

شمسُ العلى بدر سماء الجلالْ إنسانُ عين الفضل روح الكمال

الأعزّ الذى اذا اسفر وجهه جاءت الشمس تقول : هذا صبحى ، والفيصل الذى اذا نطق لسانه ، أقبل الملكُ يقول لها : هذا سيفى ، فإليك عنه تنحىّ :

ويدّعيه المجدُ ما بينهما[2] لنفسه فيُعطيان ما ادّعى

وكيف لا يكون كذلك من تستمد الشمس من نوره ، ويعتضد الملك برأيه فى مهمات اموره ، ويفتخر المجد بأنه من بنيه ، وبأعزّهم عليه يفدّيه ، إذ هو منبع الحكم ، وينبوع السماحة والكرم ، قد شهدتْ معانى بيانه ، بباهر فضله ودلّ بديع تبيانه ، على كمال ظرفه ونبله ، وزهرت كأخلاقه وشيمه ، أنوارُ ربيع جوده وكرمه ، وعطّر جيبَ الدهر أرجُ مجده ، وصقل محيا الدنيا شعاعُ سعده ، وانى لمّا آنس كليمُ فكرى على البعد نار ذكائه ، ونودى قلبى من جانب طور مجده وعليائه ، عرفتُ أن الذى

(١) ذكرت في باب المدائح .

(٢) في الديوان المطبوع : ويدعيه الفضل من بينهما .

صار قلبي كله مسمعاً لنداه ، هو واحد الفضل الذى لا ربٌ للكمال سواه ، وحيث كان فى شرع الآداب ، وعرف ذوى الألباب ، انَّ مَن توحَّد بالفضل واستجمع صفات الكمال ، جديرٌ وربِّ السبع المثانى أن يُمدح بما تقصر عنه السبع الطوال ، عملت فى مديحه هذه القصيدة الحائية (١) ، ونسجتها له حلَّة حليَّة ، وأهديتها اليه ، وأنا على ثقةٍ من قبولها اذا نشرتْ لديه ، وإن كنتُ كمهدى القطرة الى البحر الخضمّ ، والذرَّة الى الطود الأشمّ ، فهديتى هذه جهد المقلّ ، الى الجواد المكثر المفضل ، على أنى وإن سمَّتنى الفصاحةُ حيدرَ خيسها ، ودعتنى البلاغة ليثَ عرّيسها ، وكان أبى سليمان عصره ، يأتيه بعرش بلقيس المعانى آصفُ فكرة ، فيراه مستقراً لديه ، ارتداد طرفه اليه ، فأرانى لو استخرجتُ الدرارى من نهر المجرّة ، ونظمت بكفّ الثريا أنجم النثره ، عقوداً احلّى بها نحور علياه ، واوشّحُ بها حسانَ مزاياه ، لما زدتها بذلك حسنا ، ولا أفدتُ معانى جمالها جميل معنى ، بل أكون كمن يقول : لماء السماء ما اطهرك ، ولنور الرياض ما ازهرك ، ولغضّ النسيم ما أطيب نفسك ، وللعقد النظيم ما انفسك :

ولم يستفدْ بالمدح مَن ليس عنده وهل ينفع التحجيل من هو أشهب ؟

هذا ورجاءُ الداعى من نفحات كرمك ، أيها المالك رقاب المناقب والمساعى بمعالى هممك ، إيصال هذه الرائية الغراء (٢) ، الناطقة بأبلغ الثناء ، الى حضرة صدر الوزارة الأعظم ، والسيف الذى انتضتْ منه يدُ الإمارة على أعدائها أقطع مخذم ، مناً منك لا عليك ، وعائدة تكرُّم لك لا اليك ، وهى وإن كانت حقيرة ، فى جنب معاليه الخطيرة ، فأراها على حقارة صناعتها ، ونزارة بضاعتها ، أنْ شمَلتْها ألطافُك بنسيم العناية ولحظتْها كفايتُك

(١) راجع ص ٢٠ من هذا الجزء .

(٢) انظر ص ٣٧ من هذا الجزء .

بعينٍ وضعَتها موضعها ، ووقعتْ منه موقعها ، وهذه الحائية الغراء ، والغانية العذراء ، قد حدّرتْ لمدحك نقابها ، فائقةً بحسنها أترابها ، فأعرْها سمعَ مسامحٍ وهوب ، واسبلْ(١) على قائلها من كثرة العيوب :

لتُلق ملوكُ الأرض طوعاً يدَ الصلحِ

حذارَ حسامٍ صاغه اللهُ للفتح (٢)

* * *

١٠ - قال رحمه الله : وقد كتب بها الى السيد سلمان النقيب عن لسان بعض الأشراف يقول :

يا خليقاً(٣) بأشرف الأخلاق   دمْ برغم الحسود عالي الرواقِ

وأنرْ في سماء مجدك بدراً   زاهرَ الضوء باهر الإشراق

إنْ تكن فيك قرت الشام عيناً   فالقذا جائلٌ بعين العراق

واليك الزوراء تشتاق شوقَ الـ   زهر ذاوٍ الى الحيا المهراق

كم نفوسٍ تطلّعت لك فيها   فترقّتْ من شوقها للتراقي

بل أنت لها الروح المدبّرة ، والرئيس المطلق الذي جميع أعضائها اليك مفتقره ، قد سكنتْ اليك في هذا الزمن ، سكون الطرف الساهر الى الوسن ، ما فتحتْ جفون أعصارها على مثلك ، ولا التحفت بمثل ما التحفت به من أبراد فضلك ، ولعمر الزوراء ، لقد طاب لها بظلك الاستذراء ، تقتبس الذكاء من أشعة معارفك ، وتلتمس اغتراف الكرم لا الماء من لجة عوارفك ، وتثني عليك بين أمجادها ، ألسنة الإنشاء بإنشادها :

الفخرُ شاد بكم قبابهُ   والشعر زان بكم كعابَهُ(٤)

إي وذلك الكنه ، وما انتشر بين البريّة عنه ، من باهر فضل تقصر عنه

(١) في الديوان المطبوع : واسدل .   (٢) ذكرت في باب المدائح ص ٢٠ .

(٣) وفي المخطوطة : يا كريماً .   (٤) ذكرت في باب المدائح .

الإشارة ، ويضيق عن الإحاطة بنعته نطاق العبارة ، ليس لناعتٍ وراء التنزيل منتهى ، ولو حطّت آراؤه السها ، فى مدح مَن ضرب بعرقٍ نبوىّ ، فى طينة الشرف القدسىّ ، قد نسج الوحىُ ببنان التعظيم رداء فخره ، ونوّه لسان الذكر الحكيم بجلالة قدره ، ومُثل فى مجهل الزمان علم ، فى أعلى يفاع الشرف الأقدم ، إنْ ضلَّت باجتماعها الآراء فعلى انفراده به يُقتدى ، وإن حارت عن قصدها الالباب فعلى نور فهمه الوقاد يجد الحيران هدىً ، ويحقُّ لهذا العصر أن يفتخر فيه ، وإنه لجديرٌ بالفخر فى إنسانه الذى سما التقت مجامع الإنشاد على ذى براعة ، أغزر ذهناً منه وأنطق لسان براعة :

يا مجيداً إن قال : قالَ مجيدا ... وفريداً إن يُنشِ أنشا فريدا
أين من مجدكَ المؤثل نظمى ... ولئن كنتُ قد شأوتُ (لبيدا)
كيف للشعر بالصعود لسامٍ ... حيث لا النيّراتُ تلقى صعودا
فضلَ الخلق سيداً ومسوداً ... وحوى الفخرَ طارفاً وتليدا
وبدا الفخرُ بين برديه شخصاً ... من طراز الثناء يكسى برودا
فلواء العلياء رفَّ عليه ... وله خاضعاً أتى الدهر جيدا

هذا وأكفُّ الابتهال ، لا تزال مرفوعةً الى حضرة ذى الجلال ، أن يعيدك لتشريف هذه الرباع والمحاشد ، بعد أن يكمل لك التشريف بتلك البقاع والمشاهد ، (فيقرّ الداعى عيناً بمرآك ، وينتظم فى سلك من أثنى عليك وهنّاك)[1] ، دعاء إخلاصٍ اذا رفعته ، قال الحفيظان معى آمينا :

من طينة المجد الصراح التى ... قد شهدَ الوحىُ بتطهيرها
من شعلة النار التى قد غدا ... يقبسُ موسى العلم من نورها
فاتركْ أحاديث كرامٍ مضت ... ولا تقل جئتُ بمأثورها
فاليوم قد أغناك فى فضله ... عيانُ هذا عن أساطيرها

(١) سقطت هذه الجملة من المطبوعتين .

هذا الذى تقديمه فى العُلى | مع سبقها قاضٍ بتأخيرها
لو مكةُ اسطاعت إذاً أقبلت | شوقاً اليه بحذافيرها
واستلمت منه يداً شرّفت | باللثم أفواهَ جماهيرها

* * *

١١ - وقال رحمه الله ، مقرّظا على (الروض الخميل) فى ذكر آل جميل :

هذا الروض الخميل ، المتضوّعُ فى نشر ذكر آل جميل ، تزهو به كلُّ زهرة ، ما رُئى مثلها على صفحتى نهر المجرّة ، وتتمنى رعيَ نرجسه الغزالة ويودُّ المشترى أن يبتاع حلة وشيه بالنثرة ، وأنّى له :

روضٌ بدا بين الأنام أثراً | لسحب جودٍ بالنهى تدبّجه
فزهرُه نعوت أخلاقهم | ووصفُ طيب الأصل منه أرجه

كأنما نُثرتْ فيه ، أو نظمتْ فى سلك قوافيه ، كلُّ حبّة قلب ، فهو الى كل قلبٍ محبّب ، فما (دمية القصر) بين الأتراب ، تنشد الأغانى فى منازل الأحباب ، وتعاطى نداماها السلافة ممزوجةً بالغيث الذى انسجم ، مشفوعة لهم بمستطرف النعم ، ولا (يتيمة الدهر) مجلوّةً فى المعاهد ، حاليةً بدرر القلائد ، وغرر الفرائد (١) ، بأزهى من أوانس فقره ، وأبهى من عرائس أشطره ، ولعمرى ليجب على كل من هو مسلمٌ اذا نظرفيه ، يكون مع صريع غوانيه ، فيثنى مطرباً ، وينشد متعجباً :

هذا كتابٌ أم حديقة روضةٍ | تتنزّه الأحداق فى أورادها (٢)

* * *

١٢ - وقال رحمه الله ، وقد كتب بها الى ابراهيم بك عن لسان بعض الأجلاء :

---

(١) في المطبوع : بدرر الفوائد ، وغرر القلائد .
(٢) ذكرت في باب التقاريظ .

سلامٌ أشفى من رقية (١) الوصل ، وأصفى من ريقة النحل ، وأحلى من سلافة العنقود ، وأبهى من نظام العقود ، من محبٍ يطبق الأرضَ ثناء ، ويملأ السماء دعاء ، إلى مَن هو أرقُ من النسيم شيما ، واغزر من البحر كرما ، سلالة طينة الشرف التى خدمتها الكفاة ، ودوحة الكرم التى اجتنت ثمرتها العفاة ، ذو المناقب (٢) المسطورة على صفحات الدهر ، والسجايا الفائقة على طرائف الزهر ، ومن لم يفتح ناظر الزمان على أبلغ منه مقالة ، وأتم جلالةً وجزالة ، وأندى بناناً وأوفر إحسانا ، وأكرم سجيةً وطبيعة ، وأجلب للشكر صنيعة ، فكأنه لا يزال ، ناظراً الى قول مَن قال :

الحمد أكرمُ ما حوته حقيبةٌ والشكر أكرمُ ما حوته يدان
واذا الكريم بكى وولى عمرهُ كفلَ الثناء له بعمر ثانَ

أعنى به الماجد الذى تبلّج به عمر الدهر ، عن فلق البشر ، الأشيم ابراهيم بك المحترم . لا زال فى نعمة من الله ضافية اللباس ، ناميـة الأغراس ، رافلاً من الألطاف المستفادة ، فى أبهى حلل الفوز والسعادة ، وسجال السلامة مفاض عليه ، وظلال الكرامة ممدود عليه .

* * *

١٣ ـ وقال رحمه الله : وقد كتب بها الى العلامة الشيخ حسن بن المرحوم الشيخ أسد الله يقول :

سلامٌ أبهى من وشيِ صنعاء ، وأزهى من روض ميثاء ، وثناءٌ تتفتح أكمام الرياض عن مثل زهره ، ولم تتحدث أنفاس الصبا عن مثل نشره ، ودعاءٌ ترمقه أكفُ الابتهال ، الى حضرة ذى الجلال ، محفوفا بالإخلاص والإنابة ، مقرونا من اللطيف بسرعة الإجابة .

(١) في المخطوط : من رقيقة .
(٢) في المطبوع : ذي المناقب .

دعاءُ إخلاصٍ اذا رفعتُه　　قال الحفيظان معى آمينا

من محبٍ محضَ الولاء ، وعقد المودة بأوثق عرى الإخلاص والصفاء ، ومشوقٍ لو لم يتداوَ من حرارة البعد بنسيم الذكرى ، لقضى لاعج وجده على كبده الحرّى ، الى الحضرة التى عُقدتْ بكف الثريّا أطنابها ، وسمَت على الشعرى العبور أعتابها ، إذ هى حضرة قطب العلياء المدار عليه فلكُ الحمد والثناء ، ربّيتْ مناقبه فى حجور المآثر ، ورضعت درّ المكارم والمفاخر ، علامة الزمن ، الذى هو من العلم بمنزلة الروح من البدن ، قد أسعد الله به جدود الأفاضل ، وورّد بنورمزاياه خدود الفضائل ، وعمرَ أفنية الشريعة ، ورفع قواعد[1] الملة المنيعة ، فله الرأى البصير بالعواقب ، والمجد المنيف على النجم الثاقب ، والهمة التى اختلقت[2] على قمة الجوزاء مرفوعة ، والنفس التى اختلقت[3] على اكتساب العلوم مطبوعة ، قد أحرزت شرفاً بسقتْ على النجوم شرفاته ، وفضلاً تعرّفت لأهل الفضل عرفاته :

ملآن من شرف السجية نفسه　　يحوى الفضائلَ من جميع جهاتها

ذاك قمرُ المجد الذى بهر الناظرين لألاؤه ، وطفح بالفضل مكياله وإناؤه ، علمُ الإسلام ، وحجة الله فى الأنام ، حضرة الأكرم ، شيخنا الشيخ حسن المحترم ، لا زال مؤيداً من الله بعنايته ، ومكلوءاً بعين رعايته ، ولا برح سمكُ مجده ثامن الأفلاك ارتفاعا ، وقمر فخره ثالث القمرين شعاعا ، ولا انفكت شمس شرفه تملأ الدهر بإشراقها ، ما دامت أطواق الحمام بأعناقها .

أما بعد : فانّ الداعى لمجدكم بالتخليد ، ولعزّكم بالبقاء والتأييد ، لا يزال على بعد شقّة المزار ، ما اختلف الليل والنهار ، حليفَ غرام ، وأليف هيام ، ونديم اشتياق ، الى تلك الحضرة[4] السامية الرواق ، التى تودُّ

---

(١) فى المطبوع : أعمدة .　(٢) وفيه : التى هى على .
(٣) وفيه : التى خلقت .　(٤) فى المخطوط : تلك الساحة .

الكواكب تقبيل أعتابها ، ولثم ترابها ؛ أحمد الله الذى أهّلنى لولائها ، وجعلنى فى نظم أودّائها وأحبائها ، ولعمرى لو كنت أملك أمرى لما استنبت إهداء التحية فى كتاب ، عن الحضور للتشريف(١) بذلك الجناب ، فأحظى بلثم أنامل ريحانتيك ، وأسعد بمطالعة صحيفة غرّتىْ قمريك ، اللذين هما للفضل فرقدان ، ولهما فى المجد المحلّ السامى على كيوان ، ولديك المرشح كلٌّ منهما لرياسة الدين ، حضرة الأمجدين الشيخ باقر والشيخ أمين ، جعلكم الله أبداً للمخوف عصمة ، وللملهوف غياثا ورحمة .

* * *

١٤ ـ وقال رحمه الله ، وقد كتب بها الى بعض الأكابر والامراء :

إن أزهى من روضةٍ ضحكَ الزهر فيها(٢) لبكاء الغمام ، ونظم فيها لؤلؤَ الطلّ نسيمُ الصَّبا عقوداً رائقة النظام ، فحلّى بها عواطلَ أجياد الأقاح ، وفرشَ فى أرجائها عيابَ الطيب نوافحُ الرياح ، وأبهى ما اقتطفته أكفُّ الأفهام ، من أزاهير بدايع النثر والنظام ، سلامٌ رسمه قلم الاشتياق ، وحملته رواحل الأشواق ، من محبٍ لم يشبْ بالقطيعة صفوَ الوداد ، ومحبته لا تزيد ولا تنقص فى القرب والبعاد ، الى مَن رضع ثدىَ المعالى طفلا ، وساد الأنام يافعا وكهلا ، وما الدهر عنده إلا يومان ، يوم ندىً ويوم رهان ، فيحكّم السؤال فى أمواله ، ويحكم الأسياف فى الأرواح قبل سؤاله ، ومَن كفل له النصر بخذلان أعدائه وأشار المجد اليه ببنانه ، وأثنى عليه بلسانه :

كريمٌ وقى ماله عرضَه ... فلست ترى فيه شيئا يعابُ
سوى أن ما جمعت كفُّه ... لوفاده مغنمٌ أو نهاب
كأنّ عليه صلات الوفود ... واجبة نصَّ فيها الكتاب

(١) فى المطبوع : للتشرف .
(٢) وفيه : ضحك فيه الزهر .

أفيه يقاس السحاب ومنه تعلّم كيف يجود السحابُ
وعند عطاياه أو حلمه يقل الحصى أو تخفُّ الهضاب
له صولةٌ تملأ الدهر رعبا وبأسٌ شديدٌ وعزمٌ مُهاب

الأعزُّ الأمجد ، إنسانُ عين الزمان (محمد) لا زال ظلُّ عدله ومعاليه ، لا يزيله الدهر باختلاف أيامه ولياليه .

أما بعد : فيا مَن تردّى بالفخر والكمال ، واستمدتْ بحار الأرض من جوده النوال ، قد وردت الينا رسالةٌ منكم دلّت على زيادة المودّة والاختصاص ، تسألنا فيها أن لا تنقطع منا ومنكم(1) الأنباء ، فى تحرير كتبٍ تتضمن الإفصاح عن أحوالنا وسلامتنا من طوارق الأسواء ، فنحن بحمد الله من نعمه فى اوفر نصيب ، ومن الصحة نتردّى فى كل يوم برداء قشيب ، غير أن قلوبنا من نار بعادكم فى احتراق ، وحسراتنا تكاد تزيل رضوى لشدة الاشتياق ، فعسى الله أن يقضى لنا بالتلاق ، بعد طول هذا الفراق ، فيصبح منا روض الانس مونقاً غضّا ، يملأ قلوبنا سروراً بلقاء بعضنا بعضا ، إنه على كل شىءٍ قدير ، وبالإجابة جدير .

* * *

١٥ - وقال رحمه الله ، وقد كتب بها الى بعض الأشراف :

ما روضةٌ نسجت من وشيِ الزهر برودها ، ونظمتْ من نثار الطلّ عقودَها ، وفلّت أنامل القطر وفرة ريحانها ، وسرّحت ماشطة النسيم أصداغ آسها بين غدرانها ، وتحدّثت ذات طوقها تملأ صبابة شوقها ، فترنحت قامات باناتها مرحا ، وتثنّت معاطف أغصانها فرحا ، ولا طفلة غضة الشبيبة ، تخطر فى بردة محاسنها القشيبة ، كأنما صافية ريقتها ، من فرط عذوبتها ممزوجة بسلافة الصهباء ، أو بجنّى نحلةٍ بيضاء ، بأحلى من سلامٍ أخذ الرقة

(1) فى الديوان المطبوع : منا عنكم الأبناء ولعله الاصح .

من طبع مَن يُهدى اليه ، والعبقة من أخلاق مَن يُنشر لديه ، قد جانس نثره مآثره لا أنجم النثرة ، وحكى ثاقبُ نظمه شعرى مفاخرَه لا شعرى المجرّة ، من حليف صبوة ، وعديم سلوة ، ونديم ذكر ، وأليف فكر ، قد اتقدتْ فى وسط حشاشته نار شوقه وصبابته ، حتى كادت تُنضج نخاعه ، وتأكل شعلتها أضلاعه ، فهو يبكى بشررها الساطع ، لا بجمر المدامع ، فما أحقّـه بمقالة ، من وصف حاله :

ظنّ العذول أدمعى تناثرت ، حمراً لعمرى غرّه ما يُبصرُه
وإنما يقدح زند الشوق فى قلبي ومن عينى يطير شررُه

فما ابن ورقاء ذكر إلفه بالعشىّ ، فتنبه الغرام على قلبه الشجىّ ، وحركت الذكرى ساكنَ شوقه ، فتنفّس حتى كاد ينفصم منعقد طوقه وبات يحيي ليله هديلا ، ويميت نهاره صبابة وغليلا :

ولا امُّ خشفٍ ظلّ عنها فغودرت بشرقىّ نجدٍ وهو بالغور راتعُ
تبيت بأعلى الرمل تنصب سمعها لتبلغها منه(١) البغامَ المسامع
وتضحى بعيداً تطرح اللحظ بالفلا وتكتمه عن ناظريها الأجارع
بأشوقَ نفساً من حليف صبابةٍ بأحشائه للشوق تهفو نوازع

الى مَن تفرّع من دوحة النبوّة ، وسمتْ به أعراق الإمامة والفتوّة ، وتضوّع بعطفه أرجُ السيادة ، ولاح بطلعته عنوان اليُمن والسعادة ، وورى باقباله زندُ النجابة ، وعُرِفتْ من مواقع رأيه مواضع الإصابة ، وانتهت محاسن الفضل اليه ، فدعاه لسان الإنشاء وأثنى عليه :

يا ابن الألى غرُّ ملوك الورى تشرّفتْ فى لثم أعتابها
محاسنُ الفضل اليه انتهت وأنتَ من غيركَ أولى بها

ذلك نسيج وحده . وعديمٌ نظيره وندّه ، من ضربت عليه العلياء رواقها ،

(١) فى المخطوط : منها .

وعقدت لخدمة سعده الجوزاء نطاقها ، فهو غرّة جبين الدهر ، وثمينة قلادة نحر الفخر ، سلالة الفخر وسلسالة الكرم ، فلان المحترم ، نشر الله لواء جدّه ، وطوى حواسد مجده ، وأسبغ عليه ظل عنايته ، وأفاض عليه سجل كرامته ، ما استلق السعدان ، وتعاقب الفتيان ، بمحمد خلاصة الوجود ، وصحبه خلاصة الموجود .

أما بعد : فبينما أنا فى مجلس التذكار ، ومنادمة الأفكار ، تعاطينى الأشواق والكآبة ، مدام الغرام والصبابة ، إذ ورد علىّ فى أسعد وقتٍ من الأوقات ، وأيمن ساعة من الساعات ، كتابٌ شريف ، محتوٍ على خطاب لطيف ، كأن ألفاظه الزهر ، وبيانه السحر ، تستوقف ديباجةُ وشيهِ النظر ، ممن سرّح فى رياضها الفكر ، بين منثور لؤلؤٍ ساقطه الطل ، ومنظوم جمان كالعقد المفصّل ، وغرائب استعارات هُنّ زهرة الآداب ، ونزهة القلوب والألباب ، قد سمحت به قريحة دائمة الإنتاج ، وروية لم يغلق عليها أبواب المعانى رتاج ، وأعملتها فى تنسيقه وترصيفه ، وتدبيجه وتفويفه ، فكرةُ من كتب محاسنه فى صحيفة وجه الدهر ، فمحت محاسنَ من تقدّمه من جميع أهل الفخر ، وفتحت به مقفلات المسائل ، وختمت به اهل الفضل والفضائل ، كما قيل فيه وأنا القائل :

بيهاكَ أحمدَ فى النهى ... خُتمت ذوو الرتب المنيعه
ونسختَ ذكرهم به ... نسخ الشرائع للشريعه

هذا وقد اتحفتنى بثلاث تحف ، وصلت منك إلىّ مع هذا المشرّف ، قد حسنَ لدىّ مصطنعها ، ولطفَ عندى موقعها ، وسُرّت بإهدائها نفسى ، وردّت فى أسمائها ومسمّياتها رويّتى وحدسى ، فتفاءلتُ بالرحلة لترحال الهم ، عن قلبيَ المتيم ، وبالسكين بسكون نفسيَ الفرح ، وقطعها أسباب الكآبة والترح ، وفى القاموس بإغراق أعدائى بقاموس البلاء ، واستغراقى من الله

بقاموس النعم والآلاء ، ثم أنشأتُ هذه البديعة ، مكافأةً لك بالشكر على هذه الصنيعة :

نفسي بحبل ولاء أحمد أمسكت مذ أُحكِمت بنياط قلبي عقدُه (١)

الفصل الثاني

في الرثاء

١٥ - قال رحمه وقد التمسه السيد ميرزا صالح القزويني أن يعمل مقدمة لكتاب (الأشجان في مراثي خير إنسان) :

قامت على الدنيا نواعيها إذ نُعيت نفس العلى فيها
والأرض قد مادت بمن فوقها واهتز قاصيها ودانيها
زلزلها فقدانُ مَن لم تنبْ عن حمله فيها رواسيها
واستغرق الأقطار منها البكا وأظلمت حزناً نواحيها
الى الورى أنعى حياةَ الورى فلتبكِ ما درّت مآقيها

بلى ومَن تركها غرقى بالمدامع ، لا ترقى غروبَها ما ناحت على فروعها السواجع ، فلقد طرقها بغتةً طارقُ القدر ، فنزل العمى من عيونها منزل البصر ، بساعةٍ كأنما وردت بزلزلة الساعة وأهوال يوم الوعيد ، فغادرت الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن ألم المصاب شديد ، قد أقبل فيها على المجد ، ثم وقف واستوجد ، واستعظم حالها وأنشد :

ما للورى دهشت أقام المحشرُ أم قد دهى الثقلين خطب أكبرُ ؟

أجل أيها المستفظع لهذا الحال ، المتمثل بهذا المقال ، اقترب للناس حسابهم قبل يوم القيامة ، فأدمت أكفهم الأنياب قبل يوم الحسرة والندامة ،

(١) ذكرت في باب المدائح .

وعطّوا الأكباد ، قبل الجيوب والأبراد ، ونضحوا القلوب ، قبل الأجفان والغروب ، ومثلوا متماسكين من الوجوم ، متهافتين على جمرة الأحزان وجذوة الهموم :

فمن واقفٍ فى جفنه الدمع واقفٌ ومن سائلٍ فى خده الدمع سائلُ

لغداةٍ بكّروا فيها بنفوس جائشة ، وعقول من الدهشة طائشة ، بين ذاهبٍ ولا يفطن أين يتوجّه ، وآتٍ لا يأتى بشيء سوى أن يتزفّر أو يتأوّه ، وحرّان لا حيلة له غير عضّ اليدين ، وحيران لا يملك إلا استدارة العينين ، فاذا سأل سائلٌ ، أو قال لمن بجنبه قائلٌ : هل أتاك حديث الغاشيه ، ولمن قامت رنةُ تلك الواعية ، واولئك عمّ يتساءلون ، وعلى من عدت العاديات ، وماذا نزعت النازعات ، عبس وتولّى ، ثم التفت اليه وقال : افض غروب(١) عينيك سجلاً فسجلا ، فلقد دُكّ طود الحلم ، وهوى نجم الهداية والعلم ، ونُزِعَ من كف المعروف بنانها ، واستُلَّ من عين العلياء إنسانها ، وذوت من المكارم رياضها الخضر ، وتسلّبت شجرات المعروف من ورقها النضر ، ونُقِل الى الأجداث قبلةُ الشكر والحمد ، ومصلّى العفاة والوفد ، وحُمِل (ابن جلا) الى عرصة البلى :

ولفقده هذى النوائحُ جاوبت فوق السماء نوائحَ الأملاكِ
ملكٌ على الأفلاك علياه سمت فالسمكُ منها ثامن الأفلاكِ

حتى اذا رست أعواده على أكتاف الرجال اجتذبته اليها الرغائبُ والآمال ، آخذةً بقوائم سريره ، ماسكة على فضول كفنه وأطراف حبيره ، وصرخ مرمل الرجاء ، الى أين عنّا بأخى الشتوة الغبراء :

الى أين عنّا بزاد المقلِ ورىّ صدى حائمات الأمانى
به أنشب الموتُ أظفاره فمن ذا يقلّمُ ظفرَ الزمان

(١) وفي المطبوع : دموع .

وعند مَن يلتمس الضيف قِراه ، ولدى مَن يعرّس السفرُ بطلاح رزاياه ، أم مَن يبسط للمجدبين كفاً كريما ، أرطب وأندى من السحاب أديما ، ويجلو على الوفود ، محيّاً تجلى بطلعته السعود ، ومَن ذا يعاق منه الخائف بأوثق العصم ، ويأمن فى حماه كما يأمن الحمَام فى الحرم ، فرويدكم يا حامليه ، قفوا ليتزوّد المجدُ من أخيه ، ويودّعه الرجاء ، ثم تشيّعه المكارم والعلياء ، فامهلوا قليلا ، ريثما اروّح فى وداعه قلباً[(١)] عليلا :

وإن لم يكن إلا تعللُ ساعةٍ قليلاً فانّى نافعٌ لى قليلها

فآهاً ثم آه ، ولا قوة على الصبر إلا بالله ، ماذا لقىَ المجد ، ساعة ودّع أخاه من برحاء الوجد ، وقد ادرجَ منه فى الكفن ، من كان الروح المدبّرة لهذا الزمن ، فيا أعلام العلم وأقطاب الممالك ، ويا أرباب الأسرّة والأرائك ، ويا رؤساء العشائر والقبائل ، ويا خطباء المنابر والمحافل ، ويا عترة الشرف والأحساب ، واسرة الكمال والآداب ، ويا رائدى المعروف ، ومنتجعى الرفدَ فى الزمن العسوف ، هلمّوا الى النبأ العظيم والفادح الجسيم ، الذى جدَع مارن الدين ، وقصم ظهر الإسلام والمسلمين ، فطامنوا لهذا الحادث رؤوسكم ، لقد استُلِب عزّكم وناموسكم ، رزيتم والله بمن جُمعت له الرتبة العليا ، بين رياسة الدين والدنيا ، قد ترشح لها بين النبوة والإمامة ، واقتعد بها من الشرف الرفيع غاربه وسنامه ، وتوالت فى المجد مناقبه الغرر ، فملأتْ من الدهر السمع والبصر ، خلّدها على جباه الأعصار مسطوره ، وبألسن الثناء فى ألسنة المدن والأمصار مرويّة ومأثوره ، تتغنّى بها الحداةُ فى الفلوات ، وتتناقلها الرواة ، على تعاقب السنين فى جميع الأوقات ، تنبىءُ عن حضرة سامية القدر رفيعة الرواق ، آهلة الأفنية بكثرة الضيوف والطرّاق ، جليلة الشأن والخطر ، جميلة العيان والأثر ، قد جاس رائدُ صيتها خلال الأرض ،

(١) في المطبوع : فؤاداً .

وفنيت مواقيتها وثمائن يواقيتها فى أداء المعروف نافلة وفرض ، فلذكر ربه - تغمده الله برحمته ورضوانه - النباهة ، ولجاهه - أعلى الله مقامه - الوجاهة ، ولقدره - طاب ثراه - التنويه ، ولذاته قدّس سرُّه التنزيه ، لقد نشر بيدالفخر فى الخافقين أعلامه ، وطوى على المكارم لياليه وأيامه ، ورحل عن الدنيا الى اللحود ، وكان لها كاسمه (جعفر) فضلٍ وجود ، قد أحبَّت روحه الطاهرة ، أن تتحول عن هذه الدار الى نعيم دار الآخرة ، فانتقل اليها بعد أن شحن الاولى ببرّه ، وطبّق أقطارها بفخره ، وحمل من رواق مجده ، ودفن فى رواق جدّه ، فصكّت له الأشراف الجباه ، عندما نفضت بأكفها الصبرَ على ثراه ، ثم انصرف الجميع ، والعلياء خلفهم تقرع سمع بنى عبد منافٍ بما انشأته من هذا التقريع :

عودى بطرفكِ يا قريش كليلا وبعزمك امتلأتْ ظُباه فلولا (١)

واقيمت مآتمُ العزاء ، فناحت فيها حتى أملاك السماء ، وندبتْ فيها الشعراء ، بقوافٍ من الشعر ثواكل ، تتناشدها ذوو الأحزان فى المناحات والمحافل ، ثم عزّوا فيها أباه ، فرع الأراكة الهاشمية ، ومنار الشريعة المحمدية ، رئيس المحققين (محمد المهدى) بن الحسن معز الدين :

علم الأمة علامتُها صبحُها مصباحها نور هداها
قلبُها قلّبها حوّلها عضبُها بيضتُها حامى حماها

وجروا عنه متساجلين فى تسليته عنه بأخوته ، وكفى سلوة عنه بأكبرهم أخيه الصالح لسد ثلمته ، وبالمعدّ لتشييد بيت الحسب والمجد ، أخيهما أبى القاسم (محمد) وبأخيهم الحسين الذى حلّ من الزمن محل الروح من الجسد ، والواسطة من العقد المنضّد ، فهم وأبيهم ، كما قلتُ فيه وفيهم :

قمرُ السماء أبوهمُ شرفاً وهم والشهبُ اخوَة

(١) ذكرت في باب المراثي .

بل كما أقول : وإنْ رُغمتْ معاطس ، وازورّتْ من الخنق نفوسٌ ليست عند العلياء بنفائس :

إنما هاشمٌ لباب قريشٍ وهمُ صفوُ هاشمٍ واللبابُ
فئةٌ منصبُ الإمامة فيها وسواها ومجدُها الأنصاب

لعمرى لئن (١) فقد منها شخصٌ لم تفقد مزاياه ، وطوى الموتُ عنها عيانَ مَن لم تطق الأيام والليالى مكارمه وعلياه ، فلقد كفل أخوه الصالح لمجده ، بنشره لمّا قام مقامه من بعده ، فى ندىّ نخره ، ويليق بهذا المحلّ ، أن أرسم من نظمى هذه الأبيات التى جاءت كالعقد المفصل :

أقول للقلب وقد أرسلتُه دمعاً على ذاك الصفيح يقطرُ
يا والجاً كافورة القدس التى بالأمس قد أُودع فيها الكوثر
صلْ جعفراً وحيِّه عنّى وقلْ بورك مَن قد صرتَ فيه تحبر
اعيذُ أحشاءك أن تنزو على رواق عليائك فيها الخدر
تصدّر اليوم (أبو الهادى) به فلم تغبْ كأنك المصدّر
فقرّ عيناً فالعُلى تلك العُلى والمفخرُ الباهر ذاك المفخر
وجعفرٌ للمكرمات (صالحٌ) وصالحٌ للمكرمات جعفر

وحيث أطلقنا عنان أدهم القلم ، وبلغ هذا المقام وأحجم ، فلنفتح حلية المراثى بنظم أميرها ، وفارس ميدان منظومها ومنثورها ، الناشىء فى حجر (٢) الرسالة ، والراضع درّ الوحى وبلغ بنور عصمة الإمامة لكن عما يشينه فصاله ، ومثل فى مجهل الزمان علم ، وطلع فى افق العلياء أنور من بدرٍ تم ، ذاك (أبو الهادى) ، وإن شئتُ قلتُ أبو الحسن الصالح ، لأن يصبح وقد أصبح ذلك مقتدى الزمن ، فلقد أنبأ عن مضاضة وجده بنظم بديع ، لا يليق غيره بشأنه

(١) في مخطوطة الملا : لقد فقد .
(٢) في المطبوع : بحجر الرسالة .

الرفيع ، فبلغ الغاية ، بقوله فى رثاء اخيه ، وبه للعلياء عنه كفاية (١) .

يقول منشىء هذا التحرير ، وموشّى بردة هذا التحبير ، الفقير الى ربه الغنيّ ، حيدرُ الحسينيُّ الحلي : إنّي إنْ أثبتْ مرثيتى أول المراثى ، لا طلباً للتقدم لها بل لمناسبتها ، لنظم هذا السيد الجليل ، الذى تقدّم قبلها أنه قد وصف ما هو عليه من الوجد ، وحكيتُ الحال التى نحن عليها من رزيّة هذا المصاب والفقد ، على انّى نحتُ فيها بقوافٍ كأنْ منها كلّ قافية ورقاء ، أو كأنها الخنساء ، إذ هى لو ردّدت نياحها على صخرٍ لأرتكهُ كيف على نياحتها يتفطّر ، فتصفحُ الفاظها ومعانيها ، وأعرف صحة قولهم : لو أعطيتُم القوسَ باريها :

قد خططنا للمعالى مضجعا ودفنّا الدين والدنيا معا (٢)

* * *

١٦ - وقال رحمه الله وقد كتب بها معزياً لبعض الأكابر والأشراف :

ممن صدعتْ صفاة صبره قوارعُ الأرزاء ، فأذال مصون دمعه بتنفّس الصعداء ، وألبسه عظيمُ المصاب ، ثيابَ الاكتئاب ، وحنى على جذوة الوجد منه الضلوع ، ونافر لعظيم (٣) ما عراهُ طيبَ الهجوع ، وكيف يلتذُ بهجوعه ، أو تجفُّ مجارى دموعه ، وقد فاجأه نعيُ مَن كان مصباح ليله وسراج نهاره ، إذ عثر فيه الدهرُ فلا لعاً لعثاره :

نعوه على ضن قلبي به فللّه ماذا نعى الناعيان
رضيعُ صفاءٍ له شعبةٌ من القلب مثل رضيع اللبان

الى مَن لا يستخفُ حليمها تفاقمَ الخطوب ، ولا تغيّرُ طبيعتها فى المكارم

(١) الى هنا اثبت في المطبوعتين ، وهذه الزيادة الآتية لم توجد فيهما .
(٢) ذكرت في باب المراثي .
(٣) وفي المطبوع : لمعظم .

مقاساة الكروب ، الأعز الأمجد ، سلالة الشرف الواضح (محمد) قطب دائرة الفخر والكمال ، ومحطّ الوفود وبحر النوال ، ومَن هدرتْ يداهُ دم الأموال لحقن دم المكارم ، وعجز عن احصاء فضله كلُّ ناثر وناظم ، وحيد دهره وفريد عصره ، طالب العزّ من مستقرّه ، المستضاء برأيهما فى سواد الخطوب ، والمستجار بظلهما فى كل نائبة تنوب ، ومن أساء اليهما الزمان بفقدان انسان عين الفخر ، محمد عليّ القدر ، وجوهرة الدهر ، وفريد العصر ، وواسطة عقد الفخر ، ومن ليس له فى الفضل مثلٌ ولا ندّ ، وكان من أهل زمانه بمنزلة الواسطة من العقد ، ومن طلبتْ وصفه عقولُ ذوى النهى ، وجاوزتْ فى طلبها الجوزاء والسهى ، فلم تقفْ له على غايةٍ ومنتهى ، وحين رجعت منه صفر الكف ، وقد بعد شأوه بدورها فى الخسف ، وشموسها بالكسف ، طائشةً حيرى ، راهبةً ذعرا ، تنشد شعرا :

طلبتْ وصفه العقولُ ولكن ... لم يكن ممكناً اليه الوصولُ
وتعدَّت غاياتها ثم طاشتْ ... حيث لم تدرِ فيه ماذا تقول
وأقرَّت هناك بالعجز عنه ... وتساوى عليمها والجهول

فيا له من رزءٍ يقل الحزنُ بجنبه ، ولو أن كل منا كان فيه انقضاءُ نحبه ، ولو افضنا له النفوس من المآقى بدل الدموع لقلتْ ، ولو وُزنتْ به رواسى الجبال لخفّتْ :

الآن هوّن كلَّ نازلةٍ ... جللٌ أمال دعائمَ الفخر(١)

فيا مَن ألقى الزمان لكفيهما خطام القياد ، وسارت شواردُ أوصافهما مسير الشمس فى جميع البلاد ، إن من العجز أن تجزعا لعظم المصاب ، وإن حسن العزاء مما يتضاعف به عند الله الثواب ، وشأنُ مَن وقَّرته روابع كل مهمة ، أن يتدرَّع قلبه بالصبر لمكابدة كل ملمة ، ومن الحزم أن يتزر بثوب

---

(١) ذكرت في باب المراثي .

التجلد لأبصار العباد ، لئلا يعلموا بتململكما فتشتفي منه الحساد ، وان من عظُمَ عليكما فقده ، وبرَّح بكما بعدُه ، قد ورد حوضاً كلُّ الخلق واردوه ، وسلك طريقاً كلهم سالكوه ، وكلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه .

* * *

١٧ - قال رحمه وقد كتب بها الى السيد سلمان النقيب معزّياً له بموت أبيه عن لسان العلامة السيد مهدى القزوينى :

نعى الناعون للشرف المعُلى فتى الأشراف سيدَها النقيبا (١)

يُنشر على طيِّ الأيام ذكره ، ويُجدد ويا حاشاه من الدروس على تعاقب الأعوام علاؤه وفخره ، ويجلو من محاسنه الغرّاء على صفحات وجه الدهر ، ما يفصّله لسان الحمد فريدا ، وتتهاداه الليالى لنحورها عقودا ، فهو حيٌّ بتلك المناقب ، وإن قامتْ عليه النوادب ، إذ ليس الميتُ ورزؤه الذى ترك الألباب مطاشة ، إلا ميت المآثر لا الحشاشة ، ولعمرى لئن قصدَ المنون بصائبةٍ تلجُ على الليث المشبل مغارَه ، وتنفذ على الأفعوان الصلّ وجارَه ، فلقد قضى من الدنيا كرائمَ وطره ، ورحل عنها فرحل المجد على أثره ، بمهجةٍ حسيرة ، قد نضخها على قبره عقيرة ، وكأنّى بركب الثناء ، وقد وقف فقلَّب على ذلك الجدث جفون الرجاء ، ثم رفع عقيرته بجنبه ، وأنشده ما أنشاه فى استطابة تربه :

أقول وقد وقفتُ على ضريح كأنَّ نسيمه أرجُ الغوالى
لئن أنشقتنى يا قبرُ طيباً فذاك الطيب من عبق المعالى

وليت شعرى وهل أبقتْ شعوراً طارقة هذا القدر ، أيعلم الدهرُ لا أقاله اللهُ عثاره بمن عثر ؟ ارتحلَ وأيم الله عن الأنام بربيعها ، وعن الأيام بقريعها ، حادثٌ جذَّ من العزّ أنفه ، ومن الكرم ساعده وكفّه ، وأغصّ

(١) ذكرت في باب المراثي .

فمَ الدنيا بجرعةٍ ثكل عميدها ، فعددتْ بلسان الدهر حتى كلّ ولم ينشط فى محفل النياحة لتعديدها ، وكيف ينشط منها اللسان ، أو يتسع لها نطاق البيان ، فى حصر تلك المناقب ، التى كاثرت وأجلها عن قولى الحصى عداد الكواكب ، أليست هى مناقب من ضمنَ فى ملاث أزار عظمته جميع كرامها ، فطوى منه الموتُ بردة فخرٍ أدرج فى أثنائها بقية أيامها :

قد علمنا فقرَ العفاة اليه ... أفكان الردى من الفقراء (١)

أجل أيتها التى تردّدُ المقالة وتنعى ، خفضى عليكِ ولا تضيقى بما لديك (٢) ذرعا ، إن الموت لم يطوِ غاربَ بحرك ذلك الزاخر ، إلا بعدما بدتْ منه على نحر الزمن عقد هذه الجواهر ، فحلّى بها عاطل جيده ، وأعدّها (٣) نفائس موجوده :

قد كان فى موت علىّ الذرى ... ماتت بنو المجد وعلياها
لكنْ بإذن الله روحُ النهى ... قام فأحياه وأحياها
قد طويتْ لولاه أبو المصطفى ... ينشر فى الدهر مزاياها
نعمَ زعيم القوم مقدامها ... فى الحزم طلاّعُ ثناياها
مظفرُ الآراء ما أخفقتْ ... فى طلب الرأى سراياها
إن خاصم الأكفاء فى مجمعٍ ... أضحكها منه وأبكاها
رياسةٌ موروثةٌ فى العُلى ... يأرجُ فى عطفيه ريّاها

فأكرمْ به وارثاً للمجد ، قد ترك ألسنة الثناء والحمد ترتلُ آيات فضله ترتيلا ، وتهتف فى الأنام بكرةً وأصيلا ، هكذا فليكن الكرم ، ولترقَ الى هنا عاليات الهمم ، وليعرسْ بمثل هذه الغابه ، من خطب الى الشرف عقيلة النقابة ،

(١) ذكرت في باب المراثي . وفي المطبوع : فقر الزمان .
(٢) وفي المخطوط : بذلك .
(٣) وفي المطبوع : واعتدها .

هيهات هيهات لا توَصل الراحةُ إلا بمثل بنـانها ، ولا تبصر العينُ بغير إنسانها ، فيا أحلم من (أحنف) وله أطريتُ ، ويا أذكى من (أياسٍ) وعليه أثنيتُ ، إنّى ما استرعيتُ سمعك هذا المقال ، ولا استوقفتُ نظرَك على ما ضربته من هذه الأمثال ، استزيدك فى حلمك ركانه ، أو أدلكَ على مكان الصبر فأنت من الصبر بمكانة ، بل تلك مقالةٌ فى التعزية مرادة ، وعلالة جرتْ بمثلها العادة ، إذ جميع هبات الدنيا معادة فرتجعة ، والتسلية عنها سيرةٌ متبعة ، وما استبقائى منك الصبر على هذه الرزية ، إلا كاستقائى⁽¹⁾ سحاب الرحمة لتلك التربة الندّية ، إذ من العبث التماس حصول ما حصل ، وطلبُ المرء من الله أن يفعل ما كان فعل :

لله فى نفسك نفسُ العُلى ... قد اوجب اللهُ لها حفظها

لا تجعل الحزن لها شاغلا ... فى أخذها من نخزها حظها

ولا حدتنى خفةٌ فى أمرك⁽²⁾ ، ولا دعتنى استضاقةٌ لصدرك ، وإنما هى من الحبّ نفثةُ الصدر ، وقولة يقولها اشفاقاً على مَن أحبَّ اذا فدح الأمر ، فكلاهما فى الحصول شرعٌ سواء ، بغير شكٍ ولا مراء ، نسأل الله أن يعرّفكم أجرَ هذه الرزية على مقدارها ، وأن يكمل لكم ثواب الصبر على معيارها .

* * *

١٨ - قال رحمه الله وقد كتب بها معزياً الحاج مصطفى كبّه بوفاة والده الحاج محمد صالح :

بالبدر مَن فجعَ الليالى البيضا ... وأعاد للشمس النهار مريضا

ومَن انتحى روض الكمال بمعطشٍ ... فذوتْ نظارته وكان أريضا

(١) فى المطبوع : كاستسقائى سحائب .

(٢) فى المطبوع : جفة بأمرك .

قدرٌ مضى بزعيم آل المصطفى　　والمجدُ قوّض إثره تقويضا

قدرٌ جبَّ من الفخر سنامه وغاربه ، وطبّق بالحزن من الكون مشارقه ومغاربه ، قد رحل بمن هوزاد المقل ، وناعشُ صرعة الضريك(١) والمرمل ، وتقرّبَ جبرئيل الى الله برفع روحه الطاهرة ، حين(٢) سمت عن الدنيا لنعيم الآخرة ، فقوّض عنها رحيض الثوب من درن تبعاتها ، مبرأ الجوارح من اجتراح خطيئاتها ، لم تقض بنو الدنيا حق مصابه ، ولم تكافئْ ما أسدتْ اليها يده من جزيل ثوابه ، وبماذا تقضى حق هذه النازلة ، والمصيبة الهائلة ، أبصراخ الثواكل ، أم بدمعٍ على الوجنات سائل ، أم بوجدٍ ولو كان كوجد يعقوب ، أم بنوحٍ ولو كان مما تشقُ عليه الأكباد لا الجيوب ، هيهات :

كذبناهُ لم نجزع عليه ولم تقم　　مــآتمنا لمّـا اقيمتْ مآتمه

نعم لنا العزاءُ بزعيم خلفِه ، والبدر الساطع بعده فى سماء مجده وشرفه ، ذاك رافع عماد مكارمه ، ورواق فخره ودعائمه ، المصطفى للكرم بعده ، والذى قام مقامه فسدّه :

وقضى حقوق الجود وهى نوافلٌ　　وسواءُ منها ما قضى المفروضا

فيا مَن هو للمآثر الحميدة أهل ، والراقى بهمةٍ من المجد أرفع محل ، لا برح بيت عليا أبيك ، آهلاً فيك وفى أخيك ، وبآلكما الغرر ، ما بقى الدهر ، ونسأل الله أن يجعل هذه الرزية خاتمة الأرزاء ، ويصرف عنكم محذور القضاء .

---

(١) الضريك : الأحمق ، الضرير ، الزمن ، الفقير .

(٢) في المخطوط : حق سمت

الفصل الثالث

فى العتاب

١٩ - قال رحمه الله مجيباً على القصيدة (النونية) التى وردته من بعض أخدانه الأعزاء معاتباً بها اياه ، واليك الرسالة والقصيدتين :

أما بعد افتتاح الإنشاء بمفروض الحمد وواجب الثناء أقول : إنّ أفقر من الإصغاء ذلك السمع المأهول . أيها الماجدُ الذى عوّذته بنات الأفكار برقى القريض حينا ، من نزعات شيطان هذا الشيخ الذى أصبح له اليوم قرينا ، وساء قرينا ، وغادر منثور ذكره فى الصالحات دفينا ، ويا حرسه الله قبل الممات إذ لو استمر على اصطناع المعروف والمكارم لكان حسنة الدنيا ، ولو لم يلق السمعَ لاتباع مقالة اللوائم لكان قطب دائرة العليا ، الحديث ذو شجون ، وسيبصر أهلُ الأنصاف بأينا المفتون ، وانّ لى ولك فى طى هذا الأمر الغريب ، لشأناً من أعجب الأعاجيب ، قد أوجب نشره ، من سيّر بدّالة المرح ومخيّلة الكبرياء شعره ، عجباً لك كيف لم تجذب اليك من عنان خيلائك ، ولم تكفكف من بادرة عزمك وغلوائك ، بل تركت لهاتيك عنانها ، وأوسعت لهذه خطاها وميدانها ، حتى اقرعتَ بمسامعى مؤلم هذا التقريع ، وجرعتنى مضاضة ذلك التعريض الشنيع ، فبمجدك ما الذى أخفضكَ وأنت الوقور ، وما الذى لمظكَ بمقر هذا التعريض وأنت الأبىُّ الغيور ، بلى وأنا أملك السجيّة ، التى عاشت على معروفها البريّة ، ما دعاك الى أنْ تظهر أنك لى مغاضب ، إلا الهربُ من إسداء العطايا والمواهب ، حيث استنشأتك قبل هذا سحابة ، خلتها نشأت دانية الربابة ، قد بشّر بها نفسه الرجاء ، واستمطرها بظنه مغدقةً وطفاء ، فكلما تطلّع فى نواحيها ، استحكم طمعه فيها ، وأمّل أن ترخى بشآبيبها الغزار عزاليها ، فاذا هى تبرق

غيظاً وغضباً ، وترعد تقريعاً وعتباً ، ثم لم تبرح بهاتيك البوارق ، أنْ أمطرتها عليَّ صواعق وأيُّ صواعق ، فليتكَ إذ ترفعتَ كنزعمك عن مدَحي الآنفة ، رعيت لي حرمة المدح السالفة ، فلقد علمَ هذا العصر ، أني لسانه الذي انتهت اليه مقالة الشعر :

وأنا الذى لم يسخُ بي أحدٌ ... إلا غدا ونديمه الندم

واذا اهتززتُ لمدح ذى كرمٍ ... فأنا لسانٌ والزمان فم

قد نشرتُ لكم من الذكر الجميل ، ما لم ينشره لسان الشعر لذى مجدٍ أثيل ، حتى صرتُ لكم فى المدح أعرفَ من علَم ، بل أشهر من (زهير بن أبي سلمى) فى مدائح هرم ، كم نسجتُ لأبيكم بُردَ حمد ، لم ينسج قبلي مثله (ابن بُرد) ، وكم سيَّرتُ فيكم من النظام ، ما لم يسيّره قبلي الشيخ (أبو تمام) بلا يدٍ بيضاء ، ولا عارفةٍ غراء ، بل جعلتم قيمة تلك العقود ، وأثمانَ هاتيك البرود ، ما لو رُسم معها فى كتب المؤرخين ، كما ترسم الجوائز مع قصائد المتقدمين ، يتداولها الأنام جيلاً بعد جيل ، لغضَّ بنزارته من شرفكم المحض ومجدكم الأثيل ، بل لو لم أكتمْ عن الحسّاد ، ما جعلتموه بإزائها من الصفاد ، لوُسِمتْ تلك الغرر البهية ، بسماتٍ ردية ، كما وُسِمتْ قصيدة (أبي الطيب) لنزارة الجائزة بالدينارية ، وعلى حقارة الجزاء ، ونزارة ما اسديتموه من العطاء ، رأيتك قد أعرضت غاية الإعراض ، وأغمضتَ عن حقوق المودّة أشد الاغماض ، بلا إساءةٍ سبقتْ ، ولا جناية تقدَّمت ، فنظمتُ قطعة من العتاب ، يروق بنشرها ذوو الألباب ، وأرسلتها اليك ، مخاطباً لك بلسان العتب عليك ، فقلتُ :

حتى مَ تطوى الودَّ بالهجران ... وإلى مَ أبسطُ بالعتاب لساني

لا أنت عن غلواء[1] هجرك مقصر ... شيئاً ولا أنا عن عتابك واني

---

(١) في مخطوطة الملا : من غلواء .

كم ذا انبّـهُ منك من لم ينتبه ... عن مثله فى الفضل طرف زمان (١)
ما زال يصرف عن وجوه مطالبى ... عيناً رعى القاصى بها والدانى
الغيثُ أنت فكيف تجدب راحتى ... منه وتخصب راحة الذلان
وأما وجدكَ ما تيقّظ للنهى ... من لم يكن لى قطّ باليقظان
بل أىّ ركن للمعالى شاده ... من لا يكون مشيداً أركانى
أخذتْ بمخنقَ الخطوب فضيّقت ... صدرى فضاق بها اليك بيانى
فتلافَ من أيدى الخطوب بقيتى ... فبقيّتى لكَ يا عظيم الشان
عجباً لكفّك كيف تمسحُ غرّةً ... من غير سابق حلبةٍ لرهان
من ذا لكم عنّى ينوب اذا جرتْ ... يوماً جيادُ الشعر فى ميدان
ومن الذى يُنشى لجيد علاكم ... مدحاً يفصّلها عقودَ جُمان
فبمَ اقتنعتَ وهل ترى يغنى الحصى ... لمن ابتغى حُلياً عن المرجان
أرتجتَ بالإعراض بابَ رويّتى ... وعقلتَ فى شطن الصدود لسانى
وتركت عينى من جفاك سقيمة الـ ... إبصار وهى صحيحة الإنسان
ما إن (٢) زففتُ من الولاء كريمةً ... إلا وتمهرُها من الحرمان
فأصخْ لعاتبةٍ تجايشَ صدرُها ... فأتتك تنفثُ عن حشاً حرّان
قد حاكمتكَ اليك فاقضِ بحقها ... فلقد أتتك بواضح البرهان
وشكتكَ عندك والعجيب جنايةٌ ... منها اشتكى متظلمٌ للجانى
بين الرجا واليأس قد وقفتْ فقل : ... من ذين تنزلها بأىّ مكان

فأصدرتَ الرسولَ إلىَّ بوعدٍ أكذب من السراب الخادع ، وأخيب من بارقة صيفٍ خالبة اللوامع ، حسبت أنك ألقيت إلىَّ منه بحبلٍ واصلٍ ، ولم أخلْ أنك ألقيت إلىَّ بخيطٍ باطل ، قد ضربتَ أنت على أحد طرفيه بيد المطل ، وضربت أنا على الطرف الآخر بيد عسى ولعل ، حتى قالت لى

(١) في مخطوطة الملا : زماني . (٢) في المطبوع : من ان .

النفسُ ؛ أما غلب على رجائك اليأس ، وإنكَ لتغمزُ بأنمل الرجاء ، فى صدر حجارة صمّاء ، فقلتُ لها أيتها النفس إنكِ لأمّارة ، ما عليكِ من ذلك وإن من الحجارة ، وإنّى إنما أهزُّ بنسيم المدح غصنا ، منه ثمار المعروف ببنان الآمال تقطف وتُجنى ، حتى لم يبقَ فى قوس الأنظار منزع ، ولا فى صدر الأعذار مدفع ، فنظمتُ فى استقضاء ذلك الوعد قطعةً من العتب ، فيها ذكرى لمن كان له قلب ، قد أوحى منها لسان قلبى مسمعا ، ما لو أنزلناه على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعا ، فقلتُ :

كلما زادك المحبُّ اقترابا　　زدتَ عنه تباعداً واجتنابا (١)

فوعدتَ وعداً جميلا ، وخبّأتَ خباً وبيلا ، لم أشعر إلا وقطعةً من شعرك ، بيد الأطفال من أبنائك ، والأغفال من أخصائك وأودائك ، ينشرونها بكل بلاد ، زعماً منك ولرأيك الاصابة أن ذلك ضربٌ من السداد ، فعلى مَ يا هذا كذبت أم مَن بى أغراك ، أظهرتَ كمالك بما يعود عليك بنقض عُلاك ، ولم تتروَّ فى أمرك ، حتى اتخذت عفتى وإبائى درِيَّة لما طاش من سهام شعرك ، فجريتَ الى غايةٍ من الإعجاب جرىَ المتبجح بفخره ، وما نهنهتَ كأنك لم تقف على مَن لم يقف عند انتهاء قدره ، فقلتَ متشدّقا ، ونطقتَ متفيهقا :

أطلقتَ بالعتب الممضّ لسانى　　إن ترمِ بالإعياء فضلَ بيانى
يا من له أخلصتُ صفوَ مودّتى　　ما شابها كدرٌ من الهجران
وعقدتُ حبلَ ولائه بمحبتى　　حتى اغتديتُ بها رضيعَ لبان
وأراك قد نبّهت مقلة ساهرٍ　　بالعتب بل متناومٍ يقظان
مغضٍ على مضضِ القذى وتسومه　　وهو البرىءُ بها جنايه جانى
أتصدُّ عنّى معرضاً وتلومنى　　ولقد بدأتَ هديت بالهجران

(١) ذكرت في باب العتاب ج ١ ص ٢٣٢ .

جنبتَ منتجعى وغرُّك خلَّبٌ | فطفقتَ تحسبه من الهتّان
ورأيتَ خضرة دمنةٍ فحسبتَها | أزهارَ ريّقةٍ من الغيطان
أنفقتَ فيها باهر الحِكم التى | عزّتْ نفاستها على (لقمان)
وبثثتَ منها للنظام جواهراً | ما كان أحوجها الى الكتمان
أتصونها عنّى وقد قلّدتها | أعناقَ ناقصةٍ وجيدَ دوانى
لا تحسبنَّ الشعر يرفع خاملاً | لعلوّ قدرٍ أو سموّ مكان
مَن لم تصدقه الفعالُ فمدحهُ | ضربٌ من التخليط والهذيان
لستُ الذى بالمدح اكملُ رفعتى | انّى وذلك أعظم النقصان
لكنْ أغار على بدائع فكرةٍ | أنْ لا تقلدَها بديع زمان (١)

فلما استوقفتُ ناقدَ الفكر ، وسرحت رائد النظر فى ألفاظها ومعانيها ، وجدتها تنطق عن بذخٍ وبأو ، وتتشدق عن شمخٍ وزهو ، قد نشأتْ من ضميرٍ شحنه الحنق ، وطفح بالإحن إناؤه على لسان منشئها فنطقَ بما نطق ، ثم قلتُ إنا لله ويا نفسُ صبراً ، على مضاضة هذا الشعر الذى برز مشتملاً بثوب الحب وتحته تأبط شرّا ، فقالت نفسى الأبية : كأنك طامنتَ الى أن تعطى من نفسكَ الدنيّة :

ترى وإلى الآن لم تجزع | وهل بعدُ للصبر من موضع
ويقرع سمعك هذا العتاب | وتغضى كأنك لم تسمع

وأما وحميّة هاشم ، وشهامة آبائك القماقم ، لا نمتْكَ تلك الاباة منها الى الذروة ، إن لم تقرع بمقطع تلك الصفاة والمروة ، فقلتُ لها لا شفى الله لى علّة ، إن لم ابرد عنك حرّ هذه الغلّة ، فأنا الآن أقول :

أيها الرئيس الذى كلُّ فاضلٍ إن قيس به مفضول ، لماذا لا زالتْ بعد هذابك النعل ، أصبحت تكسّرُ علىّ أرعاظ النبل ، تارةً تدب لى الضرّاء ،

(١) أثبتناها في كتابنا « شعراء الحلة » ج ٣ ص ١٢٥ .

واخرى تسرُّ لى حسواً فى ارتغاء ، تشوب لى اطراءك بالقدح ، وتبرز لى هجاءك فى صورة المدح ، تظهر التأسف على عقود نظامى النفيسة ، مريداً بذلك أنى لم أرفع قدرى عن ارتكاب الدنيئة والخسيسة :

وهل فى أديم الشمس للسهم مثبتٌ   وإن جهلَ القارئُ يوماً فراماها

لقد ملتَ علىَّ بطراً ، ونسبتَ إلىَّ ما لم أكن له بأهل أشراً ، فلم ترقب فىَّ إلا ، كأنك لم تفز من مديحى بالقدح الرقيب[1] والمعُلى :

تذكر كم فيكَ القوافى فأخرتْ   من سجد الناسُ له حتى سجد

وكيف أقول : لستُ أجد لنسيانك ذلك المديح معنى ، والله تعالى يقول : كلا إنَّ الانسانَ ليطغى ، إن رآه استغنى ، وليت شعرى كيف خفَّت هضبة حلمك بعدما أرسى بك الوقار دهرا ، بل كيف استبدلتَ الإسراع بالأناة فنثلت علىَّ كنانة شعرك تطاولاً وفخرا ، فملأتَ قلبى ألما ، حتى أدميت البنان تأسفاً وندما ، وحتى خلعتُ لبسة المتجلد ، بمقيمٍ من الحزازة مقعد ، وطفقتُ انشىء ثم أنشد :

لى اللوم قد كلفتُ نفسى خطةً   عواقبها تدمى عليها الأصابعُ
وأوردتها رنقاً من الذلّ آجناً   يسوءُ المعالى أننى فيه شارع
ودنَّستُ من أبرادها ثوب عفةٍ   إبائىَ تسهيمٌ له ووشايع
وعرَّضتها بعد الإباء لسبَّةٍ   (اذا ذُكرت تستكُّ منها المسامع)

أجل : وليت سبق السيفُ إلىَّ هذا العذل ، أىُّ خطةٍ أسوء وأفظع ، أم أىُّ سبَّةٍ اذا ذُكرت فى المجالس علىَّ أشنع ، من أنّى وضعتُ نفسى لكم وضع مَن يريد الارتفاع[2] بكم ، بل وضع مَن ينتجع هشيم كرمكم

(١) كذا في المخطوطتين والمطبوعتين ، ولعله يريد : القريب .

(٢) في المطبوع : الانتفاع .

انتجاع الرائد ، ويحرم على سراب جودكم حرمَ المحلىء عن الموارد ، على أنّى أحقُّ بما قاله الفرزدق :

أتيناك لا من حاجةٍ عرضتْ لنا اليكَ ولا من قلةٍ فى مجاشع

وامتهنتُ نفسى بأن صرتُ لكم شاعر ، ناشراً ذكركم بالجميل بين الأكابر والأصاغر ، كم أزففت لكم غادة كعاب ، تخجل بحسنها الأتراب ، لا اريد بذلك منكم إلا الوداد ، وصفاء المحبة والاتحاد ، ولو أنّى استام لها بقدر محاسنها المهر ، لعزَّ على الأكفاء أن تحظى منها بشطر ، فطفقت تنظر إلىَّ بعين محتقر ، وتخاطبنى بما تخاطب به مَن هو اليك مفتقر ، فهلاَ أبا حسن ، لا تشمخْ بأنف مَن بزهرة دنياه قد افتتن :

إنْ أكن مهدياً لك الشعر إنى لابنُ بيتٍ تُهدى له الأشعارُ

بل لعلىَّ لا يعد المتطاولُ علىَّ لمجده ما اعدَّه[1] من الخصايص ، لنسبي اللباب وحسبي الخالص ، تنميني الى ذرى العلياء ، سادةٌ علماء ، قادةٌ حكماء ، ذادةٌ زعماء ، هم للشرف الوضّـاح أقدم اسرة ، وللمجد الصراح أكرم عترة ، ما منهم إلا هضبة وقارٍ وحلم ، ولجّـة كرمٍ وعلم ، لا يشار إلا اليهم ، ولا تعقد الخناصر إلا عليهم ، لم يسرق لىَ الدهرُ أباً ، ولم يغتصبْ لى الادعاء بسببك حسباً ، فيا أيها اليقظان المتناوم ، ليتك رقدت عن عتابك رقدة غيرك عن المكارم ، هب أنّى جنبتُ منتجعك ، بعدما كنت منضماً بزعمك اليك فى جملة من انتجعك ، فأين أنت أيها السيد المطلبي ، عن قول أبى الطيّب المتنبي[2] :

(١) في المخطوط : ما أعد .

(٢) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكندي الكوفي أشهر شعراء العربية . ولد عام ٣٠٣ هـ ، قتله عند عودته الى بغداد فاتك بن أبي جهـــل الاسدي بالقرب من دير العاقول بالنعمانية عام ٣٥٤ هـ شرح ديوانه مائة علم من أعلام الأدب . ترجمت له في كتابي « شعراء الكوفة » ج ١ ص ٣٤٠ .

اذا ترحّلتَ عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هُمُ

وادّعيتَ عليَّ أنّي غرّني خلب ، فطفقتُ أحسبه ماطراً يتحلّب ، ورأيت خضرة دمنةٍ وجدتها مونقة ، فخلتُها أزهار غوطةٍ ريّقة ، فانفقتُ فيها باهر الحِكم العجيبة ، وقلدتُ بجواهرها أعناق ناقصةٍ معيبة ، لعمرى لقد شغلتك هذه الفصاحة ، عن أن تفطن لهـذا الإثم الذى تعلّق منك بتلك الساحة ، لأنك قد علمت أنى لم أمدح إلا مَن لو حصلتُ لبعض المجيزين منهم الاجازة ، لكان من شرف الرياسة الكبرى بمفازةٍ وأيّ مفازة ، وزعمت أنك بلغتَ من الرفعة والسناء ، ما استغنيت به عن المدح والثناء :

فاذا مدحت فلا لتكسب رفعةً للشاكرين على الإله ثناء

فقلتَ قول المتطاول ، إن الشعر لا يرفع مَن هو خامل ، كأنك لم تعلم ، باجماع من تقدّم ، أنه يضع الرفيع ، ويرفع الخامل الوضيع ، كما غضّ من شرف بنى نمير ، ورفع من بنى أنف الناقة وهم أذل عشير ، وهذا الأرجانى (١) يقول :

لولا زهيرٌ والمديح له لم يدرِ هذا الناس مَن هرمُ

ودعْ كل ذلك وخبّرنى إنّ من خلع لباس الحمد ولم يرغب بلبسه ، ولم يكن من أهلِ (ومن يوق شحّ نفسه) . بماذا أكمل رفعته ، وأيُّ الأفعال صدقه فيما وصف به مجده ونعته ، وذكرتَ وأنت الخليق الجدير ، أنك عزمت على بدايع فكرتى أن اقلدها ذا شرفٍ خطير ، فقلْ لى أية غيرةٍ عليها لمن انزلها منه فى جانب الإهمال ، واغفلها وهى من اللواتى تأنف أن تعدّ فى الإغفال ، تحقيقاً لما اقرّه فى ذهنك الجهلة الجفاة ، وتصديقاً لمن

(١) هو أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني ، الملقب ناصح الدين ، فقيه شاعر ، تولى قضاء تستر ، وتوفي بها في ربيع الاول سنة ٥٤٤ هـ وكانت ولادته عام ٤٦٠ هـ له ديوان شعر طبع ببيروت .

لا تصدّق فيهم الامهات :

أخلاقك الغرُّ الصفايا ما لها حملتْ قذى الواشين وهى سلافُ
والافكُ فى مرآة رأيك ماله يخفى وأنت الجوهر الشفاف

ولا ملامة عليك ، وإن توجّه اللوم كله اليك ، إذ لا يستطيع أنْ يحولَ طباعه ، من فتح لأفواه المنافقين اذناً سمّاعة ، قد استخفك رهطٌ ما هم بأبرّ قط ، ممن أنزل فيهم (وكان فى المدينة تسعة رهط) . ما أنت لهم بقدوة ، وغيّركَ لحجّ افتدتهم بالحب مشعرٌ ومروة ، ينزهونك من الريب ، ويثلبونك بظهر الغيب ، يبرز أحدهم مشتملاً بلباس التقوى ، وهو قد بلغ من خبث السريرة غايتها القصوى :

كم تقيٍّ للخلق يُظهرُ نسكاً ولبارى النفوس فى السرّ عاصى
فهو فى نسكه تراه أبا ذرٍ وعند التحقيق فابنُ العاص

قد نصبوك فخاً لاختيال صيدهم ، واتخذوك سلّماً يعرجون عليك الى اغتيال مَن أرادوه بكيدهم ، وأنت ولا اريد أن أنسب اليك رذيلة ، قد جرت عادتك ولا اقول إنها غير جميلة ، إنك تنيل من نال منك ، وتميل الى مَن مال عنك ، المرائى أسعد عندك حظا ، ممن محض لك الصدق فى المودة محضا ، كم مالت نفسك لا لذى سناء ، ميل الناقة من شرهة الى تناول الغذاء ، ثم تابعتْ له الشهادة ، أنه كادت(١) تثنى مثلك له الوسادة ، حتى حصل له بشهادتك من التنويه ، ما لم يحصل من قبله لزياد بن أبيه ، وحتى خلنا أنك عازمٌ على استلحاقه ، رغبةً فيه لما ثبت عندك من غزارة علمه وشرف أعراقه ، ثم قلنا إن سيدنا الأكيس ، هو وهذا الورع المقدس ، لو لم يكونا فى النبل رضيعى لبان ، وفى حلبات الفضل شريكى عنان ، لما نفى عنه هذه الاسترابة ، ثم أنابه منابة ، فرويداً أيها المشتمل ، ما هكذا تورد

(١) في المخطوط : كانت .

الإبل ، قد كان لكم قبل هذا عذرٌ لكم ، انكم دعوتم الناس لأمرٍ لكم علمه ونهله ، فأىُّ عذرٍ لكم اليوم فى دعائكم لأمرٍ إنْ تمَّ اعتز لكم كله ، فخوشيتَ أبا الهادى وعزَّ علينا أن نرى منك بعض الخفة والطيش ، فى الإكثار من الحث على تأمير هذا الفاضل على من لك قبلنا من الجيش ، فاطرحْ لجاجك ، فقد رجع بنا الأذعانُ الى الاقتداء بهذا الأوحد الذى نهج منهاجك ، ونهنهْ من بادرة جهل ابن أخيك ، فذلك أليقُ وأحرى من جلب الوقيعة فيه وفيك ، فلقد ثبت عندنا أنَّ من بالغتما بتأييده ، وشدّ أزره وتشييده ، هو العالم الربانى ، بل فردُ الفضل الذى لولا من لا تصرّحُ به لحلفْنا أنه ليس له ثانى ، إذ لو لم يكن عن[1] سيدنا أخذ وعلى قوله اعتمد ، والى رأيه فى جميع الامور قد استند ، حتى صار من أهل الكشف والاستقامة ، الذين تتنزل عليهم الملائكة بالأسرار لما نصَّ عليه ربُّ الفضل بالإمامة ، فيا أيها الرئيس الأجل ، سبق السيف العذل ، والبثْ قليلاً يلحق الهيجا حمل[2] ، فلقد أطلقَ غربه لسانى ، وحلفَ أن لا يكفكف من جرى أدهم القلم بنانى ، حتى يأخذ غرار يراعتى مأخذه ، وحتى ينفذ غرب يراعتى منفذه ، والبادى أظلم ، وسيعلم أينا الذى يقرع سنَّ الندم :

ما المجدُ إلا ما بناهُ لسانى ... لا ما تزحزحه من البنيانِ
وحلىُّ جيد الفضل نظمُ فرائدى ... لا ما تنظَّم من فريد جمان
يا فاخراً لا فى ملابس مدحتى ... هذى ثيابُ الفخر لا ثوبان
ومطاولاً لا فى صِلات قصائدى ... هنَّ المكارم هنَّ لا قعبان
ولقد صدقتَ فقلتَ أيةُ حكمةٍ ... لمَّا نطقتَ جرتْ بأىّ لسان
من لم تصدقه الفعالُ فمدُحه ... ضربٌ من التخليط والهذيان

انتهى الديوان

(١) في المطبوع : من سيدنا . (٢) الأمثال لا تغير ونصه : لبث قليلا .

فهرست الجزء الاول

« أبواب الجزء الثانى »

أعلام الديوان

مطالع قصائد ومقطعات ديوان

السيد حيدر الحلي

مرتبة على حروف المعجم

[الهمزة ج ١]

[الهمزة ج ٢]

[الباء ج ٢]

ص

٦ - وراءك اليوم عن لهوى وعن طربى
فان قلبي أمسى كعبة النوب

١٤ - فيا نيّر الدنيا الذى بضيائه جلا عن محيّاها ظلام الغياهب

١٤ - حدرت بأطراف البنان نقابها مرحاً فأخجل حسنها أترابها

١٧ - هل الحب إلا ما أذاب حشا الصب
فان لم تذب فيه فلا خير فى الحب

١٨ - بنورك لا بالنيرات الثواقب أضاء حمى (الزوراء) من كل جانب

١٨ - لقد قلت للأرض ادعت بنجومها
عليك السما فخراً فقالت: اجيبها

١٩ - يا خير من صنع الجميل لربّه متقرّبا

١٩ - الفخر شاد بكم قبابه والشعر زان بكم كعابه

٦٩ - ومجدك ما خلت الردى منك يقرب
لأنك فى صدر الردى منه أهيب

٧٥ - لحى الله دهراً لو يميل الى العتبي لأوسعت بعد اليوم مسمعه عتبا

٧٨ - أظلم شرق الدنيا ومغربها لما توارى فى الترب كوكبها

٧٩ - لبست من الدهر ثوباً قشيبا ورحت بكفيه منه سليبا

٨١ - نعى الناعون للشرف المعلى فتى الأشراف سيدها النقيبا

١٩٥ - عرائس لفظ حكى مسكها على الطرس أنفاس ريح الصبا

٢١٧ - كريم وقى ماله عرضه فلست ترى فيه شيئاً يعاب

٢١٩ - يا ابن الألى غرّ ملوك الورى تشرفت فى لثم أعتابها

[التاء ج ١]

ص

٦٤ - يعلم الله ان قلبي صفات سئمت طول فرعه الحادثات
١١٩ - أطال اشتغالى فى هواه مهفهف أنيق الصبا سبحان مبدع فطرته
٢٨٦ - ان فى الكرخ بين تلك البيوت كم لصبٍ متيمٍ من خفوت

[التاء ج ٢]

٨١ نضارة عيش أزهرت واضمحلت وأيام انسٍ أقبلت ثم ولت
١٧٨ - اكرّر الطرف لا أرى أبداً إلا غبيّاً أنّى تلفّت
١٧٨ - وحش من الانس من يعلق بصحبتهم
يكن كمستبدل سقماً بصحته
١٧٨ - كم ترانى أستولد الأوقاتا فرجاً فى انتظاره الصبر ماتا

[الثاء ج ١]

١٨٧ - عشقت ظماء الكشح لا بل غراثها
تودُّ الثريّا أن تكون رعاثها

[الثاء ج ٢]

١٦٩ - أرب القوافى قد غدا لك مذعناً بها محرز الفضل اكتساباً ووارثه

[الجيم ج ١]

٦٥ - كم توعد الخيل فى الهيجاء أن تلجا
ما آن فى جريها أن تلبس الرهجا
١٢٠ - ضمنت غلائل ربَّة الأرج ما شئت من هيفٍ ومن دعج

ض

١٨٧ - فيك العلاء مضيئة أبراجها فلأنت بدر سمائها وسراجها
٢١٤ - روض بدا بين الأنام أثرا لسحب جود بالنهى تدبجه

[الحاء ج ١]

٣٤ - ألا يا أبا السجاد إن بوارقاً لسحب نداك العذب شمت التماحها
٦٧ - يا دار جائلة الوشاح حيتك نافحة الرياح
١٢٠ - برزت تحمل بالراح راحا فكست بهجة نور براحا
١٨٨ - طمحت اليك فما ألذ طماحها هيفاء راض لك الغرام جماحها
١٨٩ - رف قلب المشوق لا للملاح بل لشوق اليكم وارتياح
٢٩٠ - يا شريفاً به يزان المديح ويراض الزمان وهو جموح

[الحاء ج ٢]

٢٠ - لتلق ملوك الأرض طوعاً يد الصلح
حذار حسام صاغه الله للفتح
٨٢ - يا نعش ما يصنع الفصيح لم أدر ماذا به يبوح
٨٤ - أجل من عُليّ ما خلت يرقاه فادح
هلال المعالى طوحته الطوائح
١٦٢ - أتى اليوم حاتم أهل النهى على أنه للندى فاتح
١٦٢ - إن يطو مصباح المكارم ضارح فلقد أضاءت فى علاه مصابح
٢٠١ - لى قواف فى جنبها البحر رشحه سلسلتها روية لى سمحه

[الخاء ج ١]

١٢٠ - يا لائمى وشهاب وجدى ثاقب كيف العزاء وطود صبرى ساخا
١٩١ - حمد الركب فى حماك مناخه حيث ربّى طير الرجا أفراخه

[الخاء ج ٢]

ص

١٩٥ - نسخت ولم يحص اشتياقى الوكة	جميع الذى قد ضمه الكون ناسخ

[الدال ج ١]

٧٠ - امية غورى فى الخمول وانجدى	فما لك فى العلياء فوزة مشهد
١٢١ - أبدين تفاح الخدود	وسترن رمان النهود
١٢٢ - يا رياض الوصال اثمرت غيدا	فاجتذينا سوالفاً وخدودا
١٤٦ - بشراك باليمن عليك وفدا	من هذه الأفراح ما تجددا
١٤٨ - بشرى العلاء فذى مطالع سعده	ولدت هلالاً زاهراً فى مجده
١٥٠ - سقتك يا ربع العلى عهادها	وطفاء بشر أطلقت مزادها
٢٣٣ - يا خير من أعطى الجميل فى الورى	تبرعاً فيه وأوفى من وعد
٢٣٣ - يا اصدق الناس وأوفى من وعد	ما أنت من أعطى الجميل واسترد
٢٤٧ - اذا عنّ لى برق يضيء على البعد
نزت كبدى من شدة الشوق والوجد
٢٩١ - عيشك غض والزمان أغيد	وطرف حسادك فيه أرمد
٢٩٢ - بوركت طلعتك الغراء يا	قمراً فى فلك العلياء مفرد
٢٩٢ - شهدت لنفسك ان الكمال	أتى معها يوم ميلادها

[الدال ج ٢]

٢١ - لا زلت يا ربع الشباب حميدا	باقٍ وإن خلق الزمان جديدا
٢٥ - لقد رحلت عن ودنا فيه جفوة	وبعد الجفا فيه يراجع بالود
٢٦ - من محمد رشيد باشا ببانى	استمدت أهل النهى كل رشد
٢٧ - اطلع شمس الراح ليلاً أغيد	كأنه من نورها مجسّد

[الرثاء ج ١]

ص

٢٦٢ - لأقلام موسى سرّ ما كان فى العصا
لموسى بن عمران من الآية الكبرى

٢٩٤ - عين فتانة لها القلب خدر سحرتنى وأعين الغيد سحر
٢٩٦ - أيامنا بك بيض كلها غرر وعيشنا بك غضٌ مونق نضر
٢٩٧ - ولاؤك أنفس ما يذخر ومدحك أطيب ما ينشر
٢٩٩ - باتت تروّحنى بنشر عبيرها بيضاء تطوى النيرين بنورها

[الراء ج ٢]

٧ - يا غمرة من لما بمعبرها موارد الموت دون مصدرها
٣٣ - صباح الهدى من ضوء وجهك مسفر
ومن نوره ليل التهجد مقمر
٣٤ - بنور وجهك لا بالشمس والقمر
أضاء افق سماء المجد والخطر
٣٦ - يا هماماً لفضله يشهد السمع والبصر
٣٧ - أحق بالعزمن لا يرهب الخطرا ولا يعاقد إلا البيض والسمرا
٣٩ - رواقك ذا لا بل وليجة خادر بل الليث يخطو دونه خطو قاصر
٤٠ - نسب أناف على الأنام به شرفاً فطال به على قصره
٤٠ - الى من مناقبه الزاهرات بدت أنجماً فى سما الفضل زهرا
١٠٣ - أأهنيك قائلاً لك بشرى أم اعزيك قائلاً لك صبرا ؟
١٠٥ - لا أرى للزمان يا صاح عذرا أفيدرى لمن تأبط شرا ؟
١٠٧ - الآن هون كل نائبة جلل أمال دعائم الفخر
١٠٨ - طرقت فالأنام منها سكارى تملأ الكون دهشة واندعارا

ص

١٠٩ - ماذا تريدين بالدنيا يد القدر لقد ذهبت بسمع الدهر والبصر
١١١ - أطار بك الناعى فؤاد العلى ذعرا
غداة نعى فى نعيك المجد والفخرا
١١٤ - يا رواق العلى فقدت وقورا ألف الحلم واصطفاه سميرا
١١٦ - أأحبابنا هل عائد بكم الدهر طواكم وعندى من شمائلكم نشر ؟
١٦٣ - عج لنادى التقى وحىّ البشيرا إن فيه الزوراء تزهو سرورا
١٧٠ - يا أبا الفضل كلما قلت شعرا فيه أودعت من بيانك سحرا
١٧٨ - ما اكثر الناس لولا أنهم بقر تأتى المثالب أفواجاً اذا ذكروا
١٧٨ - إن يبلغنْك عن جود امرىء خبر
فكذّب السمع حتى يشهد البصر
١٩٦ - يا طيب أخلاق كريم روى الـ سامع منها ما روى المبصر
١٩٩ - أطرسك أم خدُّ عذراء بكر وذا درُّ لفظك أم لفظ درّ
٢٠٢ - فلا والقنا والمرهفات البواتر فلا ترة أبقيت لى عند واتر
٢٠٣ - سطوت فلما لم أدع غير صاغر
عفوت الى أن لم أجد غير شاكر
٢١٣ - من طينة المجد الصراح التى قد شهد الوحى بتطهيرها
٢٢٥ - أقول للقلب وقد أرسلته دمعاً على ذاك الصفيح يقطر

[الزاى ج ١]

٣٠١ - ودار عُلىً لم يكن غيرها لدائرة الفخر من مركز

[الزاى ج ٢]

١٧٨ - أفلان لا تبغى الثناء فما لك فى الثنا من نعمة تجزى

[السين ج ١]

ص

٨٤ - أنّى يخالط نفسك الانس سفهاً ودهرك سعده نحس

٢٣٩ - حيّا لى البارى صفىّ مودّة قد لذّ لى وله قديماً كأسها

٣٠٢ - أدر يا نديمى علينا الكؤوسا فقد شاقت الراح منّا النفوسا

٣٠٣ - حازم يسلس من بعد الشماس كل أمرٍ راضه صعب المراس

[الشين ج ١]

٣٠٣ ولرب ريم طرفه بالهدب سهم اللحظ راشا

[الشين ج ٢]

١١٧ - بكيت لمحمول الى القبر فى نعش
سرى حاملوه فى الثرى وهو فى العرش

[الصاد ج ١]

٣٠٤ - أنخ يا سعد ناجية القلاص بحيث الدار طيبة العراص

٣٠٥ - أعلى أحلّك الذروة العلياء عيص من أشرف الأعياص

[الضاد ج ١]

١٦٧ - صبح الهنا اليوم تجلّى أبيضا وبالمنى ربع التهانى روّضا

٣٠٥ - وسم الربيع بزعمه ذات الأضا كذب الربيع فذاك دمعى روّضا

[الطاء ج ١]

٣٠٦ - ليس إلا اليك للعيس نشط كل رحل الى حماك يحطّ

[الظاء ج ١]

ص

٣٠٧ ـ رأت المشيب بعارضيك فغاظها   وثنت بذات البان عنك لحاظها

[العين ج ١]

٨٥ ـ قد عهدنا الربوع وهى ربيع   أين لا أين انسها المجموع
٨٨ ـ الله يا حامى الشريعه   أتقرُّ وهى كذا مروعه
١٢٣ ـ عهدت بذات البان فالجزع أربعا
كساهن وشيُ الروض برداً مولعا
١٦٨ ـ عثر الدهر فاستقال سريعا   ربَّ عبدٍ عصى فآب مطيعا
٢٠٨ ـ عرفت ناسكة ذات اللمى   فرنت فاتكة فى أضلعى
٢٦٣ ـ وبيت على ظهر الفلاة رماه من
له همة من ساحة الكون أوسع
٣٠٨ ـ دعوا كبدى ودونكم دموعى   فداعى البين يهتف بالجميع

[العين ج ٢]

٩ ـ سنام علائى لم يقرع   وهضبة مجدى لم تطلع
٩ ـ ألفت قراع الخطب مذ أنا يافع
فكيف تروع اليوم قلبى الروائع
١١٨ ـ من حط هضبتك الرفيعه   وأباح حوزتك المنيعه ؟
١٢٠ ـ درى لا درى دهر ذممنا طباعه   لأىّ حمىً يا راعه الله راعه
١٢٢ ـ قد خططنا للمعالى مضجعا   ودفنا الدين والدنيا معا
١٢٥ ـ قرع النعىُ بصوته سمعى   فحى على جمر الجوى ضلعى

ص

١٧٩ - فويل القريض لقد أصبحت   به أغبيـــاء الورى تدعى

٢١٩ - ولا امّ خشف ظلّ عنها فغودرت

بشرقيّ نجدٍ وهو بالغور راتع

٢٢٠ - ببهاك أحمد فى النهى   ختمت ذوو الرتب المنيعه

٢٣٦ - ترى والى الآن لم تجزع   وهل بعد للصبر من موضع ؟

٢٣٧ - لى اللوم قد كلفت نفسى خطة   عواقبها تدمى عليها الأصابع

[الغين ج ١]

٣٠٨ - ذكرت بذات البان حيث مضى لنا

زمانـــ به ظل الشبيبة سائغ

[الفاء ج ١]

٤٧ - يا قائماً بالحق حلّ بنا   ما لا يفرّجه سوى لطفك

٩٢ - على كل وادٍ دمع عينيك ينطف

وما كل وادٍ جزت فيه المعرّف

٩٥ - لتلو لوىٔ الجيد ناكسة الطرف

فهاشمها بالطف مهشومة الأنف

١٧٠ - ابشر فيك العلى والشرف   وأهدى الى المجد أسنى التحف

١٧٢ - طلعت كبدر دجىً تزف سلافها   يا حىّ طلعتها وحىّ زفافها

٣٠٩ - ألفتك نافرة الظباء الهيف   واستوطنت فى ربعك المألوف

[الفاء ج ٢]

٤١ - يا مليكاً به الملوك أطافوا   بت معافاً تحفك الألطاف

ص

٤٢ - اهدى اليك أخا الفخار تحية رقّت كرقّة طبعك الشفاف
١٢٦ - ما لهم يا قبر قد جدّوا انصرافا بعدما قد دفنوا فيك العفافا

[القاف ج ١]

٤٧ - قضاء حق الضيف أولى به من شرع الواجب من حقه
١٢٣ - حبست على اللهو قلباً طليقا وقمت احيي الخيال الطروقا
١٧٧ - حيتك من وجناتها بشقيقها وجلت عليك مدامة من ريقها
١٧٩ - وصلت وريعان الشبيبة مونق وجفت وقد لبس المشيب المفرق
٢١٦ - يا خليلي وأيام الصبا حلبات فانهضا نستبق
٢٤٠ - رأيت الثنا فى جعفر الجود صادقا
وكم (جعفر) فيه الثنا غير صادق
٢٦٥ - تخيَّرك الله من آدم و (آدم) لولاك لم يخلق
٢٧٠ - ناديت من سلب الكرى عن ناظرى
وتجلدى بقطيعة وفراق
٣١٠ - حملتك الديار ما لا تطيق مذ عرا شمل أهلها التفريق

[القاف ج ٢]

٤٣ - بنى العشق ما أحلى الى كل عاشق طلا لمشوق زفها كفُّ شائق
٤٥ - بقيتى هى بين الشوق والأرق حشاً تذوب وجفن غير منطبق
١٢٧ - أفعى الأسى طرقت وغاب الراقى
فأنا اللديغ وأدمعى درياقى
١٧١ - انطقت بارعة يرى حتى العدوُّ وفاقها
١٧٩ - ليت منى نياط قلبي الى قسطنط ين يمتد من أقاصى العراق

[الملاحق ج ٢]

ص

٤٦ - بيت مجدٍ إن حوى شكر الورى
فعلى معروفه كانوا عيالا
٤٦ - أثنت عليك بأسرها الدول   وتشوقتك الأعصر الأول
٤٧ - يا أمجد الناس فرعاً   ينمى لأمجد أصل
١٣٠ - أرى الأرض قد مادت لأمرٍ يهولها
فهل طرق الدنيا فنـاء يزيلها
١٣٥ - عودى بطرفك يا قريش كليلا   وبعزمك امتلأت ظباه فلولا
١٣٥ - هموم نوى البرء منها ارتحالا   فلا تبعث الداء إلا عضالا
١٣٦ - كل يوم يسومنى الدهر ثكلا   ويرينى الخطوب شكلا فشكلا
١٣٨ - لو بُرِّد العذل من غليلى   لم أحم سمعى عن العذول
١٤٠ - وقفت على الزوراء وهى يتيمة
تحن لمن أبقى المعالى ثواكلا
١٤٠ - فقلت على من رنة النوح والبكا
فقالت على من لا ترى الدهر مثله
١٧٣ - طرح المجد فى حمى المجد رحله   عند مولىً يميره اليوم كله
١٧٤ - هو طرس أم خدُّ عذراء تجلى   خط فيها الابداع ما كان أملى
١٩٠ - فله أيادٍ لا تزال   سماؤها كرماً مخيله
٢٢٧ - طلبت وصفه العقول ولكن   لم يزل ممكناً اليه الوصول
٢٢٨ - أقول وقد وقفت على ضريح   كأن نسيمه أرج الغوالى

[المبم ج ١]

ض

١٠٣ - إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم
فلا مشت بي في طرق العلى قدم

١٠٧ - حلولك في محل الضيم داما   وحدُّ السيف يأبى أن يضاما

١٩١ - فاخرى أيتها الدار النجوما   هنَّ في الضوء ، وفي الجو الغيوما

١٩٤ - يا جوهر المجد بل يا جوهر الكرم
أمنت من عرض الآلام والسقم

١٩٥ - إن قلت عذراً لها ما ابطأت سأما
فربَّ معتذرٍ يوماً وما اجترما

٢٢٣ - اجتلى الكأس فذى كف الصبا
حدرت عن مبسم الصبح اللثاما

٢٧٤ - اذا كتبت نخطى زهر آكام   ولؤلؤ زنت فيه جيد أيامى

٣١٣ - قل لام العلى ولدت كريما   رقَّ خلقاً وراق خلقاً وسيما

٣١٣ - كم مقامات نهىً حرَّرها   ليس فيها (للحريرى) مقامه

٣١٤ - في فمي لم يزل لذكرك نشر   طيِّب واختبر بذاك النسيما

٣١٤ - يا سميَّ الذى فداه من الذبح   إلـــه السما بذبح عظيم

٣١٥ - خلق شفَّ فالنسيم كثيف   عنده إن قرنت فيه النسيما

[المبم ج ٢]

٤٨ - قدَّمتك العلى وكنت زعيما   وقصارى رجائها أن يدوما

٥٠ اليك وقد كانّت علينا العزائم   سرت بتحيات المشوق النسائم

٥٢ - لى العذر كلٌّ لسان القلم   وجف بما فوق طرسى رسم

ص

١٤٢ - يا دهر ما شئت فاصنع هان ما عظما
هــذا الذى للرزايا لم يدع ألما
١٤٧ - قطعت لسانك نفثة من أرقم أعلمت من تنعاه أم لم تعلم
١٤٨ - ملأت مكارمك البسيطة أنعما
فلذلك انعقدت لرزئك مأتمـــا
١٥٠ - وأبيك لا حيٌّ يدوم فعلام ترمضك الهموم
١٨٦ - وجه كأن البدر شا طره الضياء أو النجوما
١٨٨ - فى فمى لم يزل لذكرك نشر طيب واختبر بذاك النسيما
١٩٢ - أغض النسيم تحمّل سلامى فحىّ برياه (دار السلام)

٢٣٣ - وأنا الذى لم يسخ بى أحد إلا غدا ونديمه الندم

[النون ج ١]

١٠٨ - تركت حشاك وسلوانها فخل حشاى وأحزانها
١١١ - إن ضاع وترك يا ابن حامى الدين لا قال سيفك للمنايا كونى
١٩٨ - أسفرت الأيام عن مرأى حسن
وسعدها الطالع باليمن اقترن
٢٧٥ - ورب مجلس انس فوق مرتفع
قد طال ايوان (كسرى) الملك ايوانا
٣١٥ - لا زلت يا دهر تجلو منظراً حسناً
عن طلعة سعدها فى يمنها اقترنا
٣١٦ - يا جعفر الجود كم انهلت ظمآنا فراح - مبتلة أحشاه - ريانا
٣١٦ - بمجدك يا أعز على منى ومجدك ما ذخرت سواه ثانى

[النون ج ٢]

[الهاء ج ١]